جامعة كرابوك

معهد العلوم الاجتماعية

قسم الاقتصاد السياسي الدولي

علاقة الامازيغ في ليبيا بالعرب في القرون الهجرية الثلاثة الأولى

"دراسة تحليلية مقارنة بالواقع المعاصر"

رسالة ماجستير

إعـداد الطـــالــب

نجيب عاشور القندوز

إشــراف الـدكـتـور

حر محمود يوجر

كرابوك

مايو-201

جامعة كرابوك

معهد العلوم الاجتماعية

قسم الاقتصاد السياسي الدولي

علاقة الامازيغ في ليبيا بالعرب في القرون الهجرية الثلاثة الأولى

"دراسة تحليلية مقارنة بالواقع المعاصر"

رسالة ماجستير

إعـداد الطـــالــب

نجيب عاشور القندوز

إشــراف الـدكـتـور

حر محمود يوجر

كرابوك

مايو-2017

صفحة تأكيد الأطروحة

إلى مديرادارة المعهد العالي للعلوم الإجتماعية – جامعة كارابوك

تم الموافقة بالإجماع من قبل مجلسنا على بحث أطروحة (رسالة) الماجستير العائدة ل **نجيب عاشور القندوز** والتي عنوانها (**علاقة الأمازيغ بالعرب في القرون الهجرية الثلاثة الأولى) "دراسة تحليلية مقارنة بالواقع المعاصر "**

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم			التوقيع
رئيس لجنة المناقشة	البروفيسور الدكتور	حر محمود يوجر	.....
عضو	الأستاذ الدكتور المساعد	جان كاكيشيم	.....
عضو	البروفيسور الدكتور	عبد الرحمن اوزدمير	.....
عضو	الأستاذ الدكتور المساعد	محمد علي الأحمد	.....
عضو	الأستاذ الدكتور المساعد	ارسين مؤذن اغلو	.....

تاريخ المناقشة :05. 06 .2017

تـعـهـد

أتعهد بشرفي وأوضح لكم بأن هذا البحث الذي قمت بتقديمه كأطروحة (رسالة) ماجستير، قد كتبتها دون الرجوع إلى المساعدة ودون إتباع طريقة تخالف العادات والأخلاق العلمية، وأن المؤلفات التي استفدت منها كماهي مبينة في المصادر، وعند استخدامي لهذه المؤلفات قد استفدت منها عن طريق الاقتباس.

مع الالتزام بالمدة الزمنية التي تم تحديدها من قبل المعهد العالي، في حال العثور على موقف مخالف تجاه هذا البيان الذي قدمته والمتعلق بأطروحتي، فإنني أبين لكم بأنني سأتحمل كافة النتائج الأخلاقية والحقوقية التي ستترتب.

2017.06.05

نجيب عاشور القندوز

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَأيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقنَاكُم مِنّ َذَكرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ")

صَدَقَ اللهُ العَظِيم

سورة الحجرات

الآية (13)

ا لإ هـد ا ء

إلى التي كُلتّ أناملها لتقدم لنا الأمل والسعادة والثقة

إلى التي حصدت الأشواك عن دربنا لتمهد لنا طريق العلم

إلى التي لا تفيها الكلمات حقها في الشكر والعرفان بالجميل

إلى التي تمنيتها معي لتشاركني النجاح والفرحة

أمي الغالية

إلى من أخدت بيدي ورسمت الأمل في كل خطوة خطوتها معها

إلى شمعةٍ متقدة أنارت ولازالت تنير ظلمات حياتي

إلى صاحبت القلب الطيب والنوايا الحسنة

إلى التي بصحبتها أزهرت ايامي وتفتحت براعم الحياة

زوجتي

إلى القلوب الصادقة والنفوس البريئة

إلى رياحين حياتي

ابنائي الأعزاء

الشكر

إلهي لا يطيب الليل إلا بذكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات الا بشكرك ولا تطيب الاخرة الا بعفوك .. ولا تطيب الجنة الا برؤية وجهك الكريم.

أشكرك يا الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أن وفقتني وسددت خُطايا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور **حر محمود يوجر** الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وبجزيل الشكر للدكتور **محمدعلي الأحمد** على توجيهاتهما وملاحظاتهما القيمة التي لها بالغ الأثر ليكون هذا العمل في المستوى المطلوب، فجزاهما الله عني كل خير ولهما مني كل التقدير والاحترام.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر كل من شجعني وشَذَ من ازري ومد لي يد العون والمساعدة وأخص بالذكر الأستاذ **يوسف الصتم**.

كما نشكر قسم الاقتصاد السياسي الدولي في جامعة كرابوك/ تركيا.

كما أشكر عائلتي التي كانت السند والدعم الدائمين لي لأواصل مسيرتي العلمية.

فهرس المحتويات

الآية القرآنية..... أ
الإهداء..... ب
الشكر..... ج
فهرس المحتويات .....د
فهرس الصور..... ز
الرموز المطلوبة .....ح
المقدمة..... 1
فرضية البحث.....1
تساؤلات البحث.....2
إشكاليات البحث.....3
مبررات البحث 4
منهجية البحث.....5
خطة البحث..... 5
بعض مصادر ومراجع البحث..... 6
التمهيد 7
الفصل الأول: حالة الأمازيغ في فترة دخول الإسلام والعرب المسلمين الي ليبيا وشمال إفريقيا من الفترة (20هـ -45هـ).....15
اللغة الأمازيغية.....16
أولا: الانحدار الروماني 20
ثانيا: أطماع مملكة الوندال في بلاد البربر 21
ثالثا: دولة الوندال في إفريقية..... 23
رابعا: غزو البيزنطيين لإفريقية من جديد 24
خامسا: نتائج الحكم البيزنطي..... 26
سادسا: الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في فترة ما قبل الفتح الإسلامي..... 26
سابعا: الفتح الإسلامي لليبيا في عهد عمر ابن الخطاب (ض) 28
ثامنا: الفتوحات في إفريقية في عهد عثمان بن عفان (ض) 32
تاسعا: أحوال ليبيا في عهد عثمان بن عفان 34
عاشرا: التنظيم الإداري في العهد الراشدي ابتداءً بعمر 35
الحادي عشر: الأسواق الإفريقية في العهد الراشدي 36
الفصل الثاني: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بكامله أي الشمال الإفريقي من (45هـ -60هـ)..... 38

اولا: في عصر الدولة الأموية 39
1- حملة معاوية بن حديج 39
2- حملات عقبة بن نافع 40
3- مسيرة عقبة نحو المغرب 44
4- دخول القيروان 46
5- حسان بن النعمان الغساني ونهاية البيزنطيين في إفريقية 48
6- ولاية موسى بن النصير 50
ثانيا: التحول الإداري في شمال إفريقية 52
ثالثا: تحول الحياة الاقتصادية لدى البربر في العصر الأموي 53
1- الزراعة 53
2- الصناعة 54
3- التجارة 56
رابعا: الأسواق في العصر الأموي 56
1- أسواق برقة 57
2- أسواق القيروان والمغرب 57
خامسا: بعض أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في الشمال الإفريقي 58
سادسا: الإدارة الإسلامية في ليبيا في العصر الأموي 59
سابعا: الحياة العلمية في المنطقة وتأثرها بالفتح الإسلامي 61
ثامنا: الأوضاع في المنطقة بعد الفتح الإسلامي 63
1- "عصر الولاة" (98 – 184هـ) حتى قيام الأغالبة 63
2- الأمازيغ والخوارج 69
3- بعض الأسباب العامة لثورات الأمازيغ 70
الفصل الثالث: علاقة البربر بالعرب المسلمين في ليبيا من سنة (90هـ – 132هـ) وهي نهاية فترة الأمويين وما حدث من تطورات في هذه الفترة عن سابقتها 72
أولا: ثورات الأمازيغ في المغرب إبان الحقبة الأموية 73
1- الأسباب السياسية 73
2- الأسباب الاقتصادية 75
3- الأسباب الاجتماعية 76
4- العامل الأهم: الخوارج 80
ثانيا: ثورات البربر 81
ثالثا: مجريات الثورة 84
رابعا: الهزيمة الثانية 87

خامسا: بداية النهاية للثورة (معركتا القرن والأصنام 125هـ/743م) 89
سادسا: القضاء على الثورات 90
سابعا: الآثار التي خلفتها الحروب والثورات بين شعوب البربر والعرب المسلمين 92
الفصل الرابع: علاقة البربر بالعرب المسلمين في ظل الدولة العباسية حتى نهاية فترة الولاء للعباسيين وتنتهي بحوالي (240هـ) 94
أولا: أحوال ولاية إفريقية في بداية العصر العباسي وولاية عبد الرحمن بن حبيب 95
ثانيا: ولاة العباسيين حتى ظهور الأغالبة 98
1- عَمر بن حفص المُهلبي 99
2- ولاية يزيد بن حاتم المُهلبي 100
3- قدوم هرثمة بن أعين 102
ثالثا: دولة الأغالبة 104
رابعا: دولة الأدارسة 109
خامسا: الدولة الرستمية: في المغرب الأوسط 116
سادسا: نتائج مستخلصة 120
الفصل الخامس: علاقة البربر (الأمازيغ) بالعرب المسلمين في ليبيا في فترة ما بعد الاستقلال " مقارنة مع العلاقة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى " 123
أولا: أوضاع ليبيا وأقطار المغرب العربي في مطلع الخمسينات 124
ثانيا: المملكة الليبية المستقلة وحقوق الأمازيغ 125
ثالثا: تأثر ليبيا بالحركة القومية العربية ومجيء القذافي 128
رابعا: دراسة تحليلية لإجراءات وآراء القذافي بما يخص الأمازيغ 129
خامسا: الأمازيغ ومحاولات التحرك والرد 138
سادسا: الأمازيغ وثورة 17 فبراير 139
الخاتمة 143
فهرس المراجع 147
الخلاصة 156
معلومات سجل الأرشيف 158
OZET 159
Arşiv Kayıt Bilgileri 162
Abstract 163
Archive Record information 166
السيرة الذاتيه 167

فهرس الصور

توضح الحروف الأمازيغية (تيفيناغ)..... 18

توضح الأرقام الأمازيغية..... 19

توضح مملكة الوندال..... 22

توضح فتوحات الدولة الإسلامية حتى أخر عهد الخلفاء الراشدين 37

توضح حملة عقبة بن نافع الأولي والكبرى حتى استشهاده وإنشاء القيروان 47

توضح الفتوحات الإسلامية شمال افريقيا..... 52

توضح الدولة الأموية..... 71

توضح الدولة الأغلبية 106

توضح دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى..... 112

توضح الرستميون..... 118

توضح الادارسة والرستميون والاغالبة (شمال إفريقيا والأندلس في القرن التاسع للميلاد) 120

توضح مدن، مقاطعات ومناطق أمازيغية اللسان 137

الرموز المطلوبة

ص : صفحة

جـ : جزء

ج : جزء

ع : عدد

ق : قسم

ط : طبعة

ن : نشر

مج : مجلد

ت : توفي

د . ن :دون ناشر

د.ت : دون تاريخ

مق : مقدمة

خا : خاتمة

مح : محقق

تح : تحقي

المقدمة

بدأت مظاهر تاريخ الأمازيغ قبل سنوات عديدة من تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام، لقد شكلوا مجتمعات متفرقة خضعت لسلسلة من الغزاة والفاتحين الأجانب ابتداء من الفينيقيين، الرومان، البيزنطيين، الوندال، العرب المسلمين، الفرنسيين، الاسبان وانتهاء بالإيطاليين، فقلما شكلوا مملكة فعلية او وطناً مستقلاً خاصاً بهم، ولكنهم لعبوا دورا رئيسياً في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا واسبانيا وجنوب الصحراء الإفريقية الكبرى في فترة الفتوحات الإسلامية لهذه المناطق.

لقد واجه الأمازيغ على مر التاريخ كثيراً من المحن والصعوبات في صراعهم مع العرب المسلمين ومع الأمم الأخرى التي حاولت غزو أراضيهم، وقد عانوا التهميش لدورهم الاجتماعي، والتبعية الدائمة للعرب، إذ أنَ الكفة الديموغرافية كانت دائما لصالح العرب المسلمين، وتعززت هذه التبعية في حقبة ما بعد الاستقلال في ليبيا إلى يومنا هذا، ولا زالوا يواجهون قدراً كبيراً من تلك الأزمات الاجتماعية والسياسية التي تضر بوجودهم كبنيان عريق وكجزء من النسيج الاجتماعي في ليبيا بسبب سياسة الحكومات ما بعد الاستقلال والتي تهدف إلى القضاء على الهوية الأمازيغية وعلى لغتهم وثقافتهم وتعريبهم.

فرضية البحث

تتمثل فرضية البحث في معرفة بدايات العلاقة التاريخية بين الأمازيغ والعرب المسلمين في ليبيا، وكيف كان منحى هذه العلاقة مع مرور الفتح الإسلامي وتوالي الأنظمة السياسية حتى نهايات القرن العشرين، إذاً كيف – يمكن أن تكون – أو كيف كانت علاقة العرب المسلمين بالأمازيغ وما مر بها من شوائب وصعوبات، وما تركت من الآثار السلبية منها والإيجابية من الناحية التاريخية، على مستقبل الأمازيغ – من النواحي – السياسية، الاجتماعية، الثقافية والتراثية،

بالمقارنة مع العقود الستة الأخيرة من حياتهم في ليبيا، وهل كان الاختلاط مع العرب المسلمين عائقاً في طريق إثبات هويتهم وكيانهم السياسي وثقلهم التاريخي في ليبيا، أم أن الأمازيغ بطبيعتهم شعب مشرذم ومفكك وموزع في مناطق مترامية الأطراف، لا يملكون من الإرث التاريخي سوى الآثار والكتب الدالة على حضارتهم.

فرضية البحث تتعقب العلاقة الأمازيغية -العربية ولا تهمل العامل الزمني ذا الأثر الكبير، بحيث أن ارتباط الحدث الماضي بالنتيجة المعاصرة من خلال دراسة البحث لفترة الفتوحات والتوسع العربي الإسلامي في الشمال الإفريقي خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، ومن ثم العقود الستة من عصرنا الحالي، قد يكشف أسباب الارتباط الوثيق الذي يشهده الوضع الأمازيغي في ليبيا في العقود الأخيرة من تاريخ ليبيا المعاصر.

فقد تكون فترة التوتر، الهدوء، الارتقاء والهبوط في العلاقة التي سادت بين العرب المسلمين والأمازيغ في ليبيا خلال القرون الأولى من الفتح الإسلامي وتوطيد الخلافة، التي ستتم دراستها في هذا البحث، هي بداية لبذرة الانحدار باتجاه السقوط الذي يُعاني منه الأمازيغ في أيامهم هذه، من ضياع لقضيتهم، وتهميش لتراثهم ودورهم التاريخي في بناء ليبيا التي كانت في يوم من الأيام مُلك أجدادهم.

هذا ما تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء عليه، للوصول إلى الحقيقة بطريقة علمية وموضوعية، وهذه الخطوط العريضة التي نرسمها في الفرضية ما هي إلا مفاتيح ندخل منها للنقاش، وتمهد لها تساؤلاتٌ كثيرة تأتي أدناه ضمن تساؤلات البحث.

تساؤلات البحث

1-من هم الأمازيغ؟ وما هي أصولهم العرقية؟

2-هل كان الأمازيغ بمعزل عن التغيرات السياسية ما قبل الإسلام بصفة عامة؟ ومن ثم مجيء الإسلام وتوطيد الخلافة واستقرارها في ليبيا، ومن بعد ذلك وصولاً إلى زمننا المعاصر في عقوده الستة الأخيرة (أيضاً في ليبيا)؟

3-كيف كانت العلاقة بين الأمازيغ والعرب المسلمين قُبيل الفتح الإسلامي؟

4-هل ستأخذ العلاقة منحاً جديداً مع قدوم العرب المسلمين إلى القارة الإفريقية عموماً وإلى ليبيا خصوصاً؟

5-كيف كانت العلاقة بين العرب المسلمين والأمازيغ في ليبيا خلال الفتوحات؟ وما بعد ذلك في فترة استقرار دولة الخلافة؟

6-هل كان للأمازيغ ثقل سياسي في الدولة الإسلامية في فترة ولادتها وتوطيدها؟ ومن بعد ذلك في فترة النُظم العربية في عصرنا الراهن، في لمحتنا العامة عن الشمال الأفريقي ومن ثم ليبيا في دراستنا الخاصة لوضع الأمازيغ فيها؟

7-ما هو موقع الأمازيغ من النظام السياسي والمجتمع الذي عاشوا فيه بعد تحولهم تاريخياً من أصحاب دورٍ أساسي وأغلبية كبرى في ليبيا، إلى أقلية مهمشة بفعل العوامل السياسية والديموغرافية التي توالت على هذا البلد؟

إشكاليات البحث:

- يصعب تاريخياً تتبع الحقبة التاريخية لبداية وجود الأمازيغ في ليبيا بشكل دقيق، وتعاقب الأجيال من هذا الشعب ومعايشتهم لتطورات توالت على الشمال الإفريقي، أدى إلى أن يتبع ذلك بالضرورة الاختلاط الثقافي، العرقي، الديموغرافي والاجتماعي بالشعوب التي توالت على ليبيا.

- الأمازيغ لم يكونوا بمعزل عن الأدوار السياسية التي توالت على المنطقة، ولكن وقوع ليبيا والشمال الإفريقي بصفة عامة تحت خضم صراعات طويلة وهيمنة عديدة، ساهم إلى حد كبير في انصياعهم لمجريات الأمور ودمجهم في بعض الأحيان وإخضاعهم في أحيانٍ أخرى – بشكل شبه كلي – في بنية واحدة مع السكان الجدد للشمال الأفريقي.

- تغير بنيتهم اجتماعياً، دينياً، ثقافياً وسياسياً، وتحولهم من لاعب أساسي ذي دور هام وتكتل بشري ذي أغلبية في منطقتهم، إلى لاعب مهمش وذي دور ضعيف وأقلية لا يحسب حسابها في المنطقة، وذلك بحلول محلها التكتلات والأمم والفئات السكانية الأخرى التي طغى بنيانها على الساحة في ليبيا، ونخص بالذكر العرب المسلمين.

- علاقة الأمازيغ في ليبيا مع العرب المسلمين لم تكن ذات منحى سياسي فحسب، فالسياسة كفيلة بأن تُفشل العلاقة وتُفسدها في بعض الأحيان، وإنما كانت العلاقة أيضاً ذات صبغة من نوع آخر في مجالات عدة، كالاجتماعية منها، الدينية، الثقافية والتراثية، فقد يخلق ذلك تناغماً بين الشعوب إلى حد ما بعيداً عن السياسة.

- الأمازيغ في القدم لم يكونوا ذوي ثقل سياسي يمكنهم من إنشاء دولة طويلة الأمد، وبسط سيطرتهم على الشعوب الأخرى، وإنما كانوا كغيرهم من شعوب المنطقة خاضعين لنفوذ الإمبراطوريات القديمة آنذاك، بالرغم من تشكيلهم لأغلبية النسبة السكانية للشمال الأفريقي.

- لا يمكن فصل الإرث السياسي الذي ورثته ليبيا في العهود الإسلامية الأولى، ولا يمكن إنكار نتائجه على مستقبل الأمازيغ حتى يومنا هذا، فضلاً على الإرث، الديني، الاجتماعي والثقافي العربي الذي تنامى مع ازدياد ولوج العرب المسلمين وثقافتهم وحضارتهم إلى ليبيا وسائر بلاد المغرب الأخرى، وصعودهم على حساب الأمازيغ ذوي الأصالة الممتدة لقرون سابقة.

مبررات البحث:

- نقاش علمي متأن لأصول المسألة الأمازيغية وارتباطها بواقعها الحالي السائد.

- استعراض الهوة الشاسعة ما بين تاريخ الأمازيغ الحافل وحاضرهم المتردي نحو السقوط.

- استبيان الحقيقة عن اللبس المُتداول لدى بعض الأمازيغ بأن قدوم العرب المسلمين بإسلامهم كان هو السبب في تردي أوضاع الأمازيغ.

- استعراض سياسة العرب المسلمين تجاه الأقليات أثناء دولة الخلافة وفي عصرنا الحالي.

- تقصي حقيقة ما إذا كان التغير الديموغرافي – ذو الصبغة التاريخية – قد لعب دوراً كبيراً في تبدل مصير الشعوب والتأثير على مستقبلهم.

- النقاش المبسط الذي يتناول الجوانب السياسية فقط داخل الأوساط الأمازيغية ويهمش الجوانب الأُخرى من القضية، بحيثُ يراد هنا أيضاً في البحث تسليط الضوء على الجوانب الأُخرى التراثيةوالثقافيةوالدينية والاجتماعية منها.

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي في استعراض علاقة الأمازيغ بالعرب المسلمين في شمال إفريقيا عامة، وفي ليبيا خاصة من قبل الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا.

خطة البحث

1-تمهيد: يتحدث عن أصول وديموغرافية الأمازيغ في ليبيا والشمال الإفريقي بكامله قبل دخول الإسلام والعرب المسلمين إلى ليبيا.

2-الفصل الاول: يتحدث عن حالة البربر أو الأمازيغ في فترة دخول الاسلام والعرب المسلمين إلى ليبيا وشمال إفريقيا، أي من الفترة (20هـ إلى 45هـ).

3-الفصل الثاني: يتحدث عن فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بكامله، أي الشمال الإفريقي بكامله من (45هـ إلى90هـ) تقريبا والتركيز بالدرجة الاساسية على ليبيا.

4-الفصل الثالث: يناقش علاقة البربر بالعرب المسلمين في ليبيا من سنة (90هـ إلى132هـ) وهي نهاية فترة الأمويين وما حدث من تطورات في هذه الفترة عن سابقتها.

5-الفصل الرابع: علاقة البربر بالعرب المسلمين في ظل الدولة العباسية، حتى نهاية فترة الولاء للعباسيين وتنتهي بحوالي 240 هـ.

6-الفصل الخامس: علاقة البربر (الأمازيغ) بالعرب المسلمين في ليبيا في فترة ما بعد الاستقلال

" مقارنة مع العلاقة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ".

7-خاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات.

بعض مصادر ومراجع البحث

- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب المسلمين والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

- عبد الله العروي، تاريخ المغرب محاولة في التركيب.

- اندريه باسيه، المعجم البربري.

- ام جي اوليفر، المعجم الفرنسي – القبائلي.

- ايدمون ديستان، المعجم الفرنسي – البربري.

- شارل دوفوكو، المعجم المختصر الطوارقي-الفرنسي.

- اكلي موحند حدادو، المعجم الأمازيغي القبائلي.

- عبد اللطيف محمود البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني.

- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ-نظرة موجزة في التاريخ والهوية.

- عثمان الكعاك، البربر.

- محمد شفيق، ثلاث وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ.

- شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية.

- أحمد الزاهد، الغزو العربي لشمال افريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة.

التمهيد

الأمازيغ/ البربر: هم سكان شمال إفريقيا القدامى، قلما شكلوا مملكة فعلية أو وطناً مستقلاً خاصاً بهم، لكنهم من ناحية أخرى شكلوا مجتمعات متفرقة خضعت لسلسلة من الغزاة والفاتحين الأجانب، كالمستوطنين البونيين (الفينيقيين)والرومان والبيزنطيين والوندال والعرب المسلمين والفرنسيين والأسبان والإيطاليين الذين اندمجوا فيما بعد في مجتمعات شمال إفريقيا، وأخضعوا لسيطرتهم جزءاً كبيراً من هذه المنطقة.

وقد بدأت مظاهر تاريخ الأمازيغ على ثقافة رومان شمال إفريقيا ومعتقداتهم الدينية، كما لعبوا دوراً رئيساً في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا وإسبانيا وجنوب الصحراء الإفريقية الكبرى في فترة الفتوحات الإسلامية لهذه المناطق، بالإضافة لذلك واجه الأمازيغ كثيراً من المحن في صدامهم مع العرب المسلمين، منها مثلا ما عانوه من تهميش لدورهم المجتمعي، والتبعية الدائمة للعرب كون المعادلة الديموغرافية قد تغيرت، وأن الكفة الديموغرافية رجحت لصالح العرب المسلمين في ليبيا، وتعززت هذه التبعية في حقبة ما بعد الاستقلال إلى يومنا الذي نعيشه، أما مع العثمانيين، وكذلك مع إيطاليا، لم يكن الحال بأفضل من سابقه، فلم يكن للعرب إلا هامش ضئيل من الحرية في اتخاذ القرار وإدارة شؤون البلاد وهم يشكلون أغلبيتها، لكي يكون للأمازيغ هذه الحقوق، وهم يشكلون أقلية، ولازالوا يواجهون قدراً كبيراً من تلك الأزمات الاجتماعية والسياسية التي تضر بوجودهم كبنيانٍ عريقٍ في ليبيا، بسبب سياسة الحكومات فيما بعد الاستقلال، والتي تهدف إلى القضاء على الهوية الأمازيغية وعلى لغتهم وثقافتهم[1] .

اصطلح المؤرخون والجغرافيون على تسمية المنطقة التي تضم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى، باسم شمال إفريقية، وهي تنقسم إلى أقسام ثلاثة هي: المغرب الأدنى وتضم ليبيا، والمغرب الأوسط، وتضم تونس والجزائر، والمغرب الأقصى، وتضم المملكة المغربية وموريتانيا الحالية، وقد اتخذ هؤلاء الجغرافيون والمؤرخون من الوحدة الجغرافية والعِرْقية لهذه المنطقة ولسكانها، مبرراً وسبباً لهذا التصنيف، إذ تعتبر السلاسل الجبلية التي تمتد بين هذه المناطق السالفة الذكر، وحدة جغرافية متكاملة تربط بينها، واعتبروا الوحدة العِرْقية

[1]- اللحيان، حسين: المعجم التاريخي للأمازيغ/ مجلد (1)، ط1، ن: مؤسسة تاوالت الثقافية. 2013م، ص5[1].

لسكانها المعروفون تاريخياً بالأمازيغ أو البربر سبباً واقعياً ومنطقياً لإطلاق تسمية بلاد البربر عليها.

لقد أطلق اسم ليبيا على القسم الشمالي من القارة الإفريقية، وهذا الاسم أطلقه اليونان على هذا القسم من إفريقيا، ليميزوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحابش السود، بحيث إن التسمية تستهدف المناطق الواقعة من الجزء الشمالي الذي يقطنه السكان ذوالبشرة البيضاء، بينما ما يتلوها من أرض وصحراء هي بلاد الأحابشة، فأراد اليونان بذلك التفريق بين المنطقتين، حتى أن بعض المؤرخيين العرب المسلمين أو المغاربة على وجه الخصوص، كالطاهر الزاوي، وصفوا ليبيا بتحديد أرض مصر، بمعنى إظهار المناطق التي تنتهي عندها مصر من الغرب، لتبدأ ليبيا، كقول الزاوي أخذاً عن المقريزي[2] تحديد أرض مصر بأنها "تحد من الجهة الغربية ببرقة"[3]، ونقل عن القضاعي [4] ما نصه : "الذي يقع عليه اسم مصر من العريش إلى آخر لوبية، ومن ثم تأتي أرض مراقية، وتلي مراقية أرض أنطابلس وهي "برقة"، ولم يقتصر التحديد عند أدباء العرب المسلمون فقط، بل امتد إلى كُتاب أوروبيين وأميركيين كجون رايت الذي اعتبر تسمية "ليبي" قد كانت مستخلصة من النقوش المصرية التي تعود للألف الثاني قبل الميلاد. إذ ذكر المصريون بأن هناك قبائل عاشت في الصحراء التي تلي وادي النيل وأطلقوا عليها "ليبو" أو "ريبو"، ومع مرور القرون جاءت الحضارة اليونانية، ليُطلق اليونانيون اسم "ليبي" على شعوب شمال إفريقيا كلها (التي كانت آنذاك غير آهلة بالعرب المسلمين) باستثناء المصريين"[5].

ثم أصبحت كلمتا إفريقيا وليبيا فيما بعد تعنيان القارة كلها[6] ، وعرفت القرون الوسطى والعصور الحديثة الدول البربرية أو بلاد البرابرة، تحدث بذلك الطاهر الزاوي ، حين أشار إلى أن البربر أصحاب دولة قديمة في ليبيا وهو بصدد حديثه عن سكان ليبيا القدماء: "أمة البربر أقدم أمة عرفها التاريخ في الشمال الإفريقي"[7-8] - ، ويشار فعلا في التاريخ إلى أن الدولة القرطاجية لم تكن تقتصر بوجودها في أرض تونس فقط، بل كانت تمتد من الساحل الليبي وطرابلس ووصل نفوذها إلى المغرب الأقصى، وجدير بالذكر أن الرومان آنذاك أطلقوا

---

[2]- المقريزي: وهو مؤرخ مسلم يُلقب بشيخ المؤرخيين المصريين

[3]- الزاوي، الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ن: دار المدار الإسلامية. بيروت. لبنان. 2003م – ص14-15 / الصلابي، علي: صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي، ط1، ن: دار البيارق. عمان. الأردن. 1418هـ/1998م، ص134.

[4]- القضاعي، محمد بن سلامة (ت 1062) كان قاضياً شافعياً في مصر الفاطمية، عرفت له مؤلفات ك "نسب النبي، ولادته، هجرته، ووفاته".

[5]- رايت، جون: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ت: عبد الحفيظ الميار/ أحمد اليازوري -ص13.

[6]- الصلابي: المرجع السابق ص135.

[7]- رايت، جون: تاريخ ليبيا – ص 19-20.

[8]- الصلابي: سابق ذكره ص138.

اسم البرابرة على سكانها وملوكها، وفي يومنا هذا تجد قلة ممن يعرف أن ما يسمى بالمغرب العربي يتراوح سكانه بين 40 بالمائة و50 بالمائة منهم أمازيغ، أي لا يعرف عامة الناس أن المغرب الأقصى والجزائر وتونس أهلة بالبربر، فتعمدوا إلى تسميتهم عرباً، ذلك حسب الإحصاء، وإن كان قد يُذهل البعض، فإنه قد يقارب الواقع إلى حد كبير، فبلدان المغرب باستثناء ليبيا، أي المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، نسبة الأمازيغ فيها 40 بالمائة من مجموع السكان، أي أنهم وبعبارة أخرى يشكلون قسماً لا يُستهان به كشريحة اجتماعية، أما الأهالي فكثيراً ما كانوا يسمون أنفسهم أمازيغ، ومعناه " "الأحرار" ثم "النبلاء" وقد أطلق هذا الاسم على قبائل عديدة قبيل الاحتلال الروماني[9] .

إن مسمى "البربر" ذو أصول خارجية عن اللغة الأمازيغية ودخيل عليها وليس مستوحى منها، ففي لغتهم "تمازيغت": يطلقون على أنفسهم اسم "الأمازيغ"، (الرجل يسمى: مازيغ- والمرأة: تمازيغت) بينما تعود كلمة "البربر" إلى الكلمة اليونانية "بارابوراي" والكلمة اللاتينية "بربري" التي تستخدم للإشارة إلى من لا يتكلم اللاتينية ولا اليونانية، أو لغير الفينيقيين عموماً في الدولة القرطاجية، ويرجعها ابن خلدون إلى ما قاله إفريقي بن صيف من ملوك التبابعة، إذ سمع كلامهم فقال "ما أكثر بربرتكم"، فسُموا بالبربر. والبربر بلسان العرب المسلمين هو اختلاط الأصوات غير المفهومة[10] ، كذلك فقد استخدم اليونانيون القدماء لفظة "ليبي" للدلالة على سكان الشمال الإفريقي، بينما يُدعى الأمازيغ بالرحالة "البدو الرحل"، ذلك المسمى الذي يعكس حقيقة ممارسة أغلب الأمازيغ للحياة البدوية الرعوية، وقد أخذت كلمة "بربري" شكلاً عربياً مع وصول العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي إلى بلاد الأمازيغ وفتحها، فقد تحولت الأخيرة إلى "البرابر" أو "البرابرة"، واليوم تستخدم لفظة الأمازيغ كتسمية جماعية هي "الأمازيغ" للدلالة عليهم (مفردها مذكر: أمازيغي و مؤنث: أمازيغية).

الأمازيغ هي لفظة أو مفردة تزود الأمازيغ بذاك الشعور القومي، أي شعور الأمازيغ بكونهم السكان الأصليين والأهم بوطنهم والانتماء إليه، والذي يسمونه "تامزغا"، وتامزغا هي الأرض التي سكنها الأمازيغ منذ زمن سحيق، إذ تجسد هذه اللفظة تلك الحالة التي كانوا عليها أحراراً لا يخضعون لسلطة أحد. "تامزغا" و"الأمازيغ" ما هي إلا مفردات تستخدمها الشعوب الأصلية لشمال إفريقيا ليتمايزون بأنفسهم عن الغرباء الأجانب، وإن كان الأمازيغ قد خصّوا

---

[9]- كامبس، كابريل: في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة: العربي عقون – الباب الأول – ص 2.

[10]- ابن خلدون، عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ت: خليل شحاده، سهيل زكار، ن: دار الفكر. بيروت. 1421هـ، جـ6، ص89. ، إشراف: محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة (مجموعة مؤلفين) ن: وزارة الأوقاف المصرية. القاهرة، 1422هـ/2001م- ص275.

أنفسهم بالوطن دون العرب المسلمين في التسميات والتعابير والمفردات، في رأى الأمازيغ أن العرب المسلمين قد خصّوا أنفسهم بالوطن والسيادة والبلاد دون مراعاة للوجود التاريخي والثقل الاجتماعي للأمازيغ، وإن أصل كلمة "أمازيغ" طبقاً لعلم الاشتقاق يختلف من منطقة لأخرى، وقد ظلت لغة الأمازيغ الجزء الأكبر من تاريخها لغة شفهية فقط: غير مكتوبة[11].

وقد لاحظ المؤرخون والباحثون أن الجذر م/ز/غ (m z g) حاضر في العديد من أسماء المناطق والقبائل والأشخاص ذوي الأصل الأمازيغي، ففي تونس المزوغي والمزغني ومزوغة وواحة تمغزة... إلخ. وما كان من جذر الكلمة في تواجدها في شتى الأماكن من المغرب العربي، ما هو إلا دليل على تأصل وجودهم، وإن كان تفاوت التسميات يطغى في كل منطقة على أخرى[12]، كما لاحظ آخرون أن الجذر هو ز/غ فقط، وأن الميم ليست أصلاً، بل ظهرت نتاج العمليات اللغوية النحوية/الصرفية[13].

ولم تكن الجغرافيا بمعزل عن تقلبات الأمور، إذ أن تضاريس بلاد الأمازيغ أثرت بخاصيتين جوهريتين على مصير البلاد تأثيراً حاسماً في أكثر الأحيان، فتجزئة البلاد إلى أقسام مستقلة الواحد عن الآخر، لم يكن خطراً على الوحدة السياسية خلال العصور فقط، بل أنه ساعد في بلاد القبائل أو الأوراس مثلاً على تكوين مجموعات بشرية لها خصائصها الذاتية، فإن الاتجاه العام للجبال حسب خطوط العرض، جعل الاتصال بين الشرق والغرب سهلاً نسبياً، إلّا أنه عَدّد من الحواجز ما بين الساحل وداخل البلاد، وإذا استثنينا ساحل المغرب الأقصى المواجه للمحيط الأطلسي وشرقي تونس، فإن المغرب لا يكشف إلّا عن وجه عذائي، وكان سالسطس (Salliste) لاحظ ذلك بقوله : "بحر عارم اللجة عديم المرافئ"[14] ، ولذلك يتضح لماذا دخل جميع الغازين لبلاد الأمازيغ من أحد طرفيها، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلّا الغزو الفرنسي، ولعل في ذلك تفسيراً لبعض ما لاقاه هذا الغزو من صعوبات[15].

لم تعرف بلاد الأمازيغ قط عاصمة قارة نهائية، ولم يُتح لها البتة أن تحقق وحدتها حول عاصمة ما، وقد علل الباحثون ذلك بالتجزؤ الجغرافي وصعوبة المواصلات، وانعدام الأودية الواصلة بعضها إلى بعض، وعدم صلاحية الأنهار، وعداء البحر وقلة الأراضي النافعة، كما عللوه بانعدام مركز طبيعي يفرضه وضعها الجغرافي، ولربما تتطلب معرفة الحقيقة أكثر من

---

[11]- اللحيان: مرجع سابق، ص8.
[12]- المرجع السابق – ص9.
[13]- المرجع السابق – ص 9-10.
[14]- سالليستيوس (سالوست): الحرب اليوغرطية، ترجمة: محمد المبروك الدويب، ن: جامعة بنغازي. ليبيا. 2007م، الفصل 17 / ص 4-5.
[15]- كامبس: سابقٌ ذكره، ص 6.

ذلك، أن يذهب المدقق في الأمر مذهب أ.ف.فوتيه الذي يلاحظ سرعة الغزوات وقلة ثباتها، وفي الوقت ذاته يبدو أن الصراع الدائم بين البدو والحضر، والذي لم ينته بفوز أحدهما على الآخر، يؤكد أن هذه "الثنائية التي تعذر القضاء عليها "هي التي تعلل في الظاهر، كيف أن بلاد الأمازيغ كان لها دائماً "أسياد أجانب"، ولعله من الممكن أيضاً الأخذ بعين الاعتبار، الاختلافات والفوارق التي تكون بين أهل الجبال وأهل السهول، وهي اختلافات يقويها بطبيعة الحال تجزؤ البلاد، ولعل الذي يدرس بلاد المغرب يجد ممالك تتسع شيئاًفشيئاً، إلى أن يعَّم سلطانها البلاد قاطبةً، بل إن قبائل يوجد بها زعيم جريء، تؤسس ملكاً بفضل غزوة جبارة ثم تنهار تحت ضربات كتلة أخرى من القبائل[16]، فمثال على ذلك حين أسس الملك(ماسينيسا) [17] "زعيم مسيلي" أول دولة للأمازيغ "نوميد"، صارت بعد موته ولاية تابعة للرومان.

ابن خلدون الذي يعتبر مؤرخ الأمازيغ -في كتابه العبر-أظهر بجلاء معرفة واسعة بتاريخ الأمازيغ وشيء ظاهر من التعاطف مع طموحاتهم، وقد قسَّم ابن خلدون الأمازيغ إلى قسمين عظيمين:

البرانس (ممن استقروا من قبائل الأمازيغ، وهي مشتقة من جمع برنُس، أي عباءة)، ومادغيس الأبتر أو البُتر (وهم بدو رحل)، وتنقل البُتر بين السهول والمرتفعات، وبين النيل وجنوب تونس إلى جبل نفوسة في ليبيا ثم الجزائر...علاوة على ذلك فقد ميز ابن خلدون ثلاث جماعات رئيسة من الأمازيغ وهم مصمودة وصنهاجة وزناتة، ونسب كل منهم إلى سلالة منفصلة عن أختها، لكنهم جميعاًيعودون لسلف واحد.

"والبرنس من قبائلهم المشهورة القبائل العشرة: إزداحة، مصمودة ، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة، أوريغة، ويضاف إليهم حسب رأي البعض لمطة، هكسورة، وجزولة (كزولة)، وهذه الأصول الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، فقبيلة هوارة وقبيلة غمارة تنحدر من مصمودة"[18-19] - " أما البتر : فمن قبائلهم المشهورة أربعة : أواسة ونفوسة وضريسة ونبولوا الأكبر، وهذه الأصول الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة، فمن قبائل (لوا) تعد قبيلتا

---

[16]- المصدر السابق ص 7.

[17]- ماسينيسا (238 ق. م. - 148 ق. م.) اسمه بالتيفيناغ (اللغة الليبية القديمة) يعد موحد مملكة نوميديا, وعاصمتها سيرتا (قسنطينة اليوم) وهو ابن الملك غايا كان حليفا لقرطاج، وشارك وهو ذو 17 عاما فقط مع صدربعل جيسكو في هزيمة صيفاقس الأولى. وحارب كحليف لقرطاج في هسبانيا مع حنبعل، بفرسانه النوميديين. وبعد هزيمة القرطاجيين في الجزيرة الإيبيرية عرض خدماته على القائد الروماني سكيبيو الإفريقي، فقاتل إلى جانبه في معركة زاما، ووعده الرومان بأرض نوميديا. ودخل تحت سلطته قبيلته ماسيلي، وقبيلة الماسيسيلي، التي كانت تتبع سابقا لصفاقس. وتزعم قبائل البربر، خلفا لوالده غايا. وفي الأخير قاد حرب عصابات ناجحة ضد الرومان.

[18]- خطاب، محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، ط7، ن: دار الفكر. بيروت، 1404هـ/1984م، جـ1/ص16.

[19]- الصلابي: مرجع سابق ص 118.

نفزاوة ولواته هما الأبرز، حيث ينحدر من (نفزاوة) قبيلة (وطاطا) قبيلة (تيرغاش) ومن (تيرغاش) تنحدر قبيلة (ورفجومة) [20] ، وكل هذه الأنساب حالياً ما هي إلا أسماء أمازيغية، أي أن هذه الألفاظ خارجة من صميم لغتهم واندثر نصفها في الغياب ولم يبقى منها إلّا ما تأصّل من جذرها وتسميتها أو ما يذلك على اسم قديم من أسماء قبائلهم.

وما كان للأمازيغ من مواقف مُشَرِّفة في الفتوحات الإسلامية إنما دل على التلاحم العربي-الأمازيغي في إعلاء شأن الإسلام آنذاك، وكان لذلك شأن عظيم إن رجعنا إلى وقعات مشهورة عند العرب المسلمين. ففي القرن السابع كان وجود الأمازيغ بين الجيوش الإسلامية متمثلا بطريقتين رئيسيتين : قواد كان لهم السبق في قيادة الجيوش إلى النصر، وكان لهم مستشارين أيضاً، فضلا عن عامة الجند من الأمازيغ الذين اندرجوا تحت الألوية الإسلامية آنذاك، فقد قاتل المحاربون الأمازيغ جنباً إلى جنب مع العرب المسلمين في سعيهم إلى نشر رسالة الإسلام في أرجاء المعمورة، وكان ذلك ضد الروم البيزنطيين في شمال أفريقيا، ولاحقا في الأندلس، فكان طريف ورجاله (طريف بن مالك) [21] من أقرب المقربين إلى (موسى بن نصير) (والي إفريقيا آنذاك) وهو من الأمازيغ (كما يذكر العرب المسلمين) استعان به موسى بن نصير، كما استعان (بطارق بن زياد) (فاتح الأندلس)، الذي كان أمازيغياً أيضاً، إذ أن طريف وسريته المؤلفة من 500 مقاتل (كما يُقال 400) كانت أول من عبر المضيق وأول من دخل الأندلس من المسلمين، وكانت مهمتها الاستطلاع والاستكشاف، وقد سبقت بذلك طارق وقواته البالغ عددها اثني عشر ألفاً من الأمازيغ والعرب المسلمين، وهم من اجتاح طليطلة عاصمة القوط الغربيين، وشكل الأمازيغ السواد الأعظم من الجيش الإسلامي الذي فتح شبه الجزيرة الأيبيرية [22] وتوغل حتى فرنسا، وبعدها عاد طريف للظهور مشاركاً في ثورة (ميسرة البربري المدغري) (أيضاً المطغري) في المغرب الأقصى، وهي الثورة التي قامت على الظلم والنسيان التي تعرض له البربر، وإن كان بعض قادة هذه الثورة خوارجاً.

---

[20]- خطاب: سابق ذكره ص16-17.

[21]- طريف ابن مالك مولى موسى بن نصير ويكنى بابي زراعة: هو أمازيغي بربري من قبيلة برغواطه البربرية وتنسب اليه جزيرة طريف.

[22]- شبه جزيرة إيبيريا أو شبه الجزيرة الإيبيرية (كانت تسمى شبه جزيرة الأندلس أو شبه الجزيرة الأندلسية أثناء فترة الحكم الإسلامي للأندلس) تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا. تتكون من إسبانيا والبرتغال وأندورا ومنطقة جبل طارق. تشكل إسبانيا الجزء الأكبر منها بحوالي 85% قي حين تحتل البرتغال الجزء الغربي فيها بنحو 14.9% من مساحة شبه الجزيرة. يحدها البحر المتوسط من الجنوب والشرق والمحيط الأطلسي من شمالها وغربها وتتصل مع أوروبا من طرفها الشمالي الشرقي. تشكل جبال البرانس الحدود الطبيعية مع أوروبا لشبه الجزيرة الأيبيرية. تزيد مساحتها عن 582 ألف كم مربع في حين ان اندورا المشتركة مع الجمهورية الفرنسية تشكل مساحة 0.76 % اما منطقة جبل طارق فتشكل مساحة 0.5 %.

وقد حافظت جماعات أمازيغية إباضية على بقائها حتى الآن في جبل نفوسة بطرابلس وعلى جزيرة جربة وواحة الجريد في تونس وفي وادي مزاب بالجزائر حيث يشكلون مجتمعات المزابين.

القانون العرفي ليس موحداً بين الجماعات الأمازيغية، فهناك مجتمع الطوارق الطبقي ومجتمع الأمازيغ ذو التوجه الديمقراطي في شمال أفريقيا، وهما يجسدان نوعين رئيسين من النظم السياسية الأمازيغية، على الرغم من أن البعض يعتبر الأمازيغ أقلية في شمال إفريقيا، إلّا أن المنطقة التي يسكنها الناطقون بالأمازيغية هي منطقة ضخمة، وهي تشهد على الحجم الحقيقي والانتشار الواسع للسكان الأمازيغ.

ويرى بعض العلماء من الأمازيغ أن بني جلدتهم لا يزالون ثمانين إلى تسعين في المائة من السكان في شمال إفريقيا إذا أخذوا بعين الاعتبار المستعربين منهم، أي أنهم من العرقية الأمازيغية، بحيث يتوزع الأمازيغ بنسب مختلفة، إلّا أنه وبحسب مؤسسات أممية وإحصاءات، تبقى الغالبية من النشطاء الحياديين (أي ليسوا عربا ولا أمازيغ) يرجحون أن النسبة لا تتعدى 40% في الشمال الإفريقي، باستثناء ليبيا، ويتفق الطرفان على نسبتهم في ليبيا، أنهم يشكلون نسبة 10% من السكان في ليبيا، وعلى الرغم من أن النصف الأخير من القرن العشرين قد شهد أدواراً قيادية في مقاومة الاستعمار وبناء البلاد لدولهم الوطنية، إلا أنه لم يكن كذلك بالنسبة لأمازيغ شمال أفريقيا منذ الاستقلال، فقد قامت السياسات الحكومية بتهميش مناطق الأمازيغ، وطمس اللغة والثقافة الأمازيغية والاستخفاف بهما[23].

وإذا نظرنا في الفترات الأولى من تاريخ افريقيا الشمالية، لاحظنا أن الأمور تجري كما لو أنه كُتب على هذه البلاد أن تبقى قاصرة قصوراً وراثياً عن التمتع باستقلالها، فقد بقيت خاضعة دائماً لمدنيات وافدة من الخارج، وفي بعض الأحيان اقترن مصيرها بمصير هذه المدنيات، كما حدث إبان الانتداب الفرنسي والإيطالي والاسباني للمغرب العربي وليبيا، وتبقى مسألة الأمازيغ في خِضَم كل هذا عصية عن الحل، إذ أن الاستقلال السياسي بعد الانتداب لم يكن بأفضل حالا تحت ظله، وحسب ما يشير له الأمازيغ بين الحين والآخر بقيت فرصتهم (أي الأمازيغ) ضئيلة أو معدومة في إثبات وجودهم كمكونٍ اجتماعي خاصة في ليبيا التي حُكمت

[23]- اللحيان: ص13.

بقبضة فولاذية بعد عام (1969م-1389هـ) امتنعت عن الاعتراف بالأمازيغ، وأبت إلّا أن تدمجهم ولو بالقوة.

ونتسأل هنا هل كان ذلك التصرف تحت مسمى الحفاظ على مستقبل الأوطان من التشرذم والتقسيم، أم أنه كان للإقصاء ليس إلّا! في ظل وجود المسميات العروبية لبعض الأنظمة العربية، التي تبنت شعارات العروبة في حقبة ما وراء الخمسينيات من القرن الماضي؟ هذا التساؤل وتساؤلات كثيرة قد نستطيع الإجابة عليها، آخذين تاريخ الشمال الإفريقي، وتخصيص أمازيغ ليبيا كمثال للدراسة، إذا ما رجعنا للتاريخ واستعرضناه في فترات معينة ومن بعد ذلك انتقلنا إلى واقعهم المعاصر لنستشف الفروق، أو إن صح التعبير نستخلص أسباب نقمة هذا الشعب على العرب المسلمين من بداية تواجدهم الكثيف أثناء الفتوحات الإسلامية وإبان التاريخ القريب لليبيا بعد الاستقلال.

الفصل الأول

حالة الأمازيغ في فترة دخول الاسلام والعرب المسلمين إلى ليبيا وشمال إفريقيا من (20هـ إلى 45هـ)

اللغة الأمازيغية:

قبل الخوض في الحديث عن بدايات تاريخ علاقة الأمازيغ بالعرب المسلمين مع بزوغ الإسلام وفتوحاته، لابد أن ننتقل إلى الحديث عن تراث علمي قدمه الأمازيغ، كذكر لغتهم باعتبارها شاهد رئيس على إسهامهم في الحضارة الإنسانية، وهي التي كانت بمثابة مرجعهم إلى تراثهم وتاريخهم والحفاظ عليه، في شكل لا يندثر كاللغة وحروفها ومفرداتها.

إن الأبجدية الليبية القديمة، كما يسميها المؤرخون، تدعى "تيفيناغ" ويعتبرها الكثير مشتقة من الفينيقية، أو من المرجح أن لفظة "تيفيناغ" قد فسرها الباحثون تفسيرات مختلفة، لكن أقومها للانسجام مع الذهن أنها مشتقة من "فنيق" أي "تيفينقت"، مما يفسر ترجيح الباحثين لكون اللغة الليبية القديمة هي بمثابة الأُم لجميع اللهجات الأمازيغية وحتى اللغة الأمازيغية المكتوبة المُجمع عليها، قد يتساءل البعض هل تَمتُ هذه المعلومة بصلة للأمازيغ في ليبيا وعلاقتهم بالعرب المسلمين؟ في الواقع أجمع الباحثون أن اللغة الأمازيغية مرتبطة بالأبجدية الليبية القديمة التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، حيث تُظهر الأدلة الأثرية أنها أبجدية "سامية" مبسطة، لا تكتب حروف العلة فيها[24].

لم تكن اللغة الأمازيغية تشابه اللغة العربية بالرغم من قرب بلاد الأمازيغ إلى منابت العرب المسلمين، وقد زَعْمّ الرئيس الليبي السابق مُعَمَّر القذافي بأنها لغة عربية قديمة)، إذ تتكَوَّن اللغة الليبية القديمة من أبجدية من حروف صامتة، وهذه الأبجدية تتألف من "16" حرفا و أصبحت "23" حرفا في عهد المملكة النوميدية وانحدرت منها الأمازيغية، حتى أن اتجاه كتابتها كان يختلف على حسب الوثيقة المراد تدوينها، بحيث يتكون معظمها من أبجدية منقوشة غالباً تكتب النصوص الحكومية القديمة من اليمين إلى اليسار، بينما تنقش النقوش الجنائزية في أعمدة، وتقرأ من أعلى إلى أسفل أو العكس، وكانت تستخدم على نطاق واسع يمتد من فزان أو جنوب غرب ليبيا الحديثة، إلى جزر الكناري، وقد بقي أحد أشكال تيفيناغ حتى اليوم بين الطوارق، وقد أصبح تبنى نصوص تيفيناغ من أجل إحياء الثقافة واللغة الثقافية الأمازيغية محلاً للجدل بين الأمازيغ وبين واضعي السياسات في شمال إفريقية، في الوقت الذي اختار فيه سكان القبائل وأقليات أخرى، أن تكتب تيفيناغ بالحروف اللاتينية، حيث يرى سكان القبائل أن الحروف اللاتينية تتماشى جيداً مع وسائل الاتصالات الحديثة بكل ما هو أمازيغي خارج حدود الأراضي الأمازيغية[25].

---

[24]- كاباو، مدرار – مقال – الكتابة الليبية القديمة – موقع تاوالت الأمازيغي.
[25]- كاباو، مدرار – مقال – الكتابة الليبية القديمة – موقع تاوالت الأمازيغي.

إن اللغة الأمازيغية وفق المصطلحات الميتافيزيقية هي لغة حامية كالمصرية القديمة وغيرها من اللغات الحامية، حسب الاتجاه السالف الذكر، ويذهب الباحث اللساني (محمد المدلاوي) في مقال له حول مبادئ المقارنة اللغوية السامية الحامية منشور في العدد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجده-المملكة المغربية، إلى إمكان اعتبار الأمازيغية متفرعة مباشرة من اللغات السامية، وأن بالإمكان الوصول إلى إعادة بناء اللغة السامية الأم انطلاقاً من المقارنة بين اللغة العربية القديمة واللغة الأمازيغية، وقدم لذلك أمثلة عديدة، ومنهجية علمية دقيقة للتوصل إلى إعادة بناء الإرث المشترك بين اللغتين، غير أن بعض الباحثين (كأحمد بوكوس) يرون أن الأمازيغية ليست حامية ولا سامية وإنما لغة مستقلة بذاتها، ويرى (كارل برسه) أن الأمازيغية لغة متأثرة باللغات الأفروآسيوية أي الحاموسامية، وأن الكلمات المشتركة بين الأفروآسيوية هي ثلاثمائة كلمة، وهذا يعني أنه ليس هناك من علاقة جذرية بين هاتين المجموعتين[26].

الحروف الأمازيغية (تيفيناغ)

[26]- منشور في العدد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجده-المملكة المغربية

أ a
ب b
ت t
ج j
ح ḥ
خ KH
د d
ر R
ز z
س s
ش CH
ص ṣ
ض ḍ
ط ṭ
ع ʒ
غ GH
ف f
ق q
ك K
ل L
م m
ن n
ه h
و w
ي y
ك̲ ḳ
گ̲ g̱
گ g
ژ ẓ
ئ i
e
ۇ u

Numerals in Amazigh
ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⵙ ⵜⴰⵏⴰⵡⴰⵢⵜ
الارقام بالامـــــــازيغية
English
Amazigh Spell
Amazigh
كيفية اللفظ
عربية
One Yan ⵢⴰⵏ يان واحد
Two Sin ⵙⵉⵏ سين اثنان
Three Krad ⴽⵔⴰⴹ كراد ثلاثة
Four Quz ⴽⵓⵥ كوز اربعة
Five Semus ⵙⵎⵓⵙ سموس خمسة
Six Sdiss ⵙⴹⵉⵙ سديس ستة
Seven Sa ⵙⴰ سا سبعة
Eight Tam ⵜⴰⵎ تام ثمانية
Nine Tza ⵜⵣⴰ تزا تسعة
Ten Mraw ⵎⵔⴰⵡ مراو عشرة
Zero Amya ⴰⵎⵢⴰ اميا صفر
Hundred Temdi ⵜⵉⵎⴷⵉ تيمدي منة
Thousand Afdi ⴰⴼⴷⵉ افدي الف
Million Agnded ⴰⴳⵏⴷⵉⴷ اكنديد مليون
Billion Afd Agndad ⴰⴼⴷ ⴰⴳⵏⴷⴰⴷ افد يوكنداد مليار

الألفبائية الحرفية اللاتينية الأمازيغية المقترحة والتي تمثل كل أو معظم لهجات اللغة الأمازيغية الشمالية (الريف، الأطلس، سوس، الجنوب الشرقي، القبايل، الشاوية، المزاب، تونس، شمال ليبيا) تتكون من 35 حرفا وهي كالتالي:

A B C Č D Ḍ E Ɛ F G Ǧ Ɣ H Ḥ I J K L M N O Q R Ř Ṛ S Ṣ T Ṭ U W X Y Z Ẓ

أما علامة التشفيه فليست حرفا مستقلا وإنما هي مجرد إضافة نكتبها هكذا[27] :

b^w، g^w، $ɣ^w$، k^w، m^w، n^w، q^w، x^w.

ومن جانب آخر وخلافاً للعديد من الحضارات والبلدان التي واجهها غزو من حضارات أخرى، صمدت أغلبية الأمازيغ المتمسكين أشد التمسك بتقاليدهم في وجه الديانة الرومانية كشأنهم إزاء الحضارة الرومانية.

ولكن كان للمسيحية في بلاد البربر استعداداً لاستقبال هذا الدين، رغم ذلك من الطبقة الغنية، إذ تهيأت الطبقة الارستقراطية إلى الوحدانية بفضل الفلسفة، وتهيأ الشعب بواسطة الديانة البونيقية التي كان أصحابها يدينون بإله واحد من دون أن يسلموا بأنه أوحد ولذلك سجلت تقدماً سريعاً في تقبل ديانة الرومان المسيحية[28].

وتمهيداً للحديث عن الفتح الإسلامي من تاريخ الشمال الأفريقي سوف نستعرض التاريخ القريب الذي سبق الفتح، وماهي الممالك التي سادت الشمال قبل دخول المسلمين قادمين إليه من مصر:

أولاً: الانحدار الروماني:

كان الانحدار الروماني بداية النهاية لفترة طويلة من السيطرة على إفريقيا الشمالية، كان النظام يحمل في طياته بذرة هلاكه، فكان الخلاف في الجيش هو أول الوهن والمرض في الدولة، وكانت روما في إفريقيا آنذاك قد عانت من هذه الأعراض، إذ أن الكتائب وحدها كانت صاحبة الأمر والنهي وكل جيش كان يرى في نفسه الصلاحية لتعيين الأباطرة لفضائلهم أحياناً وثروتهم في كثير من الأحيان، كما كان يرى لنفسه الحق – كلما خطر على بال أحدهم – أن

[27]- الموسوعة الأمازيغية. تعليم الأمازيغية -في البلدان الناطقة بالأمازيغية (بعد الاستقلال). الفقرة 15 و16.
[28]- القلقشندي، أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، ن: دار الكتاب اللبنانيين. بيروت، 1400هـ/1980م. ص119.

يقتل الأباطرة الذين يبالغون في فرض طاعتهم، أو الذين تنفذ ثرواتهم. فكان قائد الجيش المنتخب يرمي بجنوده لمقاتلة الجيوش المنافسة، ولكن أكثر ما كان يخشاه المنتصر بعد انتصاره هو خنجر القاتل أو ظهور منافس جديد من يوم لآخر، أما على الصعيد الاقتصادي فقد تناقص ضرب السكة الذهبية وخلطت بمعادن أخرى بنسبة خمسين بالمائة، فانهارت بذلك مصداقية الدولة وأدت إلى هبوط شديد أمام العامة والخاصة من الشعب[29].

ومع بداية انحدار أي عهد من عهود السطوة والسلطة المطلقة وانتهاء العهد الذهبي لدولة ما، قد تصحو أطماع الكثير، وأيضاً قد يستيقظ المحكومون أنفسهم إلى مثل تلك الحقيقة، التي قد تتيح لهم فرصة الاستقلال في أوطانهم وأراضيهم، فاندلعت الثورات الأمازيغية من عهد(ألكسندر ساويرس)[30] ولم تنفك نارها مشتغلة منذ ذلك التاريخ، ولا شك أننا لانعرف أخبار الكثير منها لقلة الوثائق، غير أن ما اكتشف من النقوش يسمح لنا بمعرفة مدى الخطر الذي كان يهدد الإمبراطورية في بعض الفترات، فلم يثر الفلاحون الأمازيغيون في وجه الرومان بوصفهم رومان، بل ثاروا في وجه من اضطهادهم كائناً من كان، وخاصة الأمازيغ المتشبهين بالرومان، فنهبوا أراضيهم، وكانت بدايات الثورة سنة 253م على الأقل.

ثانياً: أطماع مملكة الوندال

وكأي فريسة ضعيفة أصبحت بلاد الأمازيغ عُرضة للطامعين بعد الوهن الإداري والسياسي والاقتصادي الذي ألم بها متزامناً مع ضعف الإمبراطورية الرومانية، بحيث قامت عدة محاولات باءت بالفشل من قِبل القوط وملوكهم في اسبانيا لضم الألدورادو المغربي والتوسع في الطرف المقابل للمضيق، ولكن البعثات البحرية كانت تنتهي بالغرق تحت اشتداد العواصف، وهنا بالمقابل جاءت الضربة من الطرف الأوروبي الآخر المنافس وهم الوندال، والوندال هم إحدى القبائل الجرمانية الشرقية الذين انتهزوا فرصة ضعف روما، فاقتطعوا قطعة من الإمبراطورية، غير أن صراعهم مع القوط كان طاغياً، فأجبرهم اولئك على الانحسار في المناطق الجنوبية من الإمبراطورية القديمة، وذلك ساعدهم كثيراً في التوسع في البلدان المقابلة لإيطاليا من البحر من سواحل ليبيا، وأغلب الساحل التونسي والداخل، وأيضاً الساحل الجزائري وتأسيس مُلكٍ في شمال إفريقيا ومركزه قرطاج، إنَ سمعة الوندال سيئة

[29]- جوليان، شارل اندريه: تاريخ إفريقيا الشمالية /المجلد الأول / تعريب: محمد مزالي / البشير بن سلامة، ن: الدار التونسية، فيفري، تونس 1983م – الباب الثامن – ص271.

[30]- يعرف باسم ألكسندر سيفيروس، وهو آخر امبراطور روماني من سلالة سيبتيموس سيفيروس واغتيل مع والدته عام 222م.

للغاية، حيث إن سطرا واحداً لم يكتب لتبرير هذه الأقوام التي وقعت تحت لفظ "المتوحشة" في كثير من التأريخات، ولم يكن تاريخهم أو سمعتهم مكتوبة بأيديهم وإنما كانت مكتوبة إما بأيدي خصومهم أو ضحاياهم، إن هذه القبائل الوندالیه لم تنزل بسواحل إفريقية إلّا بعد قرون من المغامرات والاغتراب، وعندما نزلت خربت العمران الأمازيغي ونهبت خيرات البلاد وقتلت من البربر أعداداً كبيرة، وسبت نسائهم وروعتهم بشتى أساليب البطش والشدة التي جُبلوا عليها، ولكل فعلٍ ردة فعل، ومن هنا بدأت مقاومة أمازيغية لهم[31].

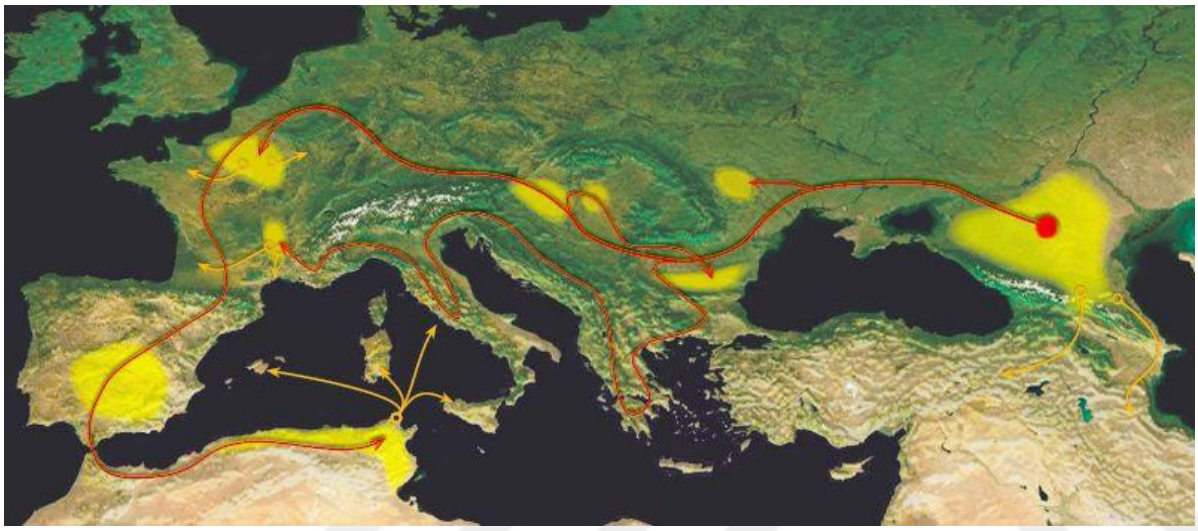

ولم يقم ملكهم(جنسريق)بالتعامل مع الأمازيغ بأحسن ما تعامل به مع الأمم الأخرى التي سيطر على بلدانها، فلم تأت مشاعر الكراهية التي حملها البربر لهم ودعتهم إلّا مقاومتهم هباء، فمثلاً تحول الأملاك تم عن طريق نزاعات لم تخل من عنف، فقد قال بروكوبيوس[32] : "اختار ملك الوندال من بين سكان إفريقية أكثرهم غنى وأعظمهم شأناً فانتزع أملاكهم وأثاثهم وسخر الرقاب بعد أن كبلها بسلاسل العبودية، ثم جرد الأفارقة من أخصب أراضيهم وأوسعها فوزعها على الوندال، وقد سميت هذه الأملاك باسم قطع الوندال، ولم تزل محتفظة بهذا الاسم إلى اليوم، ولم يلبث الملاكون القدامى أن تدحرجوا إلى أحط درجات البؤس، ولكنهم احتفظوا بحريتهم وأمكنهم أن يستقروا حيثما شاءوا، وأعفى جنسريق الوندال وابنيه من الضرائب على الأراضي التي تَمّلَكوها وأبقى لأهل البلاد جميع الأراضي التي اعتبرها ضعيفة الإنتاج، ولكنه أثقل كاهلهم بالأداءات فكانت تبلغ محصولها"، وبذلك يشير هذا النص بوضوح إلى حالة

---

[31]- جوليان: سابق ذُكره، الباب الثامن – ص 318.

[32]- بروكوبيوس – الموسوعة العربية (بروكوبيوس هو أشهر مؤرخ بيزنطي في القرن السادس الميلادي. عاش في عهد الإمبراطور الشهير جستنيان، وعايش محاولة إحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية عبر سلسلة من الحروب في الشرق والغرب خلدها في تواريخ في ثمان كتب عن الحروب في عهد جستنيان. وما كتب عن حروبهم مع الوندال تضمنها الكتاب الثالث والرابع من السلسلة).

العبودية التي كان عليها الملاكون الأغنياء، إلّا أن الحوار الذي نقله (فيكتور دي فيتا) يدل على أن كل نبيل روماني (بقايا النفوذ الروماني الذي سبق الوندال) لم يهجر أراضيه بل كان يعتبر نفسه حراً.

ثالثاً: دولة الوندال في إفريقية

أقام جنسريق في إفريقية دولة عظيمة حسب التقاليد الجرمانية (الألمانية) التي لم يتردد في إدخال تغييرات عليها كلما اقتضت سلطته ذلك، وقد دامت هذه الدولة حتى سقوط جليمار من دون أن تطرأ عليها تغيرات تذكر، فلم يكن هناك ابتكار أو تطوير في أدوات الحكم وطرائقه كما كان لدى الرومان[33].

كان الشعب الوندالي على غرار جميع الشعوب الجرمانية يتركب من نبلاء لا يستمدون ألقابهم بحكم الوراثة، بل بفضل عطف الملك، ومن أحرارٍ تضاءل نشاطهم السياسي داخل مجلس الشعب (ويقصد هنا مجلس كمجلس العموم) فأصبح وكأن كل شيء بيد جنسريق، والقسم الأخير يتألف من عبيد لافرق بينهم وبين المتاع الذي يُباع ويُشترى[34].

كان الوندال يعسكرون في إفريقية باعتبارهم الجيش المنتصر فكان الملك قبل كل شيء قائداً أعلى، ولكننا لا نعلم شيئاً كثيراً عن جيش الوندال وأسطولهم ومهما يكن من أمر فإن نجم الجيش الوندالي أفل بسرعة بعد وفاة جنسريق، وقد يكون سبب ذلك المناخ حياة الترف التي عاشها هؤلاء المنتصرون.

إن الذي كان يحمل الملك على اجتناب كل نزاع خارجي هو بالخصوص ما كان يواجهه في مملكته من مصاعب ناتجة عن ثورات الأمازيغ، فمنذ أن مات جنسريق أخذت تخف وطأة الغلظة الوندالية على القبائل، وقد أحدث الفتح الوندالي انحرافاً في الاقتصاد النوميدي، كما أكد ذلك (أ.ف.قوتيه)، مما نتج عنه اضطراب في النظام الاجتماعي واستغلال الفلاحون القلاقل التي حدثت في القرن الخامس وتعسف رجال السلطة الذين كانوا يتخدون السيف لشق عصا الطاعة وإعلان التمرد بعد أن قاسوا ما قاسوهُ من استغلال الملاكين الظالمين[35].

---

[33]- جوليان: الباب التاسع – ص 339.
[34]- المرجع السابق – المجلد الأول – الباب التاسع – ص339.
[35]- طرخان، ابراهيم: بحث نهاية: الإمبراطورية الغربية – مجلة الآداب – جامعة القاهرة – العدد التذكاري 1962، ص86.

لم يمض قرن على استيطان الوندال المنتصرين في إفريقية حتى نال الحكم من طاقتهم الجريئة ومن جهة أخرى أخذ يتوافد من الشرق خصوم جدد أشد بأساً وأكثر خطراً، وهم الجمالة الرحل المنحدرون من طرابلس يقودهم أمير داهية يدعى كاباوون (Gabaon) فاصطدم تراسموند بخطتهم الحربية الجديدة، أي خطة القبائل الجمالة المعهودة التي وصفها أ.ف.قوتييه وصفاً يزخر حياة وقوة والمتمثلة في الفر بعد الكر والالتجاء إلى الصحراء لاستجماع القوى أو للإفلات من تنكيل الأعداء[36].

ولم يتمكن الفرسان الوندال الذين تعودوا القتال بالرماح والسيوف من دفع خيولهم المُروّعةِ برائحة الإبل. حيث أن خيولهم لم تعتد على التجوال في ساحات قتال تحوي إبلاً، بحيث استخدم الأمازيغ في قتالهم إبلاً مما أثار الرعب في قلوب الجرمان أحياناً كثيرة وساهمت في انهزامهم في عدة مواقع، ولم يحذقوا رمي السهام أو الرماح وهم مقاتلوا السيوف والدروع، فقد حاولوا استهداف الأمازيغ فوق الجمال وكانوا ليسوا برماة كالأمازيغ الذين كادوا أن يبيدوا أو يأسروا الجيش بكامله[37].

رابعاً: غزو البيزنطيين لإفريقية من جديد

لم تباشر الإمبراطورية البيزنطية في إرسال قواتها العسكرية إلى شمال إفريقيا لمنازلة الوندال إلّا بعد إحساسها بضعف العدو الجرماني عسكرياً وميدانياً أمام المقاومة الأمازيغية الشرسة التي استنزفت القوة الوندالية، ووجهت لها ضربات موجعة في معارك شتى فوق التراب النوميدي والتونسي والليبي بالخصوص، وأقلع الأسطول من القسطنطينية يوم22 يونيو سنة 533م بعد أن باركه البطارقة، وكان هذا الأسطول متكوناً من خمسمائة سفينة نقل و92 طراد وكان قائد الأسطول بليزار[38].

ويبدو أن وحشية المنافس طيلة السنوات الماضية قد أوغلت في نفوس الأمازيغ والسكان عموماً إحساس بالكراهية المتنامية تجاه الوندال، بحيث أنهم انتظروا أي مخلص حتى ولو كان من الخارج، فنزل الأسطول البيزنطي على السواحل الإفريقية في أوائل سبتمبر، انتصر الجيش في معارك متعددة، وقد قام بالدخول إلى قرطاج بين هتافات الجماهير، ولم يمض وقت طويل على إقلاع الأسطول، حتى أعلن يوسطينيانوس مشروع لإعادة تنظيم إفريقية وقد ظن

[36]- عاشور، سعيد: أوروبا العصور الوسطى، ن: دار النهضة العربية. بيروت. لبنان 1976م جـ1، ص 71-72.
[37]- جوليان: الباب التاسع، ص 349.
[38]- قائد الجيش في عهد جستنيان الإمبراطور البيزنطي المشهور.

عندما بلغه خبر أسر جليمار[39] أنه من اليسير تطبيق النظام الذي كان معمولاً به قبل مجيء جنسريق، فحرص الحرص الشديد على محقِ كل أثر لاحتلال الوندال، وأقصى كل وندالي عن الشؤون العامة، حتى إن اعتنق الدين المسيحي، أما جليمار الملك الأخير للوندال فنقل وأسرته ونفي، وأتباعه قد صاروا رقيقاً وزوجاتهم جواري للمنتصرين، واضمحل عمليا سكان الوندال وانمحت الملكية الوندالية كذلك ورجعت الكنائس الأريوسية إلى الكاثوليك، والأراضي إلى أحفاد مالكيها القدامى، ولم تخل هذه العمليات من العنف والسطو كما هو الشأن في عمليات إقرار الأمن.

أما عن الأمازيغ فقد حاول كلاً من جليمار وبليزار عند استرجاع البيزنطيين إفريقيا استمالة الأمازيغ، فلقد كسب الوندال ود الكثير من المزارعين الأفارقة بعطاياه الوفيرة، وبما كان يدفعه لكل من يأتي له برأس جندي روماني، ولكنه رغم ذلك لم يتمكن من الاطمئنان الكامل إلى رؤسائهم وأغدق عليهم العطاء، لكن الأمازيغ اقتصروا على الوعود ولم يتجاوزوا الشق دون أخر حتى نهاية الحرب[40].

ولما أقلع بليزار في مراكبه قاصدا القسطنطينية مطمئناً على الأقل إلى حياد الأمازيغ وعطفهم، إذا بهم يتمردون عليه في المزاق (bazacene) ونوميدا، وقد عزا "بروكوب" ذلك من دون أن يتفطن إلى الحقد الدفين الذي كان يكنه الأهالي نحو الغازين. " إلى تحول طباعهم وتقلبات مزاجهم"، فلم يكن الأمازيغ بشعب سهل الترويض أو مائلا إلى دوام المهادنات والإذعان أمام الغزاة الذين يطأون الشمال الإفريقي[41]، ومهما يكن فإن البزنطيين واجهوا منذئذ حرباً مزمنة ضد القبائل، أما جيشهم الذي كانت تعوزه روح الانقياد ويشكو ضعف القيادة في كثير من الأحيان، كان عاجزاً عن صَّد هجمات خيالة الأمازيغ الذين لا ترهبهم الحصون ولم ينج من الكارثة إلّا بفضل حزازات أعدائه، ورغم ذلك فإن جيش البيزنطيين كان أكثر استعداداً لخوض حرب إفريقية من الجيش الوندالي، فقد كان معتمداً بالخصوص على رماة ذوي دربة وبراعة، قادرين على النيل من العدو من مسافة بعيدة[42].

ولقد ظهر فضل هذه الخطة الجديدة على حساب الفرس على الرغم من قدح الفينيقيين التقليدين وفيها بيزنطة، وظهرت نجاعتها ضد الأمازيغ، إذا كتب لهذه الخطة الفشل، وذلك

---

[39]- أيضا جيليمير: ملك الوندال آنذاك.
[40]- جوليان: الباب العاشر – ص 365.
[41]- المرجع السابق – الباب العاشر ص -365.
[42]- المرجع السابق: ص 365 – 366.

يرجع إلى تغير المعطيات تغيراً جذرياً، فقد أثّر هذا التغير تأثيراً بالغاً في حرب "تراسموند " ضد "كابوون(Gaboon)"، وعلاوة على قبائل نوميديا المستوطنة، فإن قبائل الرحل الصحراوية والليبية أخذت تواصل هجماتها، إذ أمكن لسليمان القائد البيزنطي الجديد أن يستأصل القبائل المستوطنة، فإن قواده فشلوا أمام القبائل الرحل وقضى نحبه وهو يقاتلهم، ومن ذلك الوقت أصبحنا أمام فريقين من الأمازيغ سيكون لهما دور في تاريخ المغرب وهم المزارعون المستقرون والرعاة الجَمَّالة الذين انتهوا إلى الجزء الشرقي والجنوب من الأوراس، واستعدوا لمواصلة سيرهم نحو الأنجاد والسهول التي تؤدي إلى مضيق تازة في المغرب[43].

خامساً: نتائج الحكم البيزنطي

وإذا أردنا أن نتطلع على سياسة يوسطينيانوس (أيضا يوستينيانوس: جستنيان الأول) الإمبراطور البيزنطي تجاه إفريقية، فسوف نرى أنها من الناحية العملية كانت معركة ناجحة ، وقد اعتبرها الأمازيغ أنها ضرب عدويين بعضهما بالأخر، ولكن الأهم من ذلك هو خلاصهم من الوندال بأيدٍ بيزنطية، دون الحاجة إلى الدخول في مقارعتهم مع أولئك، وكان الصراع فيما بعد بينهم وبين الأمازيغ ينتهي في بعض الأحيان بالنصر عليهم وفي أحيانٍ أخرى لا ينتهي إلى حسم نهائي، إلّا أن قسوة التعامل في جمع الضرائب ونهب الأهالي ومطاردة الناس باسم الدين، أو انتشار الفوضى في صفوف الجيش، وأخيراً نظام الحكم الظالم الذي تجلى خاصة في سياسة جبائية قاسية واستغلال للأهالي قضى على أسباب النهضة البيزنطية بإفريقية[44].

ثم بدأ البيزنطينيون يتقهقرون أمام ضربات المسلمين حيث انتصر الإسلام انتصاراً نهائياً باستيلائه على قرطاج سنة **(79هـ / 698م)** وعلى ما تبقى من ممتلكات بيزنطية في السنوات التي تلتها، وبقيت بذلك بلاد الأمازيغ طيلة قرون مشدودة إلى المشرق بروابط تتفاوت متانة كما كان شأنها في الفترة البونيقية.

سادساً: الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في فترة ما قبل الفتح الإسلامي

لقد انتهى العصر القديم بتصدع الإمبراطورية الرومانية تحت ضربات الجرمان وكانت بلاد المغرب هدفاً لأطماع الوندال والبيزنطيين، غير أن هؤلاء الغزاة لم يحتلوا بلاد المغرب

[43]- عمران، سعيد محمود – مملكة الوندال في شمال إفريقيا – ص 87 – 88.
[44]- جوليان: مرجع سابق، ص 376.

كلها، وإنما اقتصرت سيطرتهم على شمال تونس، وسواحل الجزائر، ومنطقة طنجة، فاتسعت رقعة المناطق المستقلة وعظم نفوذها من قبائل الأمازيغ، خاصة المغرب الأوسط والأقصى، وفي العصر الوسيط كوّن سكان المنطقة مجموعات مبعثرة انعدمت بينهم الوحدة السياسية فكانت إفريقيا (تونس) تمثل أغنى المناطق وأكثرها سكاناً وعمراناً وأرقاها حضارة، إلا أن أغلب المزارع الكبيرة كانت ملكاً لبقايا الرومان، وكان الأهالي المغاربة يعملون في تلك المزارع ولا ينالون حقوقهم، أما الفلاحون المغاربة فلم تكن لهم أراضي واسعة، ثم إنهم أُثقلوا بالضرائب المتنوعة، وفيما يخص المناطق المستقلة فإنها كانت تحت سلطة مختلف القبائل القاطنة بها والمتنافسة على امتلاكها من البدو، وفي مجال الحياة الدينية فيبدو أن المسيحية كانت منتشرة في المدن وخصوصا إفريقيا (تونس) وبين العجم والأفارقه، بينما اليهودية متواجدة في البوادي وبعض المدن، غير أن الديانة المحلية القديمة المتمثلة في أصول وثنية متأثرة بدياناتهم الفينيقية وغيرها من شعوب البحر الأبيض المتوسط، فإنها كانت لاتزال منتشرة بين الأهالي، وقد أدى انقسام المسيحين بالغرب إلى كاثوليك ودونا، تبين إلى قيام حروب دينية بينهم ورسوخ العداوة بين الطائفتين، ومما زاد اليونانيين حقداً على الكنيسة الكاثوليكية أن هذه الأخيرة تحالفت مع الحكّام والأغنياء وساهمت مع هؤلاء في اضطهاد الضعفاء والفقراء من الطوائف المنافسة لها ومطاردتهم. وهكذا فإن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية بالمغرب كانت عند ظهور الإسلام تمتاز بتأزم مزمن أو تمزق للوحدة القديمة نتيجة ما مُنيت به البلاد من تسلط وثروتها الطبيعية غير أن هذه الأوضاع عرفت تحولاً جذرياً حينما تعرضت هذه المنطقة إلى الفتح الإسلامي وقد دخلت مرحلة جديدة من تاريخها[45].

من هنا لم يكن الفتح الإسلامي قادماً لاستعباد الأمم بل كان آتياً لتحرير الناس ونشر رسالة عادلة من المفاهيم القديمة المغلوطة، ولكن بسياسة تطورت أطرها بتقدم السنين، فلم تكن هي السياسة ذاتها التي اتبعها الخلفاء الراشدون وولاتهم تجاه البلدان والحضارات والأمم التي تقدّم المسلمون لفتحها ونشر الإسلام فيها، كالتي اتبعها الأمويون من بعدهم، وليست كالتي اتبعها العباسيون من بعد أولئك، وهكذا تباعاً، ولم يبدأ العرب المسلمون بالتفكير في التوغل في إفريقيا ـ بعد أن استقامت مصر لأمرهم – إلّا بعد أن رأوا في استمرار الإمبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام خطراً يحدق بثغور المسلمين، وخاصة أن البربر لم يكونوا بتطبع تام مع البيزنطيين، فرأوا أن مصلحة الإسلام هو نشر الدين في المغرب في ذلك الوقت، الذي

[45]- البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي، ن: الجامعة الليبية، دار صادر. بيروت. لبنان. 1972م، ص 12.

كان ولاية من الولايات التابعة لبيزنطة، وقد يذهب بعض المؤرخين في تحليلاتهم - سواءً كانوا عرباً أم غير عرب – أن سياسة العرب المسلمين آنذاك كانت تقضي بأن يمتد الفتح باتجاه المغرب وأقاصيه، وذلك بعد أن وصل إلى اقصى الشام لأنهم يهدفون من ذلك تطويق القسطنطينية، وبالتالي يسهل الاستيلاء عليها[46].

ويمكن تلخيص دوافع الفتح الإسلامي بالآتي:

1-نشرالدين الإسلامي.

2-التصدي للإمبراطورية البيزنطية وتقويض ملكها في بلاد المغرب.

3-حماية ظهر الإسلام في مصر، ومد رقعة الدولة الإسلامية إلى حدود آمنة.

4-تقوية صف المسلمين بمؤمنين جدد.

5-توسيع رقعة الدولة الإسلامية.

6-إضافة موارد جديدة لبيت مال المسلمين.

وهكذا بقي تأثير الحضارة الرومانية عميقاً في الأمازيغ حتى أواسط القرن الثاني عشر، وما من شك في أن سرعة زوال آثار هذه الحضارة من بين الأمازيغ كانت تزداد بمرور الزمن، إلّا أن هذه الحضارة تركت حولها هالة ظلت واضحة دهراً طويلاً، على نحو ما يصيب نقوش القبور بالكنائس عندما تطؤها أقدام الناس، فلما انطفأ نورها تماماً، أبقت على شبح يوحي بالعظمة ويخلف الأساطير.

سابعاً: الفتح الإسلامي لليبيا في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13-23 هـ/634-644م)

كان عمرو بن العاص قد سار منتصراً على رأس جيش من المسلمين، ففتح جنوب فلسطين، ثم واصل سيره نحو مصر بإذن الخليفة عمر بن الخطاب، ففتح ساحلها واستولى على الإسكندرية سنة (20هـ)، وبعد أن أتمَّ فتح الإسكندرية وأمن توطيد حكم المسلمين فيها[47] أخذ يفكر في أن يوسع رقعة السيطرة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام غرب مصر، حيث يقطن

[46]- المرجع السابق، ص13، 14.
[47]- الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 30-31.

"البربر" بكثرة في "بلاد المغرب" كما أطلق الفاتحون العرب المسلمون لاحقاً كلتا التسميتين عليها، إلّا أن الدولة البيزنطية المترنحة آنذاك كانت تقف عائقاً في وجه عَمرو، وبحكم ضرورة السيطرة على برقة تأميناً لحدود مصر الغربية، لابد من التنويه أن عمرو بن العاص كان يدرك من وجهة نظره الحربية اللماحة أن بقاء المناطق المتاخمة لمصر غرباً في أيدي الروم، ليس في مصلحة العرب المسلمين، لأنها تشكل تهديداً لمصر، فأراد أن تكون مصر بمأمن من ضربات الروم وغاراتهم على الثغور، وكانت أول بادرة يقوم بها عمرو في هذا الخصوص هي أن أرسل بعثة استكشافية لبرقة، وكان قائدها عقبة بن نافع عام 22هـ / 642م ، لاستكشاف المناطق المجهولة، فلا يغامر بالجيش بهجوم كبير بذلك دون التحري أولاً، وإنما تمهد الطلائع المرسلة سير الجيش في الطريق المراد، وبذلك يتأمن الطريق إلى برقة[48]، ولذلك توجه عمرو بن العاص في سنة (21هـ.641م) على رأس قوة من جيشه وبصحبة عقبة بن نافع إلى مدينة أنطابلس (برقة- المرج فيما بعد) وفي أواخر سنة (21هـ.641م) وصل إلى برقة فاستولى عليها صلحاً وعاهد أهلها على أن يدفعوا جِزية سنوية، وبعد فتح مدينة برقة تابع عمرو بن العاص سيره على الطريق الساحلي القديم مُستهدفاً مدينة أطرابلس (طرابلس)، وفي النصف الثاني من سنة (23هـ.643م)وصل عمرو بن العاص وجيشه إلى مدينة أجدابيا ففتحها صلحاً، ولما كان عمرو بن العاص يطبق في حروبه سياسة تعميق الفتح وتأمين المواصلات، فإنه أرسل ابن أخته وقائده عقبة بن نافع على رأس قوة من الجيش لغزو المناطق الداخلية من برقة، وهنا تختلف الروايات حول ما إذا كان عمرو بن العاص قد سار بنفسه، أو سار إليها ومعه عقبة بن نافع[49].

واصل عمر بن العاص مسيرته مع معظم الجيش نحو طرابلس، بينما توجه عقبة بن نافع بفصيل من الجيش باتجاه الجنوب الغربي تاركاً بلاد ودان على يمينه وفاتحاً المناطق الداخلية حتى بلغ زويلة ففتحها، وبهذه الفتوحات في المناطق الداخلية كان عقبة بن نافع قد مهَّد لقيام الإسلام في مناطق نائية من الصحراء الليبية، إلى حد أن عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : "إن من بين زويلة وبرقة سلمٌ كلهم، حسنةٌ طاعتهم، قد أدى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية"، وإنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها إلى الفقراء، ويأخذوا

---

[48]- زيادة، نقولا: ليبيا في العصور الحديثة، ن: معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة. مصر. 1966م، ص 32.

[49]- تختلف الروايات أيضا في تحديد قرابة عقبة بن نافع من عمرو ابن العاص فهو في جمهرة أنساب العرب أخو عمرو بن العاص لأمه، وهو في الإصابة ابن أخته، وهو في سير أعلام النبلاء ابن أخي العاص بن وائل السهمي لأمه وقريبه في قريش (عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي – ص 39).

الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم[50].

لم يجد عمرو بن العاص ومعه عقبة مشقة في فتح برقة التي هادنه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية في كل سنة[51]، وهناك عوامل عدة كانت سبباً في تسهيل الدخول إليها فاتحين وأهم هذه العوامل هي:

- كثرة الضرائب التي كان يفرضها الرومان على الأهالي الذين كانوا غالبيتهم بربراً وأقليتهم من أباطرة الرومان أو الموالين لهؤلاء وتُبع لهم، فأراد البربر التخلص من تلك الإتاوات والضرائب التي أثقلهم بها الرومان.

- الإسلام وما تناهى لأسماع البربر عنه من مبادئ وقيم حميدة تمتع بها داعته وقادته، كان له أثر في أنفسهم ودافع للتخلص من الرومان، (كان الاتصال بين البربر وعمرو قد بدأ مذ كان في الإسكندرية، حيث أنهم عرضوا الطاعة في حال دخول المسلمين)[52].

- انتصارات المسلمين في المشرق التي دوت وأنهم قهروا آنذاك أقوى إمبراطوريتين وقوضوا ملك فارس وروما في العراق والشام.

- بالإضافة إلى الطريق الساحلي الذي وصل بين مصر وبرقة وسهل اجتياز الجيش، كان هناك عامل أن العرب المسلمين هم أهل الصحراء أيضاً، فكانت خبرتهم القتالية في الصحراء عالية ويمكنهم ذلك من تجهيز جندهم للحرب ببساطة ودون متاعب.

فتح عمرو بن العاص في طريقه إلى طرابلس مدينة سرت، وعندما وصلوا إلى طرابلس[53] فكانت منيعة فحاصروها وكانت الإمدادات تأتيها من الروم البيزنطيين عن طريق البحر، فاغتنموا فرصة المد والجزر وذلك عندما خرج رجل من بني مدلج[54] ذات يوم من عسكر عمرو بن العاص في سبعة نفر من المسلمين للاستكشاف أو الصيد أو للغرضين معاً، وهم مسلحون بسيوفهم ورماحهم، وبينما كانوا يسيرون غير بعيد عن سور المدينة في جهتها الشمالية الغربية لاحظوا أن مياه البحر قد انحسرت نتيجة لحركة الجزر مخلفة ممراً يابساً بين

---

[50]- البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، ت: عبد الله أنيس الطباع، ن: مؤسسة معارف. بيروت، 1407هـ/1987م ص 265/ عباس، إحسان: تاريخ ليبيا، ط1 ن: دار ليبيا. بنغازي. 1387هـ/1967م، ص23/ البرغوثي: مرجع سابق، ص41.

[51]- الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 31.

[52]- زيادة: ليبيا في العصور الحديثة، ص 33.

[53]- كانت مدينة طرابلس تشغل في تلك الآونة موقع المدينة القديمة حاليا على وجه التقريب أي ما بين سور السراي الحمراء والبحر.

[54]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ن: مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. مصر. 1415هـ، جـ2، ص 171.

نهاية السور والبحر يمكن الوصول منه إلى قلب المدينة، فبادروا باغتنام تللك الفرصة ودخلوا المدينة من ناحية كنيسة قديمة كانت هناك، وتم فتح مدينة طرابلس[55].

ويرى الباحث أن هذا السبب الآنف الذكر هو من دعاية المستشرقين وأتباعهم من أبناء جلدتنا من المنكرين لمزايا الفتح بشكل عام ولبلاد المغرب العربي بشكل خاص ، وقد برروا عدم مقاومة قبائل البربر للفاتحين المسلمين بضعف تلك القبائل لأسباب واهية وغير موضوعية، كالأسباب الآنفة الذكر، ليتنكروا للحقيقة التي تؤكد أن تلك القبائل لم تقاوم المسلمين الفاتحين، لأنها اعتنقت الإسلام وأنها أيقنت أن المسلمين حملة رسالة الحق، وأنهم جاءوا ينشرون العدل والسلام والأمن، ويخرجوا الشعوب والبلاد المفتوحة من جور الأديان إلى عدل الإسلام وهديه وتسامحه، وأنهم ليسوا غزاة ولذلك رحبّوا بهم وانضموا إليهم، بل وانخرطوا معهم في إتمام فتح بلاد المغرب، لينالوا شرف حمل رسالة الإسلام ونشرها في هذه البلاد المتشوقة للحق والعدل بعدما عانت من ظلم الرومان وجورهم وقسوتهم واستعبادهم لفترات طويلة سابقة.

ووجهة نظر أخرى يمكن أن نستنبطها أن العرب المسلمين أيضاً لم يكونوا دعاة حرب وغزو بدعوى الاحتلال، فكانوا يأتون إلى أهل البلد أو المدينة فيعرضون عليهم الإسلام أو الجزية، أو مناجزتهم إذا رفضوا كليهما، فلا يبادروهم إلى الحرب فور وصولهم إلى تلك البلدة، وإنما كانوا ناشرين للإسلام معدين لمحاسنه في الأمم وقيمه في العدالة، والحرية، والمساواة، وغير ذلك من مبادئ شجعت البربر على الدخول في عهدهم والتخلص من الرومان.

وبهذا فتح عمرو بن العاص برقة باستسلام أهلها في 22هـ/ أوائل 643م فكان فتحها ببشائر الخير في بداية فتوحات بلاد المغرب أول مدينة يفتحها المسلمون منها[56]، وصالح عمر أهلها كما أسلفنا على ثلاثة عشر ألف دينار، فكانت تدفع طواعية[57]، حتى أن برقة لم يدخلها جابٍ من العرب المسلمين، فقد تعهدوا أن يبيعوا أولادهم وفاءً لدفع الجزية ومن التحق منهم بالإسلام فكان عن طيب خاطر[58].

---

[55]- المرجع السابق، ص 171 / البرغوثي مرجع سابق، ص43.
[56]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط.دار الكتب العلمية، ط6، سنة 1986م، بيروت، جـ 3، ص44.
[57]- ابن عذارى: البيان المغرب، ن: دار الثقافة. بيروت. لبنان، ط2 1980م، جـ1، ص8.
[58]- السلاوي، الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ن: دار الكتاب. الدار البيضاء. المغرب 1997م، ج1، ص65.

وفي سنة 22هـ/642م أو مطلع 23هـ/643م استولى بسر بن أبي أرطاءة[59] على بلاد ودان[60] ،وفي سنة 23هـ/643م فتح الواحات الثلاثة ودان وهون وسوكنه[61]، ثم إن أهل هذه المناطق ما لبثوا أن ارتدوا بعد مغادرة الجيش الفاتح لبلادهم، وظلوا على ردتهم حتى فتح عقبة بن نافع بلادهم للمرة الثانية سنة 49هـ/669م، أما عمرو بن العاص فإنه عندما انتهى من فتح طرابلس أرسل عبدالله بن الزبير لفتح صبراتة وتم له ذلك، لذلك سار عمرو بن العاص ومن معه إلى مدينة شروس ففتحها، وعند هذا الحد رأى عمر بن العاص أن من غير الحكمة أن يوغل فيما أمامه من بلدان المغرب إلّا بعد أن يستأذن الخليفة، خاصة أن جيشه كان بالشمال الإفريقي[62]، ولذلك فقد كتب من شروس لعمر بن الخطاب "إن الله قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"، ولكن الخليفة لم يوافق على هذا الاقتراح ورد عليه بقوله "لا، إنها ليست بإفريقية، ولكنها المُفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"[63].

ثم توفي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في (27 ذي الحجة سنة 23 هـ/643م)، ويتضح مما تقدم أن عمرو بن العاص بدأ وأتم فتح ليبيا خلال السنوات الثلاث الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب وقد أحسن معاملة البربر فيما لاقاه من تعاونهم في تسهيل الفتح.

ثامناً: الفتوحات في إفريقية في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (23-35هـ-644-656 م)

ولي عبد الله بن أبي سرح[64] عوضاً عن عمرو بن العاص الذي يتطلع إلى إفريقية (تونس)، فراح يرسل لها السرايا الاستطلاعية الواحدة إثر الأخرى، وكانت تلك السرايا تعود بأخبار تشجيعية، مما حمل عبد الله ابن أبي سرح أن يبعث أخبار تلك السرايا إلى عثمان بن

---

[59]- **يسر بن أرطأة القرشي يكنى أبا عبد الرحمن وعداده في أهل الشام. وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مدداً لعمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه أيضاً.**

[60]- (عباس، إحسان – تاريخ ليبيا-ص23) (الزاوي-تاريخ الفتح العربي في ليبيا-ص61) (البرغوثي-تاريخ ليبيا الإسلامي-ص42).

[61]- (الزاوي، الطاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، ط. مكتبة النور. طرابلس الغرب، ط1 1388هـ/1968م/مادة سوكنة ص198-ومادة هون ص334) (البرغوثي ص43).

[62]- البرغوثي: ص44.

[63]- (الزاوي: ص56-57) (البرغوثي-المرجع السابق-ص44).

[64]- عبد الله بن سعد ابي سرح: هو أبو يحيى الحسام بن الحرث بن حبيب بن خذيمة بن نظر ابن مالك بن حسن بن عامر بن لؤي القرشي، كان أخو عثمان في الرضاعة، كتب الوحي للنبي (ص)، ولكنه ارتد عن الإسلام، ويوم فتح مكة أمنه عثمان لدى الرسول (ص)، لان النبي قد أهدر دمه لما جاء من ردته بأن الوحي يأتي له أيضا فيحرف في كلام الله عز وجل أثناء كتابته الوحي (القرآن) للرسول (ص). ومن بعد أن أمنه عثمان حسن إسلامه، وشهد فتح مصر مع عمرو ابن العاص، وعندما أصبح عثمان الخليفة ولاه اياها سنة 27هـ/647م، ومنها انطلق بغزوه لإفريقية واستعادته لطرابلس بعد ارتداد أهلها. اختلف في زمن وفاته فقيل سنة 36-37هـ/656-657م، وقيل تأخر الى أيام تولي معاوية الخلافة. (الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، ط1. ت: محمود ومحمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، سنة 1957م، دار المعارف، مصر ج1، ص534، 535) (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص9).

عفان ويستأذنه على ضوئها في فتح إفريقية، وتشجع عثمان بن عفان للأمر فاستشار فيه كبار الصحابة (من أمثال علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والعباس بن عبد المطلب) فأشاروا عليه جميعاً بأن يغزوها، وفي محرم سنة27هـ/647م جهز الجيش الذي كان يدعى بجيش العبادلة[65] وتختلف الروايات بحيث يذهب بعض المؤرخين العرب المسلمين إلّا أن عثمان كان متردداً بعض الشيء في الاستجابة لطلب عبد الله ابن أبي سراح في غزو تلك الأنحاء من إفريقية ونشر الإسلام فيها، لرفض الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رفض تحذف لهذا الفتح في أيام خلافته، فكان يصعب على عثمان تغيير هذا الموقف بسهولة، لكنه كان يميل إلى أن يُعزز موقف عبد الله الذي كان همّهَ الإغارة على الروم ومواقعهم في إفريقيا، فضلاً عن نيته للتكفير عن ذنوبه في الردة عن الإسلام[66].

ويمكننا تلخيص أسباب الدعوة لمواصلة الفتح في إفريقيا في عهد عثمان (رضي الله عنه) بالآتي:

- مواصلة الفتوحات لنشر الإسلام وإعزاز شأنه بأقوام جدد وفي مناطق أخرى غير التي فُتحت قبل ذلك.

- قرب الروم من حوز المسلمين، فكتب سعد يستأذن الخليفة فأذن له بذلك بعد مشاورات مع كبار الصحابة.

- لا يُعتقد أن أسباب الغزو التي سعى لها سعد هي الحصول على الأموال والاغتنام من تلك البقاع، وإنما السبب هو نشر الإسلام، وإدخال أهل هذه البلاد – البربر – في الدين الإسلامي.

وكان جيش العبادلة الذي أرسله الخليفة عثمان قوامه عشرين ألفا[67]، متوجهين الى إفريقية، فمرّوا ببرقة فلقوا عقبة بن نافع هناك، ومن معه من المسلمين، فرصوا الصفوف متوجهين إلى طرابلس التي كان فيها حامية من الرو، بالإضافة للبربر الذين كانوا قد ارتدوا بعد الفتح الأول لطرابلس من قبل عمرو بن العاص، فانتصروا عليهم وأقاموا حامية من

---

[65]- العبادلة هم: عبد الله بن عباس، عبد الله بن أبي سرح، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وهؤلاء سبعة من كبار الصحابة. (البرغوثي: ص 46).

[66]- (ابن عذارى: مرجع سابق، ج1، ص9) (ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية، ط8/ ن: مكتبة الأنجلو المصرية. 1998م، ج2، ص56).

[67]- (ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ن: دار الأضواء. بيروت.ج2، ص134، 135) (الباجي، أبو الوليد: الخلاصة النقية، ط1/ ن: دار بيكار. تونس 1323هـ، ص9).

المسلمين هناك تقوم على أمورها، وبعد ذلك سار ابن سعد بالجيش نحو تونس الحالية وبعث بالسرايا لاستطلاعها، وكان هرقل قد عين "جرجير"[68] الذي كان صاحب إفريقية قبل الإسلام، وواصل جيش العبادلة مسيرته حتى وصل إلى مكان اسمه (عقوبة) وهناك جرت معركة بينهم وبين جرجير حاكم سبيطلة - العاصمة الثانية لإفريقية بعد قرطاجنة وأيضا هي مقر جرجير- معارك طاحنة رجحت فيها كفة العرب المسلمين، وعرض جرجير الصلح ودفع للمسلمين الجزية، فارتحلوا عن إفريقية[4] إلى مصر، وما لبث جرجير أن نكث العهد، وجهز عبد الله بن أبي سرح الحملة الثانية في سنة 29هـ/649م وتمكن عبد الله بن الزبير – بخطة ذكية – من قتل جرجير وغنم المسلمون وعادوا إلى مصر، أما البربر، فعلى ضوء ذلك، طلبوا الصلح مع من بقي من الروم، وشرطوا لابن سعد ثلاثمائة قنطار من الذهب، على أن يذهب ويخرج من بلادهم[69] فقبل منهم ذلك، ولم يول عليهم أحداً ولم يتخذوا قيروانا[70] (أي حامية عسكرية أو حصناً).

ومن الجدير بالذكر أنه في عام 35هـ/655م نقض أهل إفريقية العهد مع المسلمين، فأعاد ابن سعد الكَرَّة ودخلها وفرض النظام في أركانها، وأقرهم بين الإثنين الإسلام أو الجزية[71]، ثم عاد الى مصر حيث كان مقامه في إفريقيا سنة وثلاثة أشهر[72]، وبعد أن أتم فتح طرابلس لم يترك فيها حامية قوية تستطيع أن تدافع عن المدينة، ورضي من أهلها بفرض الجزية فقط[73].

تاسعاً: أحوال ليبيا في عهد عثمان بن عفان:

ظلت الأحوال هادئة في المناطق الليبية التي فتحها عمرو بن العاص وقادته طيلة مدة خلافة عثمان، فقد ظلت منطقة برقة وفية لمعاهدات المسلمين، بينما بقي الساحل الطرابلسي هادئاً لا يعترض سبيل الحملات الإسلامية العابرة به إلى إفريقية، وبدأ المسلمون بتكريس جهودهم لفتح إفريقية التي كانت أغنى بكثير من برقة وطرابلس[74].

---

[68]- جرجير: "جرجير يوس"، حاكم إفريقية البيزنطي، عين من قبل الإمبراطور هرقل، ثم قسطنطين الثاني من بعده، وقيل إنه في نفس العام الذي هزمه فيه عبد الله بن سعد سنة 648م كان قد نقل عاصمته من قرطاجنة الى سبيطلة، حيث كان قد خطط للانفصال عن بيزنطة قبل عام أي في 647م. (ابن أعثم الكوفي، مرجع سابق، ج1 ص135).

[69]- السلاوي، الناصري: مرجع سابق، ج1، ص68.

[70]- ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص184.

[71]- ابن الأثير: الكامل، ج3، ص53.

[72]- ابن الأثير: المرجع السابق، ج3، ص46.

[73]- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط1، ن: دار العلم للملايين. بيروت. 1968م، ص126، 127.

[74]- البرغوثي-تاريخ ليبيا الإسلامي-ص51.

في سنة 35هـ/655م استشهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقد ظلت الأحوال في ليبيا هادئة خلال معظم سنوات الفتنة (أيام معاوية وعلي رضي الله عنهما) بفضل جنوح الليبيين إلى الاستقرار، وبفضل وجود عقبة بن نافع على رأس حامية إسلامية في مدينة برقة[75].

أما إفريقية فقد انقطعت عنها بعثات المسلمين طيلة السنوات العشر التي تلت حملة معاوية بن حديج الأولى سنة 34هـ/654م التي سنتناولها في دراستنا لحقبة الدولة الأموية[76].

عاشراً: التنظيم الإداري في العهد الراشدي ابتداءً بعمر:

عين عمر بن الخطاب لكل ولاية والياً أو عاملاً يتولى إمامة الناس في الصلاة والفصل في النزاع وقيادة الجند، وكانت سلطته في ولايته مطلقة، ولكنه مسؤولٌ عن أعماله تجاه الخليفة، وإلى جانب والي الولاية كان هناك عامل للخراج يقوم بالإضافة إلى جباية الأموال بدور الرقيب على أموال الوالي وتصرفاته، وكان عامل الخراج مسؤولاً تجاه الخليفة مباشرة ، وكثيراً ما كان النزاع بسبب هذا الوضع المزدوج يقع بين الوالي وعامل الخراج، ولعل ذلك هو أحد أسباب كثرة تغيير الولاة ، وكانت الإمارة أو الولاية نوعين خاصة وعامة، يقول الماوردي[77] عن الإمارة الخاصة (يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذبِّ عن الحريم ،وليس له أن يتعرض للقضاء و الأحكام ولجباية الخراج والصدقات)، لأن تلك من اختصاصات الإمارة العامة، وكانت الإمارة العامة نوعين إمارة استكفاء بعقد عن اختيار، وإمارة استلاء عن اضطرار، وتشمل الإمارة العامة عن اختيار الأمور الآتية[78]:

1-النظر في تدبير الجيش وترتيب أموره في النواحي وتقدير أرزاقه.

2-النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

3-جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتصريف ما استحق منها.

4-حماية الدين والذب عن الحريم وحفظ الدين من التغير والتبديل.

---

[75]- المرجع السابق، ص52.
[76]- المرجع السابق-ص53.
[77]- الماوردي: الأحكام السلطانية، ت: سنة 450هـ/1058م: أحمد مبارك البغدادي، ط1/ ن: دار ابن قتيبة. الكويت. 1407هـ/1989م، ص28.
[78]- المرجع السابق، ص 30،29.

5-إقامة الحدود في حق الله وحقوق الناس.

6-الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.

7-تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه من غير أهلة حتى يتوجهوا معاونين عليه.

وكانت إمارة العمال على إمارتهم في العهد الأول عامة، ثم رؤي أن تخصص، فكانت إمارة عمرو بن العاص على مصر عامة، إذ كان يقود الجيوش ويقضي في الخصومات ويجبي الأموال، ثم عَيَّن عمر بن الخطاب عبد الله بن سعد بن أبي السرح على الخراج، وبذلك أصبحت ولاية عمرو بن العاص خاصة بعد أن كانت عامة، وبعد قليل تقلد قضاء مصر قاضٍ للفصل في الخصومات، فصارت سلطة الوالي مقصورة على قيادة الجيش وإمامة الصلاة[79].

وبقي الأمر معهوداً على هذا النحو إلى أن جاءت الدولة الأموية.

الحادي عشر: الأسواق الإفريقية في العهد الراشدي

تعتبر الأسواق مركزاً لحركة التجارة ومحور للحياة الاقتصادية، ففي الأسواق تجري عمليات البيع والشراء خاصة المحاصيل الزراعية بالإضافة إلى السلع الأخرى، لذا تعتبر الأسواق من أهم مظاهر الحياة الاقتصادية.

كان للأسواق في عهد عمر بن الخطاب إدارة يشرف عليها صاحب السوق المعروف (بصاحب الحسبة)[80]، ولا يتولى هذا المنصب إلا من توافرت فيه عدة شروط منها: أن يكون فقيهاً في الدين، عادلاً قائماً مع الحق نزيه النفس عالي الهمة، ذا أناةٍ وحلم مع الناس، مع مراعاة آداب السلوك والمحافظة على الأخلاق العامة[81] ويجب عليه النظر في معايش المسلمين، ويتولى هذا المنصب أحياناً القاضي أو الوالي أو صاحب الشرطة ويولي عنه نواب في سائر الأقاليم التابعة له[82]، وكان المحتسب يبدأ جولته في الأسواق يتفقد نظامها من حيث ترتيبها ، ومواضعها المخصصة، كما كان يحول دون بروز الحوانيت حتى لا يعوق نظام

---

[79]- (حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ط14/ ن: دار الجيل. بيروت، دار النهضة. القاهرة، 1416هـ/1996م، ج1 -ص475-458) (البرغوثي: مرجع سابق-ص69).

[80]- يعتبر عمر ابن الخطاب أول من وضع نظاماً للحسبة، وكان يستخدم الدرة والسوط في معاقبة المخالفين، وأخذ هذا النظام ينمو شيئاً فشيئاً، وطالت فترة النمو خاصة في العصر الأموي، وبعد أن استقر العرب في إفريقية ظلت موجودة، لكن بشكل غير منتظم، ولم تحدد واجبات هذا المنصب بشكل واضح إلا في نهاية القرن الثاني الهجري والحسبة وظيفة دينية يعين فيها من يكون أهل لها – (ابن خلدون: المقدمة، ط1/ ن: دار يعرب. دمشق. سوريا، 1425هـ/2004م، جـ1، ص398-399) (الباشا، حسن: دراسات في الحضارة الإسلامية، ط1/ ن: دار النهضة العربية. القاهرة. مصر. 1975م، ص75.

[81]- الباشا: المرجع السابق-ص76.

[82]- الباشا: المرجع السابق-ص75.

المرور[83] وكان يطلب من أعوانه الانتشار في الأسواق لمراقبة أصحاب التجارات، بل كان له الحق في أن يدعوا الباعة إلى دار الحسبة ويكلفهم بإحضار موازينهم ومكاييلهم لقياسها ومعايرتها[84]، كما كان للمحتسب وأعوانه أن يتأكد من أن العملة المتداولة في السوق مزورة، ويؤكد هذا ما ذكره ابن خلدون في قوله [85] : "وأما السكة فهي النظر في النقود المتعامل بين الناس و حفظها مما يدخلها من الغش أو النقص ".

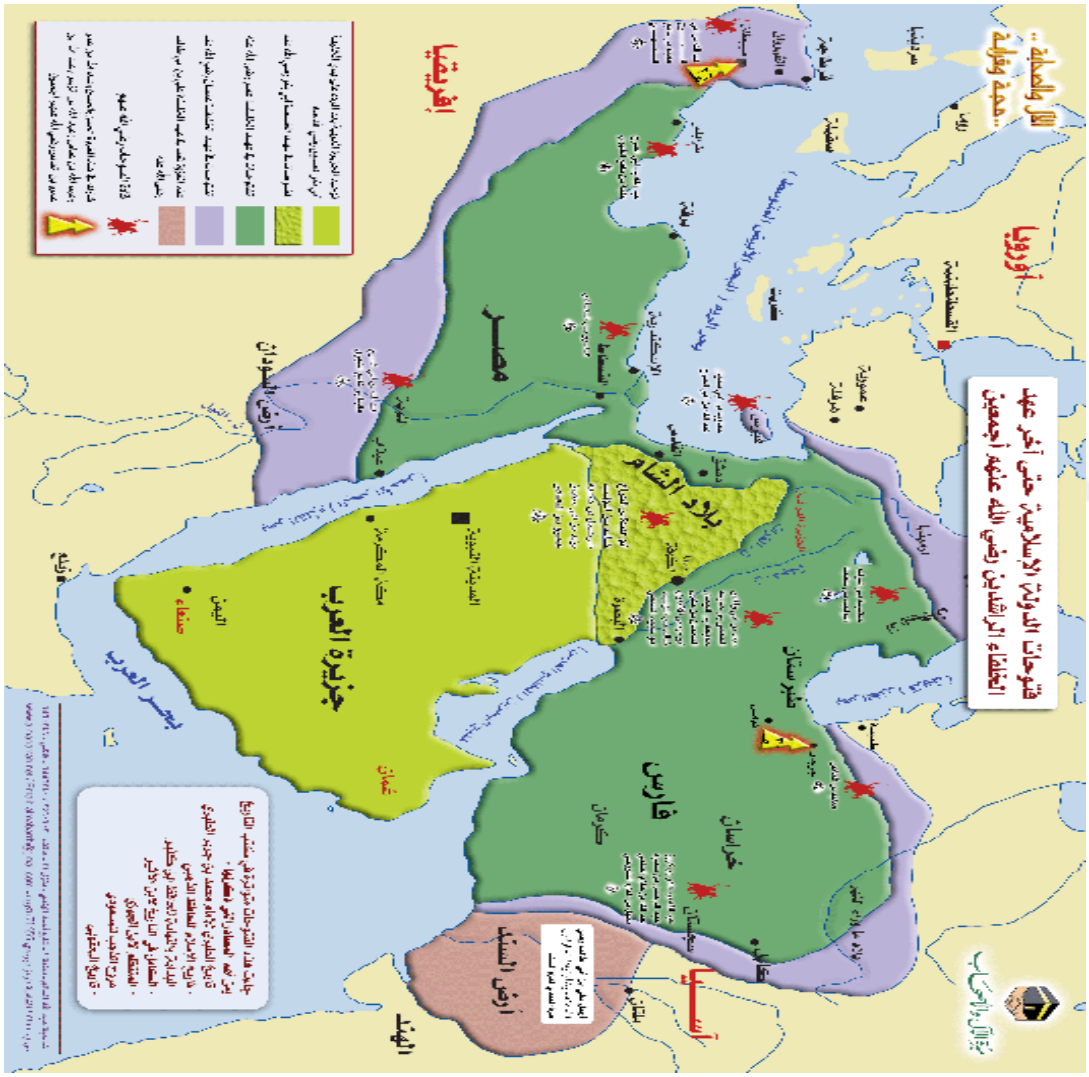

[83]- حسن، حسن ابراهيم: النظم الإسلامية، ط2/ ن: دار النهضة العربية. القاهرة. 1970م –ص298.
[84]- المرجع السابق-ص298.
[85]- ابن خلدون: المقدمة ص226.

الفصل الثاني

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أي الشمال الإفريقي من(25-60هـ)

أولاً: في عصر الدولة الأموية:

بدايات العصر الأموي كانت بداية الانتهاء من فصل ما يسمى ب "الفتنة" في البيت الإسلامي بين أنصار سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأنصار معاوية ابن أبي سفيان أو البيت الأموي، وكون مرحلة الفتنة هي بعيدة بشكل غير مباشر عن موضوعنا فلا يسعنا الخوض في مراحلها، والفتوحات الإسلامية لبلاد البربر هي لُب القضية في هذه الفترة وجوهرها.

انتهت فترة الخلافة الراشدية على خير ما يبدو بين العرب المسلمين والبربر، إذ أن الإسلام كما أسلفنا في الفصل السابق، لم يُكرِه الناس على الدخول فيه، بوجود الجزية التي اكتفى بها المسلمون في مدنٍ كطرابلس وقرطاجنة، ولكن التوجه العام كان باتجاه الدخول في الدين الحنيف واللحاق بركب المسلمين، والمرحلة القادمة من فتح شمال إفريقية والمغرب، تتضمن العديد من الأسماء الأمازيغية التي برزت في الفتوحات الإسلامية وأسهم أصحابُها إسهاماً جليلاً في تقدم المسلمين في المغرب.

وكان لابد من الفتوحات الإسلامية أن يخفُت بريقها في سنين الانقسام، ذاك أن الفتوحات واستمرارها مرتبط ارتباطاً وثيقاً باستقرار الدولة، فلا يسع الساسة توجيه الاهتمام إلى الشأن الخارجي عندما يكون الشأن الداخلي مضّطرباً في عسرٍ من أمرِهِ، ولمّا آلت السلطة إلى بني أمية و استقرّ أمر الخلافة في البيت الأموي دبّت الحياة في أطراف الدولة استعداداً لجولةٍ جديدةٍ من الفتح الإسلامي، وأصبحت التطلعات للخارج حاجةٌ سياسيةٌ مُلحّة لبيت الخلافة الجديد وما يرافقها في التعامل مع المسلمين الجدد وذوي الجزية الذين آمنهم المسلمون بالفداء.

1-حملة معاوية بن حديج[86]:

كانت بداية قصة بعث ابن حديج لإفريقية قد بدأت من البربر أنفسهم، فهي كما ذكرنا أن البربر كانوا يعطون المسلمين الجزية بعد أن هادنهم أولئك على ذلك، فلما علِم هرقل بذلك أراد أن يأخذ منهم مثلما أعطوا المسلمين، فرفضوا أن يعطوا مرةً أخرى لهرقل لما ناله المسلمون

[86]- معاوية ابن حديج (وفي روايات: ابن خديج) بن جفنة بن قتيره التجيبي الكندي، كان من حلفاء بني أمية أيام الخلاف مع علي (ض). شهد اليرموك سنة 15هـ وفتح الاسكندرية سنة 20هـ، وشهد قتال البربر مع عبد الله ابن أبي السرح وولي حروبا كثيرة في بلاد المغرب وكان أميرا وقائدا للكتائب في فتح إفريقيا. شن هجوما على صقلية سنة 44هـ وولي على برقة سنة 47هـ، وبعد أن عزل معاوية عبد الله ابن عمرو بن العاص عن مصر ولى ابن خديج عليها، فظل عليها الى أن مات فيها سنة 52هـ. (الموسوعة الحرة – ويكيبيديا: معاوية -ابن -خديج (https://ar.wikipedia.org/wiki

من جزيتهم فأصبح لا طاقة لهم ولا قدرة لهم أن يؤدوها لكلا الطرفين[87]، فأرسل هرقل لهم جامع المال خاصته البطريق (أوليمة) فحاربهم وهزم ملكهم الذي تولّى بعد جرير ويسمى (جناها أو هياهيا)[88]، وعلى إثر طرد هذا الملك إلى الشام التقى هناك بالخليفة معاوية بن أبي سفيان فخطب ودّه، ووصف له بلاده، وطلب منه المدد والعون بجيش من العرب المسلمين يعينه على الروم، فأرسل معه ابن حديج السكوني في جيش قوامه عشرة آلاف جندي سنة 45هـ/665م[89]، وتوفي جناها في طريق عودته إلى الإسكندرية بعد مجيئه إليها، وتابع ابن حديج المسير.

ولم تكن هذه أولى غزوات ابن حديج، ففي سنة (44هـ-665م وهي مختَلفٌ عليها، إذ يذهب البعض إلى أن البعث إلى سوسة كان بعد سنة 45هـ/665م كان معاوية بن حديج الذي تزعّم شق الأمويين بمصر قد توغّل في المغرب بإذن من الخليفة وأخذ ينتصر على البيزنطيين ويبث السرايا في مختلف البلاد، فكان منه بعث عبد الله ابن الزبير فهزم ابن الزبير الجيش البيزنطي بسوسة حالياً، على الرغم من قوة الجيش الروماني المبعوث للدفاع عنها، إلا أن ابن الزبير فتحها واقتحم حصن جولي فدكّهُ وعادت طرابلس وتوابعها للمسلمين، وفر الروم وتركوا البربر لوحدهم، فبذلك كان هذا آخر فتح لطرابلس وتلك الأنحاء من المغرب، ولم تتمكن أيةُ جهة أخرى من استعادتها[90].

لكن القبائل البربرية لم تكن تسهّل الأمر على المسلمين في تثبيت أقدامهم في البلاد، فكانوا يهبون ويثورون فلا استقرار لهم ولا سكون كما سنرى لاحقاً في فتوحات عقبة بن نافع.

2-حملات عقبة بن نافع[91] 50هـ/670م

كان لإقامة عقبة بن نافع ربعُ قرنٍ في بلاد البربر ومُعاشرتهم والمعرفة بأحوال بلادهم الدور الأكبر في اختيار الخليفة معاوية ابن أبي سفيان له، فقد رأى فيه أنه من أعرف المسلمين

87- ابن الأثير: الكامل، ج3، ص46.

88- (ابن عذارى البيان المغرب، ج1، ص17) (السلاوي: الاستقصاء، ج1، ص68).

89- السلاوي، المرجع السابق، ص68.

90- ناجي، محمود: تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة من العثمانية: عبد السلام الأدهم ومحمد الأسطى، ن: الجامعة الليبية. 1970م، ص128.

91- عقبة ابن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر، ولد قبل وفاة الرسول (ص) بسنة واحدة فكان صحابيا بالمولد فقط، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة وكان أول دخوله الى إفريقية أيام عمرو بن العاص وهو أمير مصر حيث جاء وصحب والده نافع بن عبد القيس اليها، كان من القواد الذين تولو جيوش المسلمين في فتح زويلة عام 21-22هـ/642م، وفي عام 41هـ/661م كان قد أرسل بأمر من عمرو بن العاص الى إفريقية ليحارب قبائل البربر في نفس العام كقبيلتي لواته ، ومزاته الذين طلعوا عليه شاقين عصا الطاعة فعاد اليهم في نفس العام أيضا فأقام أمرهم ، وفتح مناطق كغدامس وكورا من بلاد السودان ووادان، وجده معاوية كفئ لتولي أمور إفريقية فولاه عليها بعد ابن حديج ثم عزله ورده ابنه يزيد على أمرها في عام 62هـ/682م فأقام برقة ثم بنى القيروان التي عرفت بأنها مقره وحاضرته، كان عقبة نشطا في الفتوح فلا يكل من الغزو حتى يصل المحيط فوصله وفي أثناء عودته قتل مع من معه من أصحابه عام 63هـ/683م، (ابن الأثير، علي: أسد الغابة، ط1 ،ج4 ،ص59،60، ت: محمد ابراهيم البنا وأخرون، ن: دار ابن حزم. بيروت. 1433هـ/2012م) (ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص19) (السلاوي، مصدر سابق، ج1، ص69).

بها وأوائلهم في دخولها مع ابن خاله عمرو ابن العاص سنة 23هـ/663م، فضلاً عن عمله في قيادة جيش من جيوش المسلمين فيها، فكأن بداية عهده تنبئ بانتهاء فترة المساومة مع الأمازيغ والقبائل البربرية الذين كما لو أنهم اعتادوا الصراع.

إن خطط عقبة التي ساعدته في إبراز اسمه وشهرته على مر التاريخ في فتح المغرب، كانت تتميز بأنها تختلف عن خطط الذين سبقوه على إفريقية، فكان قد حارب لاستعادة مدن ساحلية لكن بضرب الإمداد الداخلي من القبائل البربرية كقبيلة مزاته[92]، فاستعاد طرابلس مرة أخرى، وأسلم في غزواته الكثير من البربر وحسن إسلامهم، ذلك أن عقبة قام بإدخال أعداد منهم في الجيش؛ لكي يتعلموا مبادئ الإسلام فيؤسس بذلك نواة للجيش من البربر أنفسهم تساعد في التخلص من الروم في الشمال الإفريقي، فبذلك كان يعمل على تقوية جبهة البلاد نفسها وبجهود سكانها وتوحيدهم تحت راية الإسلام لتحقيق النصر، إضافةً إلى خشية المسلمين من ثورة البربر الذين كانوا إذا دخلهم الداعي إلى الإسلام أجابوه، فإذا خرج من البلدة رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وتمردوا، وقد حرص عقبة على بناء قواعد دائمة كالمدن الصغيرة بحيث تكون للمسلمين فقط، فيأمنون على أنفسهم وأهليهم ومتاعهم إن هم خرجوا للجهاد[93].

لم يمضِ وقت طويل حتى قام عقبة بن نافع الذي كان قد شن غارة موفقة على الفزان بحملةٍ ثالثة تختلف عن الحملتين الأخيريتين (طرابلس وفزان)، من حيث أنها انتهت بالعرب المسلمين إلى الاستقرار الدائم، ذلك أن عقبة أسس سنة (49هـ/670م)، بأرض حرجية كثيفة الشجر فقطع عقبة الأشجار وامر الحيوانات بالخروج من المكان ثم بنى فيه مدينة القيروان مردداً بلا انقطاع طيلة ثلاثة أيام ما رواه النويري" أرى لكم يا معشر العرب المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تجعلونها معسكر وتكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر"[94] فكان يقصد بذلك الهدف بحماية المسلمين من ارتداد البربر وهي النقطة التي ذكرناها في المقطع السابق، ولئن كانت القيروان معسكر يصد البيزنطيين الذين كان من الممكن أن يجعلوا من المدن الساحلية قاعدة للهجوم، وبذلك لم تحمِ هذه المدينة طريق مصر فحسب، بل عززت أيضاً مواقع المسلمين في مواجهاتهم مع البيزنطيين، وكان من الواجب أن تبقى مفتوحة للمدد وصالحةً للانسحاب المحتمل بل وتصدّت للأوراس[95] التي انقلبت محوراً للمقاومة، ونلاحظ أن عقبة أقدم

92- عبد المنعم الماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج1، ص57.
93- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص19.
94- الثوري: المرجع السابق، ص19.
95- جبال الأوراس تشكل القسم الشرقي من سلسلة الأطلس الصحراوي التي تفصل الهضاب العليا عن الصحراء الكبرى، والاوراس يحوي اعلى قمم المغرب العربي، وايضا فيه قبر ماسينيسا وقصر الملكة **دهيا الكاهنة** ملكة الأمازيغ قبل الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا وأيضا

على التغلغل في الصحراء بقواتٍ قليلةٍ خفيفةٍ لأن الحركة في الصحراء صعبة بقوات كبيرة لقلةِ المياه فيها، ولأنه قدَّر أنه لن يصادف في تغلغله قواتٍ ضاربةٍ كبيرةٍ لشحّ المياه هناك، لأن قوات الروم النظامية لن تستطيع القتال في مثل هذا الميدان إنما ميدانها المناطق الساحلية التي تتوفر فيها المياه والقضايا الإدارية الأخرى، فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء الأصليين، وهؤلاء قليلون يمكن التغلب عليهم بقوات خفيفة كما فعل عقبة.

وعندما أتم عقبة بناء القيروان عُزل عام 55هـ/675م، ولا نريد الخوض كثيرا في أسباب عزله إلا في واحدةٍ أو اثنتين تخصُّ موضوعنا، فقد قيل عن شدّة عقبة في تعامله مع البربر[96] فقد كان مصمماً أن يُخضِع القوم وهذا سبب؛ إلا أن هنالك سبب آخر قد يظهر فيه بعض الحيرة، فقد قيل إنه يبالغ في الاعتناء ببناء القيروان مما جعله مهملاً لسائر الأمور الثانية وأهمها جمع الخراج[97] وهنا تكمن الحيرة، فكيف لوالي أن يبني مدينة بأسرها دون حاجة للمال في إعمارها؟ فإعمار المدن – وخاصة التي يتطلب بنائها سنواتٍ عدة كالقيروان (4 سنوات) – تستهلك من الخزينة حتى ما يأتي من المغانم والأسلاب في المغازي، وليس فقط من الضرائب والجباية، فلعل عجز البربر عن سداد ما عليهم في ظل ظروف الإعمار ومتطلباته قد يتجه بالبعض الى القول بأنه قاسٍ في تعامله معهم.

وخلف عقبة على ولاية إفريقية أبو المهاجر دينار[98] الذي عينه مسلمة ابن مخلد الأنصاري، الذي كان والي مصر وإفريقية، وكان خلافاً لسلفه قد فتح مع قادة الأمازيغ مفاوضات لكسب مساندتهم ضد البيزنطيين وهو الذي أسر أمير قبيلة أوربة الأمازيغية (كُسيلة الجبّار)، لا أحد يذكر أعماله في إفريقية، ربما لنُقص المراجع في ما ورد عنه أو أن نجمُ عقبة بن نافع البرّاق في أعمال إفريقية، ومسيرته الطويلة فيها والولايتين المتكررتين له، قد أخذت ألباب الكُتاب في تسطير ملاحم عقبة دون سواه ممن جاء قبله أو بعده، ولكن يمكن ذكر حدثٍ قد يعطي سبباً في قلة ذكره ، فمن بعض الذي جاء في تعامله مع عقبة أيام عزله، قد وصفت بأنها تُهَمْ وجِّهت إلى أبي المهاجر بأنه أساء إلى عقبة عندما عزله فقيل أنه لم يكتفِ بعزله فقط وإنما استخفّ بقدرِه وكره المقام في قيروانه (أي مدينة القيروان)، بل أنه عمد على هجرها،

ضريح "امدغاسن" الأمازيغي المتميز بهندسته العالية. الاوراس تضم سلاسل من الجبال والسهول امتدادها على طول الجزائر الساحلي وجزء من تونس.

96- ابن عذارى، مرجع سابق، ج1 ص 20-22.

97- ابن الأثير، الكامل، ج5، ص235.

98- أبو المهاجر دينار كان مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري وله اللقبان "أبو المهاجر" و "الدينار" أو "الديناري"، لم يذكر عن أعماله في الكتب الكثير لطغيان دور عقبة في إفريقية بشكل أكبر فأهملت أعماله، وتولى إفريقية بين سنة 55هـ – 62هـ/ 675م – 682م أي خمس سنوات. (الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 78).

وبعضهم ذهب الى أنه دمرها وخربها، وعلى هذا الكلام أجمع كلاً من ابن الأثير وابن عذارى والسلاوي[99]، ولكن كُتّاب آخرين وصفوا التّهم التي أُلصِقت بأبي المهاجر، كوضعِه عقبة في السلاسل، وكره الموضع الذي نزل به، وبنائه مدينة قريبة من القيروان نكاية بالقيروان التي بناها عقبة، وأمره بأن تُحرق وتُهدم، هي كلها تُهَم باطلة لا أساس لها إلا الإساءة إلى علاقةِ القادة المسلمين ببعضهم[100].

ويحسن هنا ذكر بعض أعمال أبي المهاجر:

- كان أبو المهاجر أول من وصل إلى الجزائر أو المغرب الأوسط كما كان يوصف في تلك الحَقبة وبذلك وسّع رقعة السيطرة الإسلامية فضمّ مناطق جديدة.

- كان الإسلام يسير جنباً إلى جنب في فتوحاته، فنشرُ الإسلام كان له الأولوية لدى أبي المهاجر حيث دخل عدد كبير من البربر بإسلام زعماء القبائل كما حدث بكسيلة زعيم قبيلة أوربة.

- لم يعقد اتفاقاً مع الروم لرغبته الشديدة في الفتح وإخراجهم لتخليص البربر – وقد لاحظ البربر ذلك – ومع ذلك لم يتمكن أبو المهاجر أيضاً من فتح قرطاجنة حاضنتهم القوية عندما حاصرها إلا أنه ساوم في أخذ أجزاء من مناطق سيطرتهم فأعطوه جزيرة شريك[101] لفك الحصار عنهم.

- هزم تحالف الروم مع بربر قبيلة أوربة الذين جمعوا للمسلمين لإخراجهم من مناطقهم، فهزمهم قرب تلمسان فظلّ يفتح مناطقً في طريقه حتى وصل إلى منطقةٍ قريبةٍ من تلمسان تدعى العيون[102].

- لسياسته المختلفة عن سياسة عقبة بن نافع أثر كبير لدى البربر، فكان يساير ويلاين في التعامل للوصول إلى غايته في النهاية، فكسب ود كسيلة وصادقهُ حتى دخل الإسلام وضمن قبيلته بذلك، فاستطاع فتح تلمسان بهذه الحركة.

---

[99]- (ابن الأثير، الكامل، ج3، ص231) (ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص22) (السلاوي، الاستقصاء، ج1، ص71).
[100]- (مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، ص 171-197) (المالكي، عبد الله: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ن: دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1414هـ/1994م، ج1، ص 60).
[101]- جزيرة شريك بين مدينتي سوسة وتونس ونسب اسمها لشريك بن قرة العبسي الذي كان عاملا عليها.
[102]- السلاوي، مرجع سابق، ج1، ص72.

وهكذا نرى أنه كان سبباً في دخول عدد كبير من البربر في الإسلام وضمان مساندتهم، فضمّ بذلك مناطق جديدة وترك الباب مفتوحاً لغيرهم بالانضمام من خلال رفقهِ بالتعامل وإظهار سمو الإسلام لبقية البربر للدخول في عهده وميثاقه.

فالعرب المسلمين والبربر احّتكوا مع بعضهم في تلك الفترة، وأدرك أولئك أن العرب المسلمين إنما كانوا عازمين على نشر الإسلام وتخليص البربر من الروم فهذه العلاقة التي بدأت في وقت مبكر أخذت تكبر حتى وصلت إلى إسلام كسيلة، الذي كان زعيماً في قومه فتبعوه.

3- مسيرة عقبة نحو المغرب:

لم يطل عزل عقبة إذ أُسنِدت إليه سنة (61هـ-681م) القيادة العليا بإفريقية من قبل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وهنا أيضا تظهر ملامح الاتّهام في روايات ابن عذارى التي تشير إلى أن عقبة قام بجر أبو مهاجر وكسيلة مكبلين بالأغلال إشفاءً لغُلِّه من دون أن يقصد، حسب ما رُويَ، و لا يجدر إلا الإيضاح قليلاً بما يتعلق بكسيلة، فعندما عزل عقبة أبا المهاجر أخبره أن كسيلة ليس مؤالفاً للمسلمين إلا ظاهراً، وأنه من جبابرة البربر الذين لم يستحكم الإسلام بقلبهم، فكان الرد من أبي المهاجر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يتآلف جبابرة العرب المسلمين الحديثين بالإسلام ولا يعمل على إهانتهم، وعلى الرغم من أن مثل هذه الأحداث مختلف فيها، إلّا أن استشهاد القائدين عقبة وأبي المهاجر معاً وقد كانوا سوية إنما يدل على أن لا شائبة بينهما، ولا يرجّح الكلام المنقول عن ابن عذارى.

ولم يحاول عقبة حصار المراكز المحصنة شمال الأوراس بل انطلق من هناك صوب جنوب طنجة مباشرةً بعد أن اصطدم بجيوش من الأهالي تعززها عناصر من الروم قرب باغاية ولامباز ثم تاهرت (Baghay) و(Lambaise) و(Tiaret)، وروى المؤرخون العرب المسلمين أن النبيل يوليان (Julien) عِوَض أن يقاوم عقبة استقبله محملاً بالهدايا الثمينة، فاستفسر عقبة عن أمر قوط إسبانيا والروم وأمازيغ المغرب واعتمد على الإشارات التي تلقاها من هذا النبيل، فاقتحم السوس وقتل أهله تقتيلاً، وكل هذا من الغرابة حتى أن قوتير (E.F.Gautier) بنى نظرية مفادُها أن سرعة احتلال موريتانية الطنجية يمكن موازاتها مع سرعة احتلال إفريقية ثم فيما بعد إسبانيا، وكان جوليان يمد عقبة بكل المعلومات الاستراتيجية والعسكرية بما يخص الروم والبربر على حد سواء، وأخبره "أن وضع جل البربر كوضع

البهائم لا يدخلون في دين النصرانية ولا غيرها"[103] وهذا إنما يدل على أن البربر كانوا متخذين الوثنية أو ديناً آخر، وأن جوليان إنما أراد أن يوجه لهم ضربةً عن طريق المسلمين من خلال تصويرهم بهذا الشكل، وتغلغل عقبة بعدها في بلاد تامسنا ووصل موقع مدينة طنجة الحالية فالتقاهم هناك وقتل منهم الكثير.

ولا شكّ بأن هذه الولاية الثانية لعقبة على إفريقية كانت حافلة لكلٍ من عقبة والبربر، فكان صدامه المباشر والأشد مع الأمازيغ أكثر منه مع الروم، فبعد نصره في طنجة لحقهم إلى وادي درعة فبنى مسجداً فيه[104] ثم وصل بلاد السوس وكان سكّانها عبدةً للنارِ أو ما يقال مجوساً، فأطاعه أهلها دون اراقه للدماء، ثم استمر في الفتح إلى مدينة أغمات[105] وكان أهلها على النصرانية ذوي صلةٍ بالروم، فالتزموا مدينتهم ولم يبرحوها ولم يلقوا عقبة الذي ضرب عليهم حصاراً نتج عنه تسويةً نزلوا فيها على حكمه بعد فترة قصيرة من الحصار المفروض، وظلّ عقبة يفتح البلاد حتى وصل وادي السوس الأقصى وبنى مسجداً فيه ثم زحف حتى وصل المحيط الأطلسي، وهو آخر ما وصل إليه فقال قولَه عندما رآه في طريق عودته : " يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى ملك ذي القرنين مدافعاً عن دينك مقاتلاً مَن كفر بك."[106]

وانتهينا فيما قبل إلى القول أن شخصية كسيلة كانت مهيمنة على تاريخ إفريقية الشمالية آنذاك، وقد ذهب بعض المؤرخين الغرب كقوتيه بأن كسيلة كان ملكاً لبني جدار وأنه على الأقل قاد بني أوربة وقال هذا المؤرخ في النهاية[107] "إن انتصار سيد عقبة كان انتصاراً بيزنطياً في معظمه أكثر من أي انتصارٍ حققه البربر فيما بعد" .أي أن انتصاره على كسيلة كان هو انتصاراً أيضاً للبيزنطيين الذين كان كسيلة يطمح إلى مجاراتهم مع العرب المسلمين تارةً ويجاري المسلمين معهم تارةً أخرى، يأتي ذكرنا لكسيلة لأنه قد هرب بعد إفساح الروم مجالاً له للعودة لقومه، ولأنه مشبّع بالحقد بعد معاملةِ عقبة له، ظناً من عقبة أن الزعيم البربري لم يدخل في الإسلام إلا نفاقاً وظاهراً يكفيه المسلمين ويجعل طموحه أكبر في استغلال الفرص ضدهم، فقد كان ذاك يعد العدة للانتقام على ما يبدو من الروايات، ويهيئ قومه الذي أهين أمام أعينهم للأخذ بالثأر أثناء عودة عقبة من المغرب الأقصى، وقد أخضع عدداً من

---

[103]- ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص29.
[104]- ابن عذارى ص27.
[105]- وهي مدينة قرب مراكش وكانت عاصمة المغرب قبلها وهي من أجمل مدن المغرب حيث يكثر فيها الزرع والغلال والبساتين والأشجار الكبيرة والهواء المنعش.
[106]- ابن عذارى: ص27.
[107]- جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص21.

القبائل في طريقه عائداً من بلاد الزاب، وحصل الانتقام بعد أن وصل عقبة جبال الأوراس وقد بعث بقوته جلَّها لتسبقه للقيروان ويبقى هو مع فرقةٍ صغيرةٍ وكان قراراً خاطئاً، بحيث أنه ظن أن بسيطرته على تلك المساحات الشاسعة وإخضاعه لمن كان ضده إنما يعطيه رهبةً وخوفاً لأعدائه من مواجهتهِ رغم أن أبا المهاجر كان قد حذّر عقبة من عاقبة إهانة كسيلة سابقاً إلا أن شكّه في ولاء كسيلة لم يمنعه من معاقبته، فسار القائدان عقبة وأبو المهاجر إلى حتفهما دون أن يعلما، عندما أراد عقبة في عودته الاستيلاء على مدينة تهوذة، فاستشهدوا جميعاً في موقعة تهوذة على يد البربر، وجمعٌ من البيزنطيين[108] أيضاً ومن ضمنهم أبو المهاجر دينار سنة 64هـ/ 684م.

4-دخول القيروان:

انتهت ولاية عقبة الثانية باستشهاده، وبما أن كسيلة يعلم أن مقتل عقبة له وقع كبير واضّطراب وفوضى يحيط بالمسلمين في القيروان، فجمع إليه قبائل البربر من كل صوب لاستغلال الفرصة.

كان زهير بن قيس البلوى هو النائب لعقبة في القيروان فأراد الثأر والتصدي لكسيلة فحاول جمع المسلمين على كلمة واحدة ولكن كان هناك أصوات متقاعسة تطالب بترك المدينة والهرب لكثرة البربر الذين جمعهم كسيلة، وبعيداً عن الاتّهام بالتقاعس لأي طرفٍ فإن من وجهة النظر العسكرية كانت الآراء فعلاً تشير الى أن كسيلة قد استعان بالروم أيضاً وأن مواجهته قد تؤدّي بالمسلمين إلى التهلكة؛ وبمثابة انتحار، ولا طاقة لزهير بهم فلا عدة للحرب لديه، ولا جند كافيين لدخول مثل هذه المعركة.

زحف البربر إلى القيروان ودخلوها وكان قد هرب من فيها إلا قليلاً وكان جلّهم من المسلمين، وهكذا كان كسيلة قد جمع جبال الأوراس والقيروان والجزء الأعظم من تونس وقليلاً من قسنطينة تحت ملك واحد تزعّمه هو، وبهذا فقد المسلمون معظم ما فُتح في إفريقية والمغرب ودخل البربر القيروان في نفس العام الذي أستشهد فيه عقبة عام 64هـ/684م[109].

---

[108]- جوليان: مرجع سابق، ص22.

[109]- (ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص31) (دائر المعارف الإسلامية (مجموعة مؤلفين غربيين)، ت: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، ن: مركز الشارقة للإبداع الفكري. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة 1418هـ/1998م، ج3، ص504).

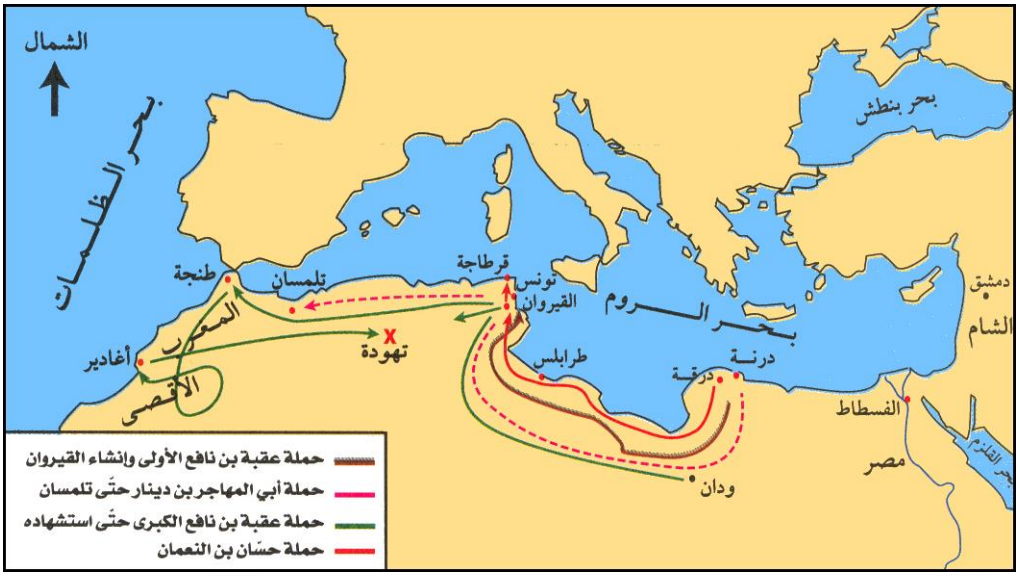

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة أمر بن قيس البلوى الذي انحسر إلى برقة بعد احتلال القيروان بالخروج لاستردادها، لكن زهيراً لم يكن لديه العدة والرجال الكافيين للقاء كسيلة فطلب المدد من الخليفة فأمده بما يحتاج[110]، وهنا بدأ التحضير للمعركة من برقة باتجاه القيروان، وأخذ زهير يُعد العدة وهو يعلم أن كسيلة قد وصلته الأنباء عن التحرك فطلب ذاك السند من الروم الذين جمعوا له جيشاً عظيماً مع قواته من البربر[111]، إلّا أن كسيلة أخرج قواته من القيروان لتكون المعركة خارجها خوفاً من تظافر جهود المسلمين الموجودين في القيروان ومحيطها عليه لمساندة زهير فأتخذ موقع "ممس"[112]، و لاتخاذه ذلك الموقع أهميةً استراتيجيةً حربيةً بحيث أنه إذا ضمن البربر الانتصار على المسلمين طردوهم إلى طرابلس، وإذا غلب أولئك كان الجبل القريب من ممس مأواهم وملجأهم يحتمون به في حال انسحابهم.

وهكذا بعام 69هـ/688م خرج كسيلة متجهاً إلى ممس متحصناً بها، وخرج زهير من برقة ونزل قرب القيروان ولم يدخلها وعسكر بقربها حتى يحسم أمر كسيلة، وبعدها بدأ الحراك الفاصل وهزم المسلمون جمع البربر والروم – رغم أنهم كانوا أضعاف قوات المسلمين – وقتل كسيلة[113].

من خصال زهير بن قيس البلوي أنه رجل زاهد خارجٌ في طلب الجهاد وليس في طلب الملك أو السلطة على البلاد كما أراد ابن الأثير تعريفه، فلم يرد زهير المقام في القيروان لِما

---

[110]- ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص31.
[111]- ابن الأثير: الكامل، ج3، ص302.
[112]- ممس أو مسميس وهو مكان يقع بين القيروان وتبسا.
[113]- ابن الأثير: ص309، 310.

وجده من عظمة ملكها على وجه الخصوص، ولِما رآه من عظمة الملك في إفريقية بشكلٍ عام، على أن الرجل لم يترك القيروان حتى أقام أمرها ، ودبّر شؤنها، وترك زمرةً من صحبه المسلمين فيها ومن ثم عاد إلى برقة، وأثناء عودته صد قوةً من الروم كانت تسبي النساء مرحّلين إياهن بالسفن، فحاول أن يجابههم ولكن الروم كانوا أكثر فقُتل مع أصحابه[114]، وعلى الأغلب أن الموقعة كانت في المكان الحالي لمدينة درنة الليبية لأن هناك تقع قبور زهير وصحبه وتسمى قبور الشهداء[115].

5-حسان بن النعمان الغسّاني[116] ونهاية البيزنطيين في إفريقية

وولّيَ حسّان بن النعمان الغسّاني بعد زهير وقد يقال بعد عقبة لأن زهيراً انتدب لمحاربة الروم والبربر من الخليفة ولم يُذكر أنه عين والياً في بعض الروايات، وحسان قد اتّبع طرقاً جديدةً فبدأ بإزالة الخطر البيزنطي، وسار حسان بجيشٍ عدده أربعون ألفاً إلى إفريقية للانتقام من الروم، فسار هذا الجيش إلى قرطاجنة وكان يومئذٍ بها جموع من الروم ولم يكن المسلمون قط حاربوهم بل كانوا يحاصرونها، ويفرضون على أهلها مالاً، ويتركونها لأهداف أخرى، فلما وصل حسان إلى قرطاجنة رأى بها من الروم والأمازيغ جيشاً كبيراً فقاتلهم وحاصرهم، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا مراكبهم وسار بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ففتحها حسان عنوةً، كذلك زحف حسان على بقية الروم وهزمهم في معاقلهم المتفرقة على الساحل حتى طردهم من كل إفريقية وعاد بعد ذلك إلى القيروان لأن الجراح كانت قد كَثُرت في أصحابه، وكان هذا مشجعاً لحسان على أن يعود إلى حرب أمازيغ جبل الأوراس الأشدّاء وكان على رأسهم بعد كسيلة امرأة قوية من قبيلة جراوة البترية ،عُرفت بالكهانة لأنها كانت تخبرهم بشي من الغيب وكانت تلقب (بملكة البربر) وقيل لحسان عنها بعد أن سأل "إن جميع من بإفريقية منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون، فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد أو معاند"[117].

---

[114]- المصدر السابق ص310.

[115]- الباجي: الخلاصة النفية، ص10.

[116]- حسان بن النعمان الأزدي الغسَّاني، هو حسّان بن النعمان بن عديّ بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأزد، المُلقَّب الشيخ الأمين قائد الفتوحات في إفريقية.ولد حسان بن النعمان في الشام، وأسلم عند الفتح الإسلامي للشام مع أهله. حفظ القرآن والسنة النبوية وأتقن العلوم الفقهية، وروى عن عمر بن الخطاب، وكانت وفاته سنة 86هـ. (ابن عذاري: ص31-33).

[117]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص 35.

ويذكر ابن الأثير[118] : أن الكاهنة هي التي خرجت لقتال حسان غضباً لقتله كسيلة فلما زحف حسان إليها غررت به واستطاعت أن تهزمه في وادي تبنى في أقصى إفريقية وبقيت الكاهنة تحكم المغرب كله بما فيه إفريقية وذلك بمساعدة أولادها، وقد ظل حسان في برقة إلى أن انتهت فتنة ابن الزبير وأرسل الخليفة إليه المادة والقوة ليرحل لمحاربة الروم والبربر، وفي تلك الأثناء كان الروم الذين طُردوا من حصن قرطاجة قد عادوا إليها ، لأن سقوطها أحدث أثراً في بلاد الروم فما أن وافى عهد الإمبراطور ليون الذي كان يحارب المسلمين في أرمينية حتى أرسل إليها أسطولاً استولى عليها في سنة 78هـ-697م واشترك في هذه الحملة الفرنجية الكثير من القوط ويبدوا أن حساناً حاصرها من البر والبحر غير أن عبد الملك أوعز إليه باتخاذ دار صناعة لإنشاء الآلات البحرية فتمكن حسان من الاستيلاء عليها وكان هذا نهاية الاحتلال البيزنطي في إفريقية.

ولكن مقاومة الأمازيغ استمرت بزعامة الكاهنة التي أحست بخطورة حسان هذه المرة فكانت تحرق وتدمر القلاع لتعوق تقدمه وتقطع أشجار الزيتون مصدر ثروة البلاد، فصمم حسان على قطع دابر مقاومتها خصوصاً وقد انضم إليه البربر المسلمون والنصارى الذين نفروا من سياسة الكاهنة المدمرة، ويبدو أن حساناً لم يتمكن من قتلها إلا في سنة (83هـ/702م)، وقد تنبأت الكاهنة بموتها وبالقضاء على مقاومة البربر وخضوعهم للمسلمين وبذلك قضى المسلمون على آخر حركة قام بها أهالي البلاد لردّهم إذ كانت الكاهنة هي الحصن الأخير الذي احتمى به أهل البلاد فلما سقطت انتهت كل المقاومة ولم يبق أمام المسلمين غير مقاومات طفيفة من بعض قبائل الأمازيغ[119].

وبذلك انتقلت السلطة إلى العرب المسلمين ولم يبقى في حوزة الروم إلا مراكز صغيرةً متعددةً متفرقةً وقد أجمع المؤرخون العرب المسلمين على أن الفاتحين وجدوا في الروم وحُضّر الأمازيغ أعواناً قيمتهم لا تقدر.

لما رجع حسان إلى القيروان عمل على تنظيم أمور البلاد، وفرض الضرائب، وتحسين الجباية، وعمل أيضا على الفصل الإداري لولاية إفريقية عن مصر الذي كان واليها أخو الخليفة عبد العزيز بن مروان، فنشأ خلاف حاد على إثر ذلك بينهما وذهب حسان إلى الخليفة في دمشق وأعلمه بمضايقات عبد العزيز وأقدم عليه بهدايا من الذهب، والفضة، والجواهر

[118]- ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 31، 32.
[119]- شاكر، محمود: موسوعة الفتوحات الإسلامية، ط1/ ن: دار أسامة. عمان. الأردن 2002م -ص144-145.

كان قد أخفاها عن والي مصر الذي عزله كما قيل أثناء عبوره إلى دمشق ، فحاول الخليفة رد حسان على ولايته لكن حساناً رفض قائلاً "لا أولي لبني أمية أبدا" وفي مقولة أخرى "إنما خرجت مجاهداً في سبيل الله"[120].

6-ولاية موسى بن النصير (86هـ/705م)

وكما أسلفنا أن عبد العزيز بن مروان قد عزل حسان الذي توفي عقب عودته من دمشق وأوكل لموسى ابن نصير أمر إفريقية، فلم يكن منه إلا أن وسّع رقعة انتصارات سلفه، وإذا كان من الصعب جداً ضبط فترة هذا التعيين طالما أن التواريخ المذكورة متغايرة، جاز ترجيح سنة (86هـ/ 705م) مع تقدير نسبة الخطأ بعشر سنوات تقريباً.

وأول ما قام به موسى بن نصير إخضاع المغرب الأقصى عند المضيق حتى المحيط الأطلنطي والتوغل إلى سجلماسة في تفيلات، ولئن أخفق في فتح سبته فإنه احتل طنجة، وكانت البلاد آنذاك آهلة بقبائل الأمازيغ من سلالة صنهاجة ، فكانت قبائل غمارة نازلة بساحل البحر المتوسط، وقبائل برغواطة على طول المحيط الأطلنطي بين مضيق جبل طارق ومصب أم الربيع ، أما قبائل مكناسة فقد استوطنت وسط البلاد، وقبائل مصمودة حطت بالسطح الغربي من الأطلس الكبير وساحل أم الربيع في بلاد السوس، وأقامت قبائل هسكورة بين السوس ودرعة وقبائل لمطه ولمتونه على الضفة اليسرى من درعه، ولقد طبَّق موسى الدين الإسلامي في حزم شديد على هذه القبائل المسيحية أو اليهودية المنصرفة غالباً إلى عبادة الطبيعة وكذلك على القبائل المرتدة في سائر بلاد الأمازيغ.

وإن أردنا التعمق في سياسة موسى بن نصير تجاه البربر، فقد كانت تشابه إلى حد كبير سياسة عقبة ابن نافع، إذ أنه اشتد عليهم حزماً وقوةً حتى لا يفكروا في الردة عن الإسلام والخروج على المسلمين.

كان موسى بن النصير يكثر من إرسال الغنائم – التي كانت وفيرة في عهده – إلى الخليفة بأعداد مضاعفة وخاصةً السبايا وكان هذا محل نقد ونقمة البربر والعرب المسلمين على حد سواء، حتى في بلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك[121]، فقد جلب على نفسه في تلك الآونة حنق البربر وسخطهم الذين كانوا بالأصل ذوي تمرد وثورة بحكم حياتهم البدوية، فيُذكر ارتدادهم

[120]- ابن عذارى: مصدر سابق، ص39.
[121]- بن عذارى، ص23.

اثني عشرة مرة في عهده من سواحل ليبيا وصولاً إلى المغرب الأقصى، ولم يهدئوا ويحسن طبعهم وإسلامهم إلا بعد تولي طارق بن زياد على أمور طنجة وبعثه في فتح الأندلس وقد اصطحب ذاك العديد من البربر معه[122]، وبالرغم من أن الحزم كان عنوان سياسة موسى إلا أن الحكمة والحلم كانت ترافقها وسنأتي على ذكر هذه النقطة.

أراد موسى بن نصير أن يُدخل قبائل المصامدة أيضا في الإسلام[123] فأرسل طريف بن أبي زرعة إليهم فكان إسلامهم طواعية على عكس غيرهم من قبائل البربر[124]، وهناك جزء من سياسة موسى قد يجهلها البعض، فبالرغم من قسوته، إلا أنه كان حريصاً على متابعة أحوال الأمازيغ، والعمل على راحتهم، وبالموعظة فكان يعظ ويضرب المثل والقدوة في تعامل المسلم الحقيقي، وكيف يجب أن يكون، بالإضافة إلى تفقده للأسرى فمن وجد فيه بطانة صالحة إن كان حسن إسلامه أصبح مولياً له فينتقي منهم من يرى فيه أنه يقبل على الإسلام طواعية، ويختبره حتى يجده صالحاً فيعتقه، ويعود الفضل لموسى في هذه الطريقة إلى إدخال العديد من البربر في الإسلام فكانت الحكمة والحلم من سماته.

أيضاً كان لتعيينه طارق بن زياد على إقليم طنجة تخفيفاً للتوتر وامتصاصاً للحقد لدى البربر، فقد ارتاح هؤلاء لترقية واحدٍ منهم وجعله والياً فكان ذلك مؤشراً أنهم ليسوا بمعزل عن المراتب العليا وخاصةً أن من كان تحت إمرة طارق في فتح الأندلس أيضاً كان جلهم أمازيغاً، فدخلوا الإسلام أفواجاً وكانوا مدافعين بصدقٍ عنه[125].

عُزل موسى بن نصير من قبل سليمان بن عبد الملك أخو الوليد الذي تولّى الخلافة بعد أن توفي الوليد بمرضهِ، وأسباب العزل كان جُلّها انتقاد موسى في تصرفاته وخاصةً بما يخصُّ الغنائم والثروات، ولكن عزل بني أمية للولاة ذوي النفوذ العظيم كموسى هي سياسة متبعة لديهم خشية الانفصال وتفكك الدولة الإسلامية.

---

[122]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص22.

[123]- المصامدة: قبائل تقطن جنوب المغرب الأقصى وعددها كبير، وهي التي أقامت دولة الموحديين في المغرب في القرن السادس الهجري /12 م (سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص97).

[124]- ابن عذارى مرجع سابق، ج1، ص43.

[125]- عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي. ط2/ ن: منشأة معارف. الإسكندرية. مصر 1993م، ج1، ص250.

ثانياً: التحول الإداري في شمال إفريقية:

بعد أن استتب الأمر لعبد الملك بن مروان أمر بأن تكون اللّغة العربية وحدها هي لغة الدواوين جميعها بقصد إيجاد الانسجام في إدارة الدولة الإسلامية، ففي عهده نقل ديوان الشام من اليونانية إلى العربية كما أن الحجاج نقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية، أما ديوان مصر فتأخر نقله إلى أوائل عهد الوليد، ويرى ابن خلدون أن سبب تعريب عبد الملك للدواوين هو أن المسلمين في زمانه كانوا قد انتقلوا من طور البداوة وأقبلوا على تعلم القراءة والكتابة، ويرى أيضاً أن الذي يساعد في اتخاذ خطوات التعريب، هو أن اللغة العربية أصبحت في متناول كثير من الكتّاب في البلاد المفتوحة، وهم الذين كانوا يملؤون الدواوين وبخاصةٍ الموالي الذين أسلموا، فمنذ زمن سيدنا علي (كرم الله وجهه) ظهر بعض الموالي المهرة الذين كانوا

يبحثون في قواعد اللغة العربية مثل أبو الأسود الدؤلي (66هـ/686م) الذي عاش إلى زمن الأمويين[126].

وعلى ذلك أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في جميع أرجاء البلاد الإسلامية، مما مهد لتعريب ألسنة شعوبها، بحيث غلب الخط العربي على خطوطها كما انعدمت أمامه بعضها مثل الآرامية والسريانية والقبطية. كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الدين في منطقة واسعة من البحر الأبيض، ولم يقتصر الأمر على من تحول إلى الإسلام، بل تعداه إلى غيرهم من سكانها من المسيحين.

ثالثاً: تحول الحياة الاقتصادية لدى البربر في العصر الأموي

تتكون الحياة الاقتصادية في ذلك العصر من الزراعة والصناعة والتجارة:

1-الزراعة:

لم يكن الولاة بمنأى عن تغيير القسمة في الزراعة ولو بشكل طفيف في تلك البلاد، فقد كان لهم سياساتِهم وخاصةً عقبة بن نافع، وتوجد الزراعة في معظم بلاد البربر في المنطقة الممتدة من برقة إلى طنجة على الساحل الشمالي وبخاصةٍ المغرب الأوسط والمغرب الأقصى أما المغرب الأدنى فلا يوجد فيه مياه للزراعة بحيث إذا فارقت طرابلس لا توجد أنهار إلى حدود مصر[127].

وهناك قسمان يتبعان للبربر في أجزاء إفريقية الشمالية ويختص بالزراعة والرعي، الأول يتبع البربر البرانس ويتألف من الساحل الشمالي ما يحاذي البحر المتوسط من برقة في ليبيا حتى المحيط في المغرب، وجبال الأطلس حيث المناطق التي يتدفق عليها المطر الشتوي المناسب للحبوب ، وأودية الأنهار التي تكثُر الزراعة على أطرافها، والقسم الثاني يتبع البربر البتر ومعظم قبائلهم في الجزء الصحراوي الذي يضم وسط وجنوب بلاد البربر ويبدأ من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى، ويعتمد هؤلاء البربر في حياتهم على التنقل بين

[126]- (الماجد: مرجع سابق، ص162، 164) (شاكر: موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص146).
[127]- عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص69.

الهضاب والمناطق الجبلية حيث تسود حرفة الرعي ، لأن معظم أراضيهم جافة حيث التأثير الصحراوي[128].

أما ملكية الأراضي وأوضاع الفلاحين فقد بدأت ملكية الأراضي الزراعية تختلف تنظيمياً في إفريقية مع بداية تأسيس مدينة القيروان عندما أمر عقبة بن نافع تقسيمها خططاً ودوراً، وكان من نصيب الفهريين (أقرباء عقبة) المنطقة المجاورة للمسجد بالإضافة إلى المنطقة المجاورة لدار الإمارة وظلّت تابعةً لهم حتى اشتراها بشر بن صفوان بغرض توسيع المسجد[129]، أما أراضي النبلاء البيزنطيين وخاصة الموجودة على الساحل فقد استولى عليها المسلمون بعد أن هرب الروم، وطردوهم إلى صقلية والأندلس[130].

من جانب آخر نجد أن حسان بن النعمان اتفق مع صاحب قرطاجنة[131] على أن يفتح له باباً لدخول المدينة، مقابل أن يخصص له منطقةً بها أرضٌ ومنازلٌ وخاصةً الموجودة بين الجبلين والتي يقال لها فحص مرناق[132]، ويذكر أن حسان بن النعمان قسّم الأراضي بين العرب المسلمين والبربر بعد هزيمة الكاهنة[133] ومع قلّة النصوص الدالة على وجود ملكيات ذات حجم كبير خلال العصر الأموي، فقد كان معظم اهتمام خلفاء بني أمية وعمالهم موجهاً لنشر الإسلام فتركوا الأراضي الزراعية في يد أصحابها من أهالي البلاد الأصليين وكان يفرض على هذه الأراضي خراجاً أو ضريبةً محدودة وهذا الخراج أحد الموارد المالية الهامة بالإضافة إلى الزكاة والجزية.

2-الصناعة:

تعتبر الصناعة أحد أسس النشاط الاقتصادي الهامة وللصناعة شروط منها المواد الخام، سواء زراعية كالحبوب، والأشجار والغابات أو مواد خام حيوانية كالصوف والجلود أو مواد خام معدنية كالحديد والنحاس وغيره، بالإضافة إلى الأيدي العاملة ورأس المال والسوق الذي يتم فيه توزيع المنتجات، ومما هو جدير بالذكر أن معظم الصناعات التي قامت في بلاد البربر في العصر الأموي كانت صناعة يدوية يسيطر عليها أفراد، وهناك قليل من الصناعات التي تشرف عليها الدولة ولا يُسمح للأفراد بالإشراف عليها مثل صناعة السفن. فنجد مثلاً أن عبد

---

[128]- الجوهري، يسرى: الجغرافيا العامة (جغرافيا العالم العربي)، ص55.
[129] - البكري، ابو عبيدة: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: سلسلة الممالك والمسالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة -ص23.
[130]- ابن عذاري – البيان المغرب -ج1-ص35.
[131]- صاحب قرطاجنة يسمى مرناق: هو بطريق كان يحكم قرطاجنة في وقت فتح حسان لإفريقية (البكري – مصدر سابق – ص37).
[132]- الفحص بفتح أوله وسكون ثانيه وهو السهل المحيط بالمدينة وبالمغرب عدة مواضع منه (ابن الأثير-الكامل –ج2-ص33).
[133]-الدباغ وابن ناجي -معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان –ج1-ص61، مصر، سنة 1968.

الملك بن مروان الخليفة الأموي، أمر والي مصر عبد العزيز بن مروان أن يرسل لحسان بن النعمان ألف قبطي ممن لهم خبرة بصناعة السفن لإنشاء قاعدة للأسطول الإسلامي، حتى يتمكنوا من بناء المراكب اللّازمة لصدِّ هجمات الروم في البر والبحر، هذا إلى جانب هجوم المسلمين على الروم حتى يشغلوهم عن مهاجمة المدن الإسلامية كالقيروان وغيرها، فأقام حسان لهؤلاء الأقباط بتونس دار لصناعة السفن وقد ساعد البربر في هذه الصناعة بتجهيز وجر الأخشاب اللازمة لصناعة المراكب والسفن.

وقد قامت في بلاد البربر صناعة المنسوجات المختلفة واشتهرت بها، فقد اشتهرت بلاد السوس الأقصى بصناعة الثياب كالبرنس والجبب والثياب الرفيعة التي تشتهر بها سوسة[134] والتي يحملها التجّار إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً[135]، بالإضافة إلى فرشهم التي ينامون عليها وكان للمرأة دور كبير في هذه الصناعة وخاصة في الجنوب بحيث تتمتع المرأة في بلاد المغرب بالنشاط والحيوية وتحمل الظروف المناخية والذكاء وحسن الجمال[136]. وقد برع الكثير من البربر في نسج الصوف وكانوا يعتمدون في صناعة نسيج الصوف على الشعر المأخوذ من الإبل والصوف المأخوذ من الأغنام فيصنعون منه الثياب والخيام والفرش والأغطية وغيرها[137].

وهناك صناعات أخرى اشتهرت بها بلاد المغرب دخلت حديثاً وقتها على العرب المسلمين، ولاقت رواجاً كصناعة زيت الزيتون وصناعة الحرير، وهناك صناعات أخرى كالزجاج فضلاً عن تصنيع المعادن أو التعدين واستخراج المعادن التي تواجدت في أنحاء المغرب وبالأخص التي تسكنها القبائل الأمازيغية كبلاد كتامة (مسماة على اسم قبائلها: قبائل كتامة)، فنفعت بذلك كِلا الطرفين العرب المسلمين والبربر، فمنهم من كان يستخرجها، ومنهم من يحترف تصنيعها، ومنهم من يتاجر بها ولم تكن حكراً على أحد.

بالإضافة إلى الصناعة الغذائية والصناعة الخشبية، أخذت القيروان مرتبة عالية في صنع العطور على يد أبنائها، وكان العرب المسلمين يبعثون صبيانهم إلى من يتقن الحرف بشكل عام فيتعلمون لديهم ويتقنون فن صناعتها.

---

[134]- تشتهر مدينة سوسة أيضاً بالحرير وكان يباع بها غزله زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب وبها كانت تقصر ثياب القيروان الرفيعة (البكري- مصدر سابق-ص36)

[135]- الطوسي، أبي جعفر محمد – الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق: محمد جواد الفقيه، دار الأضواء، بيروت، 199، ص119.

[136]- ابن الوردي، سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب - ت: انور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة 2008م، ص15.

[137]- دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ط2/ ن: مؤسسة تاوالت. الجزائر 2010م.، ج2-ص47.

3-التجارة:

تتمتع بلاد المغرب بوحدة جغرافية مترابطة بعضها بِبعض لا توجد حواجز أو مواقع تفصل بين أجزائها المتسعة، فقد كانت القيروان أيضاً مركزاً لتوزيع البضائع من البحر المتوسط إلى الداخل وإلى صقلية والأندلس، فلم تتغير تجارة الزيتون وزيتهُ في مكانتها الرائدة عند البربر، ومع الرقعة الواسعة للدولة أخذَ التصدير يشمل مصر وصقلية[138] وأيضاً بلاد السودان الذي كانت تورد الذهب والأبانوس وغيرها من منتجات الغابات الاستوائية.

رابعاً: الأسواق في العصر الأموي

كانت الأسواق تخضع لإشراف موظف يدعى العامل على السوق، وهو يتمتع ببعض الصلاحيات القضائية والتنفيذية ويعين معه بعض الأفراد الذين يساعدون على القيام بعملية مراقبة الموازيين والمكاييل وحل الخلافات التي قد تنشأ بين الباعة في السوق، ولقد أكّد القرآن الكريم على ضرورة ضبط الموازيين والمكاييل وعدم الغش في الكيل والوزن وذلك مراعاةً لمصالح الناس فقال تعالى "ويلٌ للمطفّفين الذينَ إذا اكتالوا على الناسِ يستوفون ، وإذا كَالوهم أو وزنوهم يخسرون"[139] فكانت الشريعة الجديدة تحتّم على البربر والعرب المسلمين على حد سواء الصدق في التعامل فيما بينهم، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن كل منكر عمل به أسلافهم، فبغض النظر عن أخطاء الولاة التي قد تبدوا تصرفات فردية، فإن مجمل التعامل في تلك الحقبة كان يحددها الدين وشرع الله و رسوله.

وبعد استقرار الأمر لعبد الملك بن مروان فكّر في توحيد العملة المستخدمة في سائر أنحاء الدولة لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة، لأن فيها تعبيراً عن سيادة الدولة الإسلامية واللغة العربية التي هي لغة الدولة، فتداوُل عملات بيزنطية وفارسية يتعارض مع تطبيق سياسة إسلامية سواء كانت اقتصادية أو سياسية[140].

عمل المسلمون على سك العملة وضرب النقود، والسّكة هي الحديدة التي يطبع عليها الدينار أو الدرهم. وكانت دار ضرب النقود تقع بجوار دار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع، وكان لها ناظراً يشرفُ عليها ويساعده عمّال ماهرون في إذابة المعادن وسكبها بالإضافة إلى

---

[138]- البكري: مصدر سابق، ص20.
[139]- سورة المطففين -آية 1-3.
[140]- ابن خلدون –المقدمة -ص233.

عمليات الوزن والنقش والطبع وقد ظلّت هذه الدار تؤدّي عملها في القيروان خلال العصر الأموي[141]، ويعد حسان بن النعمان أول من اهتم بالإصلاحات الاقتصادية في المغرب، فقد غير في الشعار القومي الذي اتخذته قرطاجنة منذ أن اعتنقت الديانة المسيحية، بصورة لا تنافي التقاليد الإسلامية فكان الشّعار يرسم بصليب فرفع رمز الصليب ووضع كرة الأرض على العمود الاسطواني وجعل ذلك شعار للمسلمين[142] ومن الجدير بالذكر أن قيمة الدينار (24) قيراطا، والقيراط (72) حبة شعير، أما الدرهم فمنه أربعة دوانق و للدرهم شكل مدور في العصر الأموي وحتى ظهور الدولة الموحدية وعليه نوع من النقش البيزنطي ونسبة وزن الدرهم إلى وزن الدينار(2/3) أي أن كل ثلاثة دراهم فضة تزن دينار من الذهب[143] وقد انتشرت الأسواق في معظم بلاد البربر، فنجد أسواق برقة، إفريقية، والمغرب.

1-أسواق برقة: اشتهرت أسواق برقة بأنواع من الأكسية[144] والثياب الصوفية نظراً لوفرة الحيوانات، وتعتبر برقة أول منزل ينزله القادم من مصر وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع، طلاباً لما فيها من التجارة، ولبرقة أسواق متعددة منها سوق أوجلة[145] وسوق ودان وهي تابعة لبرقة وعامرة بجميع أنواع التمور المتعددة، أمّا سوق لمطه فقد كان يشتهر بالورق الأبيض.

2-أسواق القيروان والمغرب: وقد ورد في وصفه أن سوق القيروان كان سطحاً متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات، ويتراوح طوله من باب أبي الربيع "في الجنوب" إلى الجامع (أي جامع القيروان) ميل وثلثي الميل ومن الجامع إلى باب تونس ثلث الميل، وكانت السلع الموجودة بسوق القيروان منتشرة حول المسجد الجامع في غير نظام ولا ترتيب حتى أمر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ، 723-743م) عامله على إفريقية عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ، 734-741م) بتنظيمه وترتيبه، وكان من أمر تنظيم سوق القيروان ظهور الأسواق المتخصصة كسوق التمّارين لبيع التمر، سوق العطّارين الذي يضم مختلف أنواع العطارة ، سوق الصوّافين وسوق الكتّانيين، وهكذا كل سوق يسمى باسم العاملين بسلعة هذا السوق، وكان من الطبيعي بعد أن اتسعت المدينة أن تقوم بها عدة أسواق، منها ما

---

[141]- زيتون: القيروان–ص154.

[142]- الثعالبي، عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقية، ط2 -1418ه-1990م-لبنان، ص80.

[143] - الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1958-ص 81.

[144]- البشاري، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2/ مكتبة مدبولي. القاهرة سنة 1411هـ/1991 م، ص239.

[145]- أوجلة: أو جيلة: منطقة بالقرب من أجدابيا. (غربال، محمد شفيق ومجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت: 2010م -ج1-ص242).

سمّي بأحد معالم المدينة كسوق دار الإمارة[146]، كما نُسب بعضُها إلى بعضِ مشاهير الرجال "كسوق إسماعيل" نسبةً إلى إسماعيل بن عبد الله الأنصاري[147] أما أسواق مدينة طرابلس ، فكانت عامرة بمختلف المحاصيل التي تنتجها القرى الأمازيغية المحيطة بها خاصةً الفواكه والتمور والعسل، كما كان لأسواقٍ عديدة الشهرة أيضاً، كأسواق مدينة شروس وقابس وقسنطينة وطنجة وبونة وأسواق تاهرت وسلجامسة وغيرها، وكان من هذه الأسواق ما كان منها في الأصل خلال الحقبة البيزنطية له شهرته ومكانته عند العامة، ولكن مع مجيئ المسلمين واستقرار الكثيرِ منهم في أنحاء ليبيا والمغرب أُحدثت أسواق جديدة لا تقل شهرتها عن سابقتها و ازدهرت في المنطقة ومزجت خبرات العرب المسلمين والبربر في بوتقة واحدة أدت في غالب الأحيان إلى انسجام اجتماعي[148].

خامساً: بعض أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في الشمال الإفريقي

جاء النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم المتوفى (11هـ-632م) بدين جديد هو الإسلام، وشريعةٍ وحّدت البدو والحضّر في الجزيرة العربية في ظل التزامات دينية ومدنية واحدة وتولّى النبي توحيدها، ولما توفيَ عليه الصلاة السلام ترك لخلفائه مهمة رعاية الدولة الإسلامية الفتية وضم شعوب جديدة إلى الإسلام وزيادة رقعتها ببلاد جديدة، ومنذ ابتداء حقبة الخلفاء الراشدين بتولي أبو بكر الصديق قامت الجيوش العربية الإسلامية بفتح البلاد المجاورة لجزيرة العرب المسلمين وتم لها النصر بسرعة مدهشة، ولم يكن وصول الفاتحين العرب المسلمين الأولين إلى شمال إفريقية (المغرب) بعد أن فتحوا مصر وطرابلس وبرقة غير حلقة في سلسلة هذا الفتح الإسلامي الواسع، وساعد على النجاح عدة عوامل منها:

1-تنظيم القبائل العربية تحت لواء الإسلام نظاماً وشريعةً، مما جعل منها قوة حربية متماسكة قد تضاهي في التنظيم والمقدرة أعتى جيوش المنطقة، ولو فاق أعداد العدو قدرتها بأضعاف، ويرجع ذلك إلى أن الجند أغلبهم من الجزيرة العربية وهم أهل الجلد والبأس وذوي قدرة على التحمل في أسوأ الظروف، كما أن عقيدة الجهاد وثوابهِ وفضلهِ كان حافزاً لدى الشباب خصوصاً للخروج في طلبه.

---

[146]- (الدباغ، عبد الرحمن وابن ناجي، أبو الفضل: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط1/ ن: مكتبة الخانجي. القاهرة 1968م، ج2، ص236) (أبو العرب، محمد بن أحمد: طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني: بيروت – لبنان، ط 2010، ص59).

[147]- أبو العرب، المصدر السابق، ص97.

[148]- (المالكي: رياض النفوس ج1-ص312) (الدباغ المصدر السابق: ج1-ص41).

2-الضُّعف السياسي والحربي والاجتماعي الذي أصاب الدول المجاورة للجزيرة العربية ونعني بها الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية التي أنهكت كلٌ منهما الأخرى بالحروب فيما بينهما حتى بداية القرن السابع الميلادي، وهذه الأسباب عينها هي التي أدت إلى نجاح العرب المسلمين وانتصارهم في الشمال الأفريقي الخاضع لبيزنطة وكان من الناحيتين السياسية والعسكرية، فضلاً عن التشتت الذي ضرب أوروبا فتارةً يحارب البيزنطيين القوط وتارةً الوندال الذين سيطروا على الشمال الافريقي لفترةٍ وطردوا وريثوا القياصرة الرومان منها.

3-الضُّعف الإداري والتنظيمي في الدولة البيزنطية، إذ أن الروم كانوا يفرضون الاتاوات والجباية بغير حق ويأخذونها عنوة لزيادة ثراء الدولة ولإغناء البطارقة وحكام المقاطعات ومن وَالاهُم من سكان إفريقية من أصحاب النفوذ، أما الإسلام فقد جاء بالزكاة التي تأخذ من الغني لتعطى للفقير فلا يطغى ذاك على هذا فلم يكن التسلط من شيم الذين حكموا ولم تكن الثروات إلا فيما يخدم الصالح العام، رغم أن بعض الشذوذ في هذه القاعدة قد يظهر في بعض الأحيان.

4-جاء الإسلام بقوانيين تحمي حقوق الإنسان وكرامته وتنهى عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وعتق العبد وساوى في الحقوق وعيّن القضاة للفصل بين الناس بالحق.

5-إيمان بعض القادة والجند وزهدهم فلم يكونوا فاتحين حربيين، بل كانوا فاتحين دينيين ملتزمين بالشريعة الإسلامية السمحاء، وقد خرجوا في طلب الجهاد.

سادساً: الإدارة الإسلامية في ليبيا في العصر الأموي

طُبّق نظام الإدارة الإسلامية على ليبيا كما طُبّق على غيرها من البلدان المفتوحة، وكان الفتح الإسلامي الأول لليبيا قد تم على يدي عمرو بن العاص بين 21.23هـ/ 641.643م وكانت ولاية عمرو بن العاص على مصر وليبيا في تلك المرحلة ولاية عامة بمعنى أنه كان يحكم البلدان حكماً مطلقاً لا يحد منه سوى مسؤولية عمرو بن العاص تجاه رأس السلطة المركزية الإسلامية أي الخليفة، ولما كانت معظم الأراضي الليبية قد فتحت صُلحاً باستثناء طرابلس وصبراتة وودان – وهي مدن فتحت عنوة – فقد ظلّ أهلها عليها وفُرض عليهم الخراج، كما فُرضت على أهل الذمة من أبنائها الجزية المناسبة التي كانت تُحمل إلى الفسطاط بمصر[149].

[149]- البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي، ص24.

وكانت تُجمع ممن أسلموا من أهل الزكاة والصدقات فتوزّع على فقرائها. وظلّت ليبيا بأسرها تتبع إدارياً لولاة مصر، إلى ما بعد تأسيس القيروان 50.55هـ/670.674م ورسوخ الإسلام نسبياً في إفريقية، ومنذ ذلك التاريخ تعاظمت أهمية القيروان كقاعدة إسلامية ينطلق منها المسلمون غرباً لاستكمال فتح الشمال الإفريقي ومن بعده إسبانيا حتى أصبحت تلعب دوراً شبيهاً بالدور الذي لعبته الفسطاط كقاعدة انطلق منها المسلمون لاستكمال فتح مصر وليبيا إلى الغرب منها، ومع ظهور القيروان كمركز قوة إسلامية إلى الغرب من ليبيا صار الخلفاء يعيّنون ولاة إفريقية مباشرة، بعد أن كانت ليبيا والأجزاء المفتوحة من إفريقية تتبع لوالي مصر، والواقع أن إفريقية كانت توكّل لقائد الجيش المكلف باستئناف الفتوحات في أراضيها وذلك على أساس أن له الإمارة العامة عليها، بينما كانت ليبيا قد استقرّت على التبعية الإدارية لولاة مصر، ولكن اتساع المنطقة وبعد الشقة من ناحية، واطمئنان برقة للإسلام وتردد طرابلس من الناحية الأخرى ، حمل قادة الجيوش الفاتحة القادمين لإفريقية على البدء بتعيين ولاة لطرابلس، يكونون تابعين لقائد الجيش المكلف بفتح إفريقية وما والاها غرباً من أرض المغرب، ومن هذا ما فعله معاوية بن حديج عندما عين في سنة 46هـ.666م رويفع بن ثابت الأنصاري والياً لطرابلس.

ومنذ أن فرغ عقبة بن نافع صار يغلب على ليبيا أن تنقسم إلى منطقتين إداريتين: برقة وتتبع لوالي مصر الذي يعين لها ولاتها ويشرف على شؤونها، وطرابلس التي تتبع لوالي القيروان الذي يعين لها ولاتها ويتصرف في شؤونها، والقاعدة العامة هي أن الخليفة هو الذي يتولى تعيين والي إفريقية الذي أصبحت مسؤوليته لا تقل أهمية عن والي مصر بالنظر لكونه ظَلَّ إلى حين يتحَّمل في مقره في القيروان مسؤولية الحكم في منطقة تبدأ من خليج سرت في ليبيا وتمتد غرباً شاملة تونس والجزائر والمغرب الأقصى والأندلس من ورائها.

ولا شك أن الفضل يرجع لعقبة بن نافع الذي نشر الإسلام في ربوع ليبيا وفي زويلة والصحراء الليبية وفزان، وكان له جهاد مشرّف في أيام ولايته الأولى لنشر الإسلام في البلاد الكائنة من قناة السويس إلى القيروان[150].

والحق يقال إن الإدارة الإسلامية في ليبيا وبقية الشمال الأفريقي لم تترسخ وتستقر نهائياً إلا على يدي حسان بن النعمان الغساني، ولذلك فإن هذا القائد البارع والإداري الناجح – كما

[150]- خطاب: قادة فتح المغرب العربي ج1، ص135.

وُصِف تاريخياً – دون الدواوين، وصالح على الخراج، وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية من البربر[151] وأنجز كثير من المنجزات التي ساهمت في تطوير ليبيا وشمال إفريقية ومن أهمها ضرب الدينار الإسلامي الجديد وهو عبارة عن عملية تحوير للدينار البيزنطي.

وهكذا توالى الكثير من الولاة على إفريقية حتى كانت سنة 116هـ.734م، عندما عين الخليفة هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب والي على إفريقية والمغرب، الذي قسى في معاملة الأمازيغ تحت تأثير الرغبة في إرسال المزيد من الأموال والسبايا إلى الخليفة مما أدى إلى قيام الثورة.

سابعاً: الحياة العلمية في المنطقة وتأثرها بالفتح الإسلامي

بالطبع إن الفتح الإسلامي للمنطقة هو المنبع الأساسي للحياة العلمية فيها ، وكان مركز إشعاع العلم في تلك الحُقبة المبكرة وما تلاها من أزمنة هو مدينة القيروان التي قال فيها حسن صاحب المعالم[152] "أمّا القيروان فهي البلد الأعظم والمصر المخصّص بالشرف الأقدم، قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب وقُطرهِم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب ، وبشرفه يغرب، قرارة الدين والإيمان والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان، قبلتها أول قبلة رسمت في بلاد المغرب وسجد لله فيها سراً وعلانية وناهيك بأرض كانت منازل أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ومحط رحالهم"[153]، وقال أبو إسحاق الجبنياني[154] "القيروان رأس وما سواها جسد برد الشبه والبدع إلا أهلها ولا قاتل وقتل على إحياء السنة إلا أئمتها"[155] ووصفها العديد من علماء تلك الفترة ومن جاء بعدهم بأحسن الأوصاف وأعذب الأقوال في تاريخ سيرتها العلمية والدينية والمذهبية على حد سواء.

---

[151]- خطاب: المرجع السابق، ج1، ص210.

[152]- الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن الشيخ زين الدين ابن على بن أحمد، ابن الشهيد الثاني العاملي الجبعي، معروف بالشيخ **حسن صاحب المعالم** نسبة إلى كتابه معالم الدين، من فقهاء الشيعة المحققين، أديب وشاعر.

[153]- الدباغ: معالم في معرفة أهل القيروان -6/1 –ص48.

[154]- ولد أبو إسحاق الجبنياني في أواخر عهد الدولة الأغلبية سنة 280 هجريا الموافق لسنة 892 ميلاديا وهو إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم البكري وينحدر من قبيلة بكر بن وائل من ربيعة احدى أكبر القبائل العربية التي كانت تقطن بشبه الجزيرة العربية ببلاد الحجاز وفدت الى إفريقية مع الجيوش الاسلامية التي فتحت البلاد التونسية. نشأ أبو إسحاق في عائلة جمعت بين الثروة المادية والعلم إذ كان أهله من أصحاب الخطط بالقيروان خلال الدولة الأغلبية حيث تقلد أفرادها عدة مناصب مرموقة سواء في الميدان السياسي أو القضائي أو الإداري. ولهم مسجد يعرف بمسجد أسلم نسبة الى الجد الأعلى للعائلة. وقد كان جده من أصحاب الإمام سحنون قاضي القيروان وأحد أبرز دعاة المذهب المالكي وعندما تولى القضاء بمدينة صفاقس بنى جامعها وسورها المشهور الى جانب بناء المحرس (الذي يعرف بمحرس على بعد 30 كلم جنوب مدينة صفاقس.) أما أحمد بن علي والد أبي إسحاق فقد تولى خراج إفريقية (جمع الضرائب) بجهة صفاقس وورث أملاك أبيه وضيعاته الشاسعة بما في ذلك أراضي جبنيانة.

[155]- اللبيدي، أبو القاسم عبد الرحمن: مناقب أبي اسحاق الجبنياني ص60-61.

ولاشك أن الحياة العلمية بدأت مع أول غزوة سنة 27هـ.647م والتي اشتملت على عشرين ألفاً، قال أبو العرب المسلمين : "أكثرهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[156]" والصحابة هم المعلمون الحقيقيون والدعاة المخلصون الذين بذلوا أقصى جهودهم في نشر هذا الدين وتعليم المسلمين أمر دينهم، وعن طريقهم أسلم الكثير من البربر نتيجةً لهذه الغزوة، وقد ذُكر أن عثمان رضي الله عنه أرسل مصحفاً إماماً إلى أهل المغرب وكان محفوظاً في بيتِ الحكمة القيرواني[157] ثم ازداد النشاط العلمي بغزوة ابن حديج سنة 45هـ.665م وذلك لطول مدتها التي دامت أربع سنوات مع ما فيها من الصحابة وقد أدّى ذلك إلى دخول كثير من البربر في الإسلام ثم ترسّخ ذلك كله بتأسيس القيروان حتى قال المالكي: فشدّ إليها الناس المطايا من كل مكان وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدّثين والمتطوّعين والعابدين والنسّاك والزّاهدين وأعزّ بها الإسلام وأهله ودفع بها أهل النفاق والأهواء والشكّ والضلالة ثم كانت نقطة الانطلاق بالقيروان إنشاء جامعها الذي كان مسرح لتدريس العلم على يد الصحابة والتّابعين الذين قدموا مع عقبة ومنهم عبد الله بن عمر الذي روى عنه يزيد بن قاسط الإفريقي وميسرة الزرودي وجاء قومٌ إليه وهو بإفريقية فلمّا أرادوا فراقُه قالوا: زوّدنا منك حديثاً ننتفع به و لا يخفى تضلع ابن عمر في التفسير واهتمامه به.

لقد كانت الفترتين التي حكم فيهما عقبة بن نافع هما من بدايات الحُقب في ازدهار العلم الإسلامي والتفقه في العلوم كافةً، الدينية والدنيوية، فبالإضافة لبناء مسجد القيروان بنى عقبة عدة مساجد في أنحاء المغرب الأقصى والأوسط اتجهت إليها جموع الأمازيغ لتكون منابراً للتابعين من الصحابة ومراكز لتعليم الأمازيغ الإسلام حتى أنه ترك صديقه شاكراً[158] في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم مبادئ الإسلام للسكان[159] وقد وصل عدد المساجد في القيروان وغيرها في عصر ازدهارها ثلاثمائة مسجد[160]، ثم جاء بعده حسان بن النعمان الذي خصص ثلاثة عشر فقيهاً من التابعين ليعلم الأمازيغ العربية والفقه ومبادئ الإسلام، وثبت أن عكرمة مولى ابن العباس[161] لم يدخل إفريقية غازياً وإنما دخلها لنشر العلم ، وكانت دروسه

---

[156]- أبو العرب: طبقات علماء إفريقية -ص15.

[157]- العبدري، محمد بن محمد: الرحلة العبدرية "الرحلة المغربية"، ت: محمد ابراهيم كردي، ط2، دمشق 2005–ص65.

[158]- مجاهد عربي من صحابة عقبة بن نافع دخل معه قبائل حاحا وركراكة التي دخلت الإسلام على يده شرق آسفي في امتدادات مصب نهر تانسيفت.

[159]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص27.

[160]- عبد الوهاب، حسن حسني: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها بن الرشيق، ط3، ن: بيت الحكمة. القيروان، 2009، ص17.

[161]- عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري، معلمه الأول كان عبد الله بن عباس، فعني بتعليمه القرآن والسنة، وربما كان يضع في رجليه القيد لئلا ينفضّ عن مذاكرتهما. أدرك عكرمة مئتين من أصحاب النبى، وروي عنه سبعون من جلّة التابعين، وكان عالماً بالتفسير وفسر القرآن وبالفقه، وكان يقول: "إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل بالكلمة فيفتح لي خمسون باباً من العلم". كان الحسن البصري يمسك عن التفسير والفتيا ما دام

في الحديث والتفسير في جامع عقبة في مجلس بمؤخرة الجامع يقصده الطلاب فيه ، ثم ما كان من موسى بن نصير حيث أمر العرب المسلمين أن يعلّموا الأمازيغ القرآن وأن يُفقِهوهم في الدين وترك في المغرب الأقصى سبعة وعشرين فقيهاً لتعليم أهله، وقد بدأت الكتاتيب وتعليم النشء الجديد في تلك الأنحاء الجديدة من المعمورة فكان الهدف نشر الإسلام بالصورة الصحيحة ليعم الخير في تلك البقاع وإنشاء جيل جديد من البربر يكون عوناً للعرب والإسلام في حفظ الرسالة السامية ونقل صورتها بشكل صحيح للأجيال القادمة ، فعلى الرغم من أن قبائل البربر مُحبةٌ للتمرد كما ورد في كثير من المصادر التاريخية، إلا أن نشر العلم هو أحد تلك الأسلحة التي كان يقمعون بها جهل البعض من البربر بعيداً عن الحروب ومعاناتها فيأملون بذلك أن يكثر عدد الفقهاء من بني البربر لتعلم اللغة العربية ومبادئ الدين بألسنٍ أمازيغية تعين البربر على فهم ما جاء به الإسلام من خير للأمم[162].

ثامناً: الأوضاع في المنطقة بعد الفتح الإسلامي

لقد شهدت منطقة غرب إفريقية بعد الفتح الإسلامي تقلّبات سياسية واجتماعية وفتناً خارجية وانتفاضات متعددة كان لها كبير الأثر في الحياة ما بين العرب المسلمين والبربر، وسوف نتحدث عن ذلك بإيجاز، لأننا نأتي لاحقاً على ذكر العديد من الاحداث المتعلقة بفصل ما يسمى ما بعد الفتح الإسلامي وعلاقة البربر بالعرب المسلمين في تلك الآونة المهمة من تاريخ علاقتهم، وفي الفصل اللّاحق تناقش تفاصيل تلك الأحداث ومجرياتها.

1-"عصر الولاة" (96-184هـ) حتى قيام الأغالبة[163]:

ويطلق عصر الولاة على فترة ما بين انتهاء زمن الفتح وحتى قيام الدولة الأغلبية، وكان حكّام هذه الفترة لمنطقة المغرب والأندلس يُعيّنون من قبل الخليفة إلى أن استقل بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك سنة 137هـ.754م وامتازت بداية هذا العصر بالترابط بين العرب المسلمين وإخوانهم الأمازيغ المسلمين الذين أقبلوا في شغف على تعلّم الدين الجديد وانظموا إلى الجيش الإسلامي، وحدثت بينهم المصاهرات وكثر بناء المساجد

عكرمة فيها. كان عكرمة واسع العلم بالمغازي حتى كان إذا تكلم فيها فكأنما هو مشرف عليهم يراهم. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: عكرمة البربري).

[162]- (أبي العرب، مصدر سابق، ص18) (ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص42-43).

[163]- (المسعودي: الخلاصة النقية في امراء إفريقية ص12-23) (سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص367-371) (السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ج1، ص100-136) (ابن عذارى: البيان المغرب، ص47-98) (مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط10/ ن: مكتبة الأسرة. القاهرة. 2004م، ص38).

والكتاتيب في سائر بلاد إفريقية وأخذ أهل مدنها يقلّدون العاصمة الإسلامية حتى في طرازها المعماري وانتشرت الثقافة الإسلامية بين الأمازيغ ، ولا غرابةَ في كل هذا، فإن أول الولاة وهو محمد بن يزيد القرشي 99.96هـ/717.714م قد استقر في إفريقية بأحسن سيرة وأعدلها وكان يقسم ما يصيبه من غنائم على المسلمين من الأمازيغ والعرب المسلمين على السواء[164].

قدِم إسماعيل بن أبي مهاجر 101.99هـ/769.717م والياً من قبل الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فكان خيرُ والٍ لخيرِ أمير، ومازال حريصاً على دعوة البربر إلى الإسلام فأسلم بقية البربر على يديه[165] وكان زاهداً متواضعاً من كبار العباد فأقبل عليه البربر المسلمون يسمعون منه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و يتلون القرآن وأرسل معه عمر بن عبد العزيز تسعةً من ثُقات التّابعين وعلمائهم[166] لتفقيهِ أهلِ إفريقية ونشر العلم في ربوعها، وكانوا أهل علمٍ وفضلٍ اختطَ كلٌ منهم داراً بالقيروان وبنى مسجداً وكتاباً لتعليم البربر وأبنائهم اللغة العربية ومبادئ الإسلام وقد وصف كل منهم بأنه انتفع به أهل إفريقية وبث فيها علماً كثيراً[167] وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عموم البربر كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب[168]، وقد استقر هؤلاء التابعون بالقيروان حتى غدوا من أهلها ، فقد اعتبرهم المالكي الطبقة الأولى من علماء القيروان[169] ومنهم من زادت إقامته بها على ثلاثين عاماً (مثل بكر ابن سوادة الجذامي توفي بها سنة128هـ.715م) وهم في كل ذلك لا يفترون عن القيام بمهمة نشر العلم بإفريقية فكان المغاربة لذلك في صدر الإسلام على مذهب جمهور السلف من الأئمة[170]، ولكن توقف هذا المد العلمي مع وفاة عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ.719م حيث سارع يزيد بن عبد الملك بعزل إسماعيل بن أبي المهاجر وتوليته يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج وصاحب شرطته الذي كان عمر بن عبد العزيز ينفرُ من أفعال سيده وأفعاله[171] أساء معاملة الأمازيغ ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة[172].

---

[164]- (ابن عذارى مرجع سابق، ص47) (السلاوي مصدر سابق، ص100).
[165]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، م4 pdf 2008م، ص187.
[166]- وهم: بكر بن سوادة وجعثل بن عاهان، وحيان بن جبلة، وسعد بن مسعود، وطلق بن جعبان، وعبد الرحمن بن رافع، وعبد الله بن المغيرة، وعبد الله بن يزيد، وموهب بن حي.
[167]- المالكي: رياض النفوس، ج1، ص100.
[168]- البلاذري: فتوح البلدان، ص233.
[169]- المالكي: مرجع سابق ج1، ص99.
[170]- السلاوي: الاستقصا ج1، ص136.
[171]- لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع أن يزيد بن أبي مسلم الثقفي خرج في بعض جيوش المسلمين لنصرة الخليفة فأمر برده وقال: إني لأكره أن استنصر بجيش هو منهم. (السلاوي المرجع السابق ص102).
[172]- (البلاذري: فتوح البلدان، ص233) (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1 ص48) (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4 ص187) (الناصري: مرجع سابق ج1 ص102).

وتولي بعده بشر بن صفوان الكلبي ثم عبيدة بن عبد الرحمن السلمي فكان همهما الغزو ولم يؤثر عنهما اهتمامهما بالعلم ، إلا أن الثاني ظلم الأمازيغ وتعسّف في معاملتهم فحنقوا عليه، ثم قدمها عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ.724م فوجّه حبيب بن أبي عبيدة الفهري وابنه عبد الرحمن لغزو صقلية فاستسلمت على الجزية، وأيضاً غزا عبد الرحمن بن حبيب (ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري) السوس وأرض السودان فظفر ظفراً لم يرى أحداً مثله قط[173] وأتمّ بناء جامع الزيتونة ودار الصناعة بتونس وغزا صقلية وجنوب الصحراء إلا أنه استجاب لمطامع رؤسائه بالمشرق فإنهم كانوا يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عمال إفريقية فيرسلون لهم البربريات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وتكلّف لهم أو كلّفوه أكثر مما كان فاضّطر إلى التعسّف وسوء السيرة[174]، فظلم الأمازيغ المسلمين وكلّفهم ما لا يطيقون وتعدّى على أموالهم وأساء عمّاله السيرة وخاصةً عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة فإنه تعدى الصدقات والعشر وأراد تخميس (أي أخذ خمس ما يملكون) الأمازيغ ورغم أنهم فيءٌ للمسلمين وذلك لم يرتكبه عامل قبله وإنما كان الولاة يخمسون من لم يدخل في الإسلام أو يُجب الإسلام عليه، فكان فعله ذاك ذميماً للأمازيغ مسبباً لزعزعةِ البلادِ و وقوع الفتن العظيمة[175].

واشتدّ استياء الأمازيغ المسلمين من هذه الأفعال القبيحة، ورأوا التناقض الصارخ بين تعاليم الإسلام وبين سلوك هؤلاء العمّال، وأصبحت عندهم قابلية للتمرد في الوقت الذي فشت فيه النزعة الخارجية في إفريقية والمغرب ونادى أصحابها بشعاراتٍ خادعةٍ ظاهرها فيه بعض الحق وباطنها ينطوي على شر عظيم كالمساومة بين المسلمين، ووجوب الخروج على الحكّام الظّلمة وغيرها باسم الإسلام ولكن كان باطنها الانشقاق والفتن، فصادف ذلك هوى في نفوس الأمازيغ وتحمّس كثيرٌ منهم بما نادى به دعاة الخوارج، إلا أنهم لم يعلنوا التمرّد والعصيان إلا بعد أن يئسوا من إمكانية تبليغ صوتهم بالشكوى إلى الخليفة وفي ذلك يقول الطبري: "فمازال بربر إفريقية مِن أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دبّ إليهم دعاة العراق واستثاروهم شقّوا عصاهم وفرّقوا بينهم إلى اليوم ، وكان من سبب تفريقهم أن ردّوا على أهل الأهواء، فقالوا إنّا لا نخالف الأئمة بما تجني العمّال ولا نحمل ذلك عليهم، فقالوا لهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم لا نقبل ذلك حتى نبوّرهم (أي نخبرهم) فخرج ميسرة

---

[173]- البلاذري: المصدر السابق، ص233.
[174]- ابن عذارى: مرجع سابق ج1، ص52.
[175]- (ابن عذارى: المرجع السابق، ص52) (تاريخ ابن خلدون م4/ص189) (الناصري: الاستقصا، ج1، ص106).

المطغري[176] زعيم الصفرية في بضعةِ عشر إنساناً حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش وزير هشام بن عبد الملك ، فقالوا: أبلِغ أمير المؤمنين أنّ أميرنا يغزو بنا و بجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال: تقدّموا وأخّر جنده، فقلنا: تقدّموا فإنه ازديادٌ في الأجر ومثلكم كفى إخوانه، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، ثم إنهم ساومونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا :لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلَم عن رأي أمير المؤمنين ألهم ذلك أم لا ؟ قال: نفعل فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم (أي نفقات رحلتهم) كان وجههم (أي عادوا متوجهين) إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية"[177].

ولم يكن في المغرب من هذه الفرق إلا فِرقتان: الأولى الإباضية التي تُنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي[178] وأول من أدخلها إلى القيروان هو سلمة بن سعد الحضرمي[179] وتفشّت في المغرب بعد إرسال بضعة من الطلبة من القبائل للدراسة في العراق فتتلمذوا على يد مسلم بن أبي كريمة زعيم الإباضية آنذاك في العراق وعادوا إلى قبائلهم بعدها ناشرين لفكرها والدعوة لها، والثانية هي الصفراوية (الصفرية) وتنسب إلى زياد بن الأصفر وقد تنسب بعض المصادر إدخالها إلى المغرب عن طريق عكرمة مولى بن عباس وقد تنفيها أخرى والله أعلم، ومن ثم تزعّمها في المغرب ميسرة المطغري[180]، وهكذا اندلعت بإفريقية والمغرب ثورات لا نهاية لها، ابتدأت سنة 122هـ.739م وهي أول ثورة في إفريقية في الإسلام[181] وتضافرت جهود الإباضية والصفرية للإطاحة بحكومة القيروان، وأصبح همُّ الخليفة بالمشرق القضاء على هذه الثورات فكان يرسل الجيش تلو الأخر، وقد ذكروا أن هذه الحروب منذ اشتعلت إلى أن تم القضاء عليها في عهد يزيد بن حاتم سنة 156هـ.772م قد استنزفت طاقة المسلمين من

---

[176]- هو زعيم زناتي ومن أهم زعماء الخوارج الصفرية بالمغرب الأقصى، كان بروز دعوته سنة 122هـ في طنجة ثم بويع خليفة على المغاربة. ت سنة 740، كان شيخ قبيلته والمقدم فيها، وهي قبيلة مدغرة أو مطغرة، بطن من قبيلة مكناسة إحدى بطون زناتة. قام عبيدة السلمي بتولية أربعة ولات على الأندلس (حيث كانت ولاية الأندلس تابعة لولاية المغرب) وفي عهد هشام بن عبد الملك عزله وولى بدلاً منه عبيد الله بن الحبحاب السلمي الذي كان جائراً مع الأمازيغ مما أدى إلى قيام الثورات في المغرب .فأرسل الأمازيغ ميسرة المضغري على رأس وفد إلى الشام لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك والشكاية له عما يحدث لهم من طرف الولاة، كان وزير هشام بن عبد الملك هو الأبرش الكلابي فمنعهم من مقابلة الخليفة. غضب الوفد مع ميسرة وعادوا إلى شمال أفريقيا وأعلنوا الثورة وقتلوا والي هشام بن عبد الملك على طنجة واتبعوا دعوة الخوارج الصفرية وتولى أمرهم ميسرة واحكم قبضته على بلاد الأمازيغ.

[177]- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط2، 1387هـ دار التراث، بيروت، اصدار 2010م، ج4 ص254-255.

[178]- هو عبد الله بن إباض المقاعسي، المري، التميمي من قبيلة بني مرة واصله من قرية عارض باليمامة، عاصر معاوية، ت في عهد عبد الملك بن مروان. قد اشتهرت هذه الفرقة بالإباضية من أوّل يوم، وهذا يدل على أنّه كان لعبد الله بن اباض دور في نشوء هذه الفرقة وازدهارها، وإن كانت الفرقة يطلقون على أنفسهم أسماء أخرى يشترك فيها سائر المسلمين كأهل الإسلام وأهل الحق أو جماعة المسلمين، وغير ذلك. ومصطلح وتسمية الاباضية لم تظهر الى في اواخر القرن الثالث الهجري.

[179]- سلمة بن سعد ابن علي بن أسد الحضرمي اليمني، هو الذي اتي بالمذهب الإباضي من البصرة كما يقال وتعلم على يد ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة. ثم جاء ليدعو ويعلم المذهب في المغرب العربي الاسلامي. (عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص46).

[180]- (عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص46) (أبي العرب: الطبقات، ص19).

[181]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص52.

عتدٍ و جند، واستنجدَ حنظلة بن صفوان بمن تبقى من بعثة عمر بن عبد العزيز لما ثارت عليه الخوارج[182] وقد استشهد أبو كريب قاضي القيروان وجماعة كثيرة من العلماء في قتال الصفرية سنة139هـ.756م[183] وقد دامت هذه الحروب أكثر من ثلاثين سنة تمكّن الخوارج خلالها من الاستيلاء على القيروان مرّتين، حيث استولى عليها الصفرية سنة 140هـ.757م لمدة سنة وشهرين وربطوا دوابّهم في المسجد الجامع وقتلوا كل من كان فيها من قريش وعذّبوا أهلها، ثم ولّاها بعدهم الإباضية لمدة سنتين[184]، وقد تسببت هذه الحروب في تعطيل الحركة العلمية وانشغل النّاس عن الطلب حتى قال الإمام سحنون[185] عن هذه الفترة: كان من يحكم العلم يبقى في صدره لا يسألونه عنه فيموت به مثل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[186] ت161هـ.777م بقي العلم في صدره لا ينشر عنه ولا يعرف[187]، وبالرغم من أن الفترة كانت عصيبة على الكثير من العلماء وأهل السنّة في المغرب إلا أن هناك من طلبةِ العلم في تلك الآونة من برع في التفسير والحديث والتفقيه ولكنهم قليلوا العدد كمِثل جميلٍ بن كريب المعافري ت139هـ.756م[188] وزيد ابن طفيف الذي كان محدّثاً ورئيساً في حلقةٍ علميةٍ كبيرةٍ في جامعِ عقبة، وأيضا هناك عبد الله بن فروخ الذي طلب العلم في مساجد المشرق العربي فبرع في سنّة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والحديث والفقه وعاد إلى القيروان مُنفعاً الأمازيغ والعرب المسلمين بعلمه وهو من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى المغرب[189].

ولم يكن الخوارج ببعيدين عن العلم والنشاط الفكري، فكما أسلفنا أن الإباضية و الصفرية كانت بالأصل هي نتاج فكري وعلمي نُقل من أئمة الخوارج في العراق ليتبناها تلامذةٌ لهم من المغرب ومنهم أكبر علماء الإباضية محمد بن أفلح وأبو خرز الحامي ولهما مؤلفات في هذا المذهب، والبربر كانوا كباقي الشعوب المحكومة تحت ظل العرب المسلمين يُسيّرون كما يُسيُّر السفينة الربان، فإنه كما رأينا مع بداية الفتح عندما كان الدين في صفوته الأولى كان الأمازيغ على صفوة الفاتحين، أما عندما كثر اللّغط وعمّت الفتن فكان هؤلاء أيضاً من المتأثرين.

---

[182]- المالكي: رياض النفوس، ج1، ص103.
[183]- الدباغ: معالم في معرفة أهل القيروان ج1، ص229.
[184]- ابن عذارى: مرجع سابق ص70-71.
[185]- امام وعلامة وشيخ من أهل القيروان، وفقيه المغرب، عبد السلام بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة بن عبد الله التنوخي، حمصي الأصل ومغربي قيرواني مالكي، قاضي القيروان وصاحب "المدونة" ويلقب بسحنون.
[186]- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، الإمام، القدوة شيخ الإسلام أبو أيوب الشعباني الإفريقي. قاضي إفريقية وعالمها.
[187]- أبي العرب: الطبقات، ص100.
[188]- (المالكي: رياض النفوس ج1، ص168.) (دباغ: معالم في معرفة أهل القيروان ج1، ص224).
[189]- (دباغ: مرجع سابق، ص239.) (المالكي: مصدر سابق، ص179-180).

وأما أثرُ الحركة العلمية والتغير الفكري الذي ساهم في إحداثه الخوارج إلا قليل، فالحياة السياسية والولاة المزاجيون كانا أيضاً من الأسباب المؤثرة في ردود الفعل الأمازيغية تجاه هذا الراعي أو ذاك فلا يفتكّ بوحدة الرعية إلّا سوء تدبير أُمرائها أو انشغالهم عن تنظيمها بما هو دنيوي.

فقبل أن يأتي الأغالبة ويبدأ فصل الحقبة الأغلبية (الذين هم بالمناسبة كانوا ولاة يعيَّنون من الخليفة العباسي، ولكن جلّهم من عائلة واحدة) ومجيء العباسيين للخلافة استمر عهد الولاة بتعيين الوالي على المغرب وإفريقية والأندلس وهو يتصرف بتعيين ولاة على المقاطعات الأصغر فالأصغر، ومن الواضح **أن العباسيين عندما ورثوا الخلافة من الأمويين، وجدوا أن دولتهم تمتد وتغطي مساحة شاسعة جداً لم تستطع قواهم أن تسيطر عليها سيطرة كاملة خاصةً** وأن انتقال مركز الدولة من دمشق إلى بغداد زاد من مسئوليتها **الأسيوية، وفرض عليها مطالب جديدة لم تكن تشغل بال الأمويين بالصورة التي كانت عليها أيام العباسيين**، ونتيجة لذلك نجد أن العباسيين ركّزوا جهدهم كلّه في المحافظة على ذلك الجزء الذي كان لدولتهم بصورة فعلية من إفريقية، ولم تتمكن الحكومة المركزية العباسية من أن تسيطر على ولاية إفريقية بسبب عدم الاستقرار فيها نتيجة للصراع الداخلي الذي شغل الخلافة العباسية، ولم يترك لها من الفراغ ما يمكنها من محاولة بسط سلطانها على بقية بلاد المغرب.

وكما كانت تحكم العادة – فإن بداية كل حقبة جديدة تتسم بالرزانة والتنظيم والقضاء على المناهضين تصبح بمثابة الهرم الذهبي لكل فترة حكم، وفي حالة العباسيين كان التحدي الأصعب هو الخوارج فقد قتل على أيدي أبو حاتم الإباضي (وهو زعيم الخوارج الإباضية في المغرب وإمامهم) إثنين من ولاة العباسية على إفريقية والمغرب الأول الأغلب بن سالم بن عقال التميمي (وهو أول الأغالبة تولياً) و الثاني عمر بن حفص المهلبي الذي استنجد بالخليفة بالمدد لكنه قُتل قبل وصوله، لكن مع بداية ولاية يزيد بن حاتم المهلبي 170.155هـ/786.771م اتسمت فترة حكمه بالقضاء على آخر الفتن (كدعوة العلويين من أحفاد الحسن بن علي (رضي الله عنه) الذين هزمهم زيد) وطول فترة الولاية، وامتاز يزيد بالفطنة و الذكاء الناجح في الحروب، وهو من كبار قادة الدولة العباسية في أرجاء مصر والمغرب، وساد الهدوء والاستقرار حتى في عهد خلفائه كهرثمة بن أعين الذي عمل على إعادة الصناعات وتجديد المدن ولم تكمل ولايته السنتين.

ثم ولّى هارون الرشيد محمد بن مقاتل بن حكيم العكي إفريقية سنة 181هـ.797م وكان عهده نهاية الولاة وبداية الأغالبة الذين وثق العباسيون بمقدرتهم على تحمل إفريقية وأعبائها ولجم الفتن وإحكام القبضة، ولم تحمد سيرة العكي الذي كان ظالماً كما قيل عنه في تعامله مع الأمازيغ فقد ثار عليه جنده منهم أمازيغ وعرب، وثار عليه عامله على تونس تمام بن تميم التميمي الذي حاول الانفصال واعتقل العكي وأرسله إلى طرابلس مخذولاً مدحوراً، لكن عامله على الزاب إبراهيم بن الأغلب أعاده إلى القيروان وقضى على فتنة تمام، وأحب الناس إبراهيم لما فيه من خصال حميدة كالعدل والمروءة و الشجاعة، وكان لولاية إفريقية مخصصات من الدولة العباسية كل سنة بمئة ألف دينار فعرض إبراهيم على الرشيد أن يترك ما يرسله ويرسل له إبراهيم من إفريقية أربعين ألف ديناراً سنوياً، فورد أمر الرشيد بتوليته وعزل العكي سنة 184هـ.800م واستقل إبراهيم بالولاية.

وبذلك انتهى عصر الولاة لبدأ العهد الأغلبي وفي الحقبة الأخيرة من هذا العصر نشطت الرحلة إلى المشرق[190] وعاد الطلاب الأفارقة بعلم مالك ت179هـ795م، وكان أول ما أدخله علي بن زياد ففسّر لهم قول مالك فأقبلوا عليه إقبالاً منقطع النظير لاعتماده على الحديث، لا سيما على رواية أهل المدينة وهم الصفوة من الصحابة والتابعين الذين تعوّد أهل إفريقية على طريقتهم في العلم والتعلم بعيداً عن المسائل الكلامية التي جرَّت عليهم الويلات ثم انتشر مذهب مالك وتسارع أهل إفريقية إلى الأخذ عنه مباشرةً حتى وصل الرواة عنه من أهل إفريقية إلى أكثر من ثلاثينَ تلميذاً.

2-الأمازيغ والخوارج

وكما هي كل ثورة قامت منذ بدء الخليقة فيجب أن تكون لها جذور راسخة، وكذلك كان الأمر بالنسبة للأمازيغ اللذين أسلموا على يد العرب المسلمين صبغوا معارضتهم بالصبغة الإسلامية، فتمكنوا بذلك من عرض مطالبهم الاجتماعية في صورة مثلٍ أعلى ديني، احتلت الإباضية والصفرية مكانةً عظيمةً في تاريخ المغرب وتلاهم مذهب الخوارج بطبيعة الحال مع ما فطر عليه الأمازيغ من نزوعٍ إلى الثورة، أن واقعة جنبي (Jenby سنة772م.156هـ) هي خاتمة لثلاثمائة وخمس وسبعون معركة خاضها الأمازيغ ضد الجيش العربي الاسلامي

[190]- (ابن عذارى: البيان المغرب، ص179.) (المالكي: رياض النفوس، ج1 ص234) (المدارك 192/1، البيان المغرب 179، الشجرة160/1، الرياض 234/1).

منذ أن ثاروا على عمر بن حفص والي القيروان، يقول ابن خلدون (وعليها كان ركود ريح الخوارج بإفريقية وإذعار البربر)، أمّا عن ممالك الخوارج:

-تاهورت الإباضية وتمكنت من تدعيم نظامها طيلة عشرة قرون وعاشت في ظل مبادئها الدينية بكامل الحرية منذ سنة 184هـ.800م

-سجلماسة وبرغواطة: أسسها البكري في سنة 140هـ.757م لسجلماسة أمازيغ مكناسة من الصفرية كانوا قد ثاروا على والي القيروان وكما نقل عن ابن خلدون فإن أصحاب هذه الحركة كانوا يبالغون في ممارسة حقهم في خلع إمامهم.

3-بعض الأسباب العامة لثورات الأمازيغ

الخلل الذي أصاب الدولة الأموية منذ نشأتها هو عدم التأقلم مع المتغيرات الجديدة التي كان مطلوب من الدولة في مركز الريادة الدائمة لها وليس العكس، إذ بقيت الدولة الأموية في أحيان كثيرة محتفظة بشخصيتها القبلية والمحلية دون استيعاب ما أحدثته العقيدة الإسلامية وأفرزته حركة الفتوحات من انقلاب جذري وحاسم في تاريخ الأمة.

يبدو لنا من خلال بعض المراجع أن هناك تجاوزات بالنسبة للقادة والخلفاء وقد استقام الأمر عند مجيء الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز "فكانت فكرة عمر بن عبد العزيز عن الإسلام أوسع أفقاً من أفكار سابقيه فجعل مهمة نشر الإسلام أولاً وقبل كل شيء وفي ذلك ينسب إليه الكُتّاب أنه قال: إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً"[191]، إن الثورات البربرية الكثيرة والمتعددة والردات التي قام بها الأمازيغ – كما يصفها البعض – والتي طبعت بالطابع الإسلامي أخيراً لم تكن موجهةً أبداً باتجاه الإسلام إنما كانت من أجل الاحتجاج على الواقع السيئ أحياناً وإسماع صوتهم للخليفة أحياناً أخرى.

من الأكيد أن العرب المسلمين انتقلوا إلى بلاد المغرب ونقلوا معهم أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم وصراعاتهم العصبية والسياسية التي طغت على مجريات أحداث بلاد المغرب في هذه الفترة بحيث كانت من النزاعات السياسية وفتنتها ومواجهاتها نتيجةً للخصومات القبلية بين الولاة من القيسية واليمنية حتى أن الكثير من الدارسين يعتبرون هذه الخصومات القبلية ونتائجها أحد أهم وأبرز أسباب ثورات الأمازيغ.

[191]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي –ص262.

يعود السبب الرئيسي في انتشار هذا المظهر وتفاقم أحداثه إلى النواحي السياسة التي اتبعها خلفاء بني أمية فعوضاً عن الدور القيادي الحليم في ترجيح الكفة للصالح الإسلامي والأموي، كانت تارة تتعصب للقيسية وأخرى تشايع اليمينية وكان وُلاتها في المغرب يتعصبون بالتالي لبني جلدتهم ويؤثرونهم بالحظوة ويبطشون بالفرع الآخر"[192] "فبالضرورة كنتيجة حتمية لهذه التجاوزات قد فشل خلفاء بني أمية في تحقيق الحد الأدنى من الهدوء والطمأنينة في نفوس الرعية – ولا حتى في أنفس الولاة والخلفاء – التي تشبّعت بروح الإسلام وعزفت تعاليمه ومبادئه[193]".

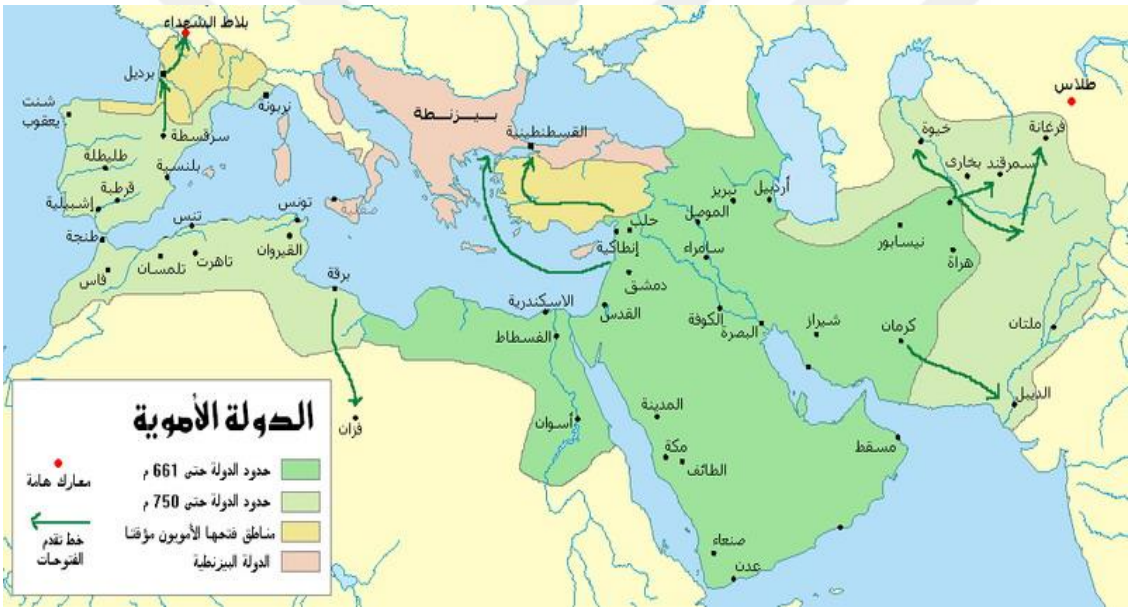

[192]- اسماعيل: المرجع السابق، ص115.
[193]- بيضون، ابراهيم: الدولة الأموية والمعارضة، ط1 سنة 1980، دار الحداثة. بيروت. لبنان، ص12.

الفصل الثالث

علاقة البربر بالعرب المسلمين في ليبيا من سنة(90-132هـ) وهي نهاية فترة الامويين وما حدث من تطورات في هذه الفترة عن سابقتها

أولاً: ثورات الأمازيغ في المغرب إبان الحقبة الأموية

1-الأسباب السياسية:

كان تاريخ الدولة الأموية يحوي على منعطفات أثّرت في إنجاح العلاقة مع المكونات الاجتماعية الجديدة في البلدان المفتوحة، وكانت سياسة خلفاء بني أمية تعتمد على تعيين الوالي الحازم القوي في الإدارة في البلاد المضّطربة لإحكام السيطرة (كما كان في سيرة الحجاج مع أهل العراق) أكثر من اعتمادهم سياسة الاحتواء والعدل ونشر المساواة، والأخيرتين هما من أروع خصائل الإسلام في التعامل مع الرعية، وفي المغرب كان الخلفاء لا يمانعون من إقصاء عمّالهم الأمازيغ عن الحياة السياسية، والشدة في التعامل معهم، والضرب بيد من حديد على كل من يعارض، دون فهم أسباب المعارضة في كثير من الأحيان، إلى أن جاء على سدة الخلافة عمر بن عبد العزيز (99-101 هـ/ 718-720 م) الذي لم تتجاوز فترة حكمه السنتان وخمسة أشهر، الا أنه رسم بسياساته خطاً فاصلاً في تاريخ الدولة الأموية عامةً، وتاريخ المغرب خاصةً، بطريقته الورعة في الإصلاح السياسي التي ناقضت وبشكل صارخ طريقة أسلافه من خلفاء بني أمية، فلُقّب بالرّاشدي الخامس، لما أعاده من زهوة الإسلام وعدله وتطبيقه لأحكام الشريعة الإسلامية دون تفرقة بين المسلمين، فكان يعي أن المغرب بعد إسلام أهله لا يحتاج إلى حاكم جائر، وإنما إلى إصلاح ديني يحتم بعث العلماء والتابعين من أهل الثقة لينشروا التفقه في الدين بين البربر ويعلموهم ما لا يعلموه من أحكام الشريعة الإسلامية[194] فيصلح الأحوال، بذلك دون اللجوء إلى سياسة تبدي نتائج سلبية.

وأيضا كان ما جاء به عمر بن عبد العزيز إلى جانب الناحية العلمية هو التغيير السياسي الذي لائم أهواء البربر وتطلعاتهم، حيث أشركهم في تسيير أمور البلاد وترك لهم حرية التصرف في شؤونهم الخاصة بهم، وأختار عمّالا ووُلاة من ذوي السمعة الحسنة، فذاع صيتهم في الورع والتقوى وتطبيق العدالة الاجتماعية المنشودة، كعبيد الله بن أبي المهاجر الذي وصف بأنه خير والٍ لخير أمير[195].

لكن كما أسلفنا لم تدم فترة خلافة عمر بن عبد العزيز بما يشفي صدور البربر ويصلح أحوالهم، وهم الذين خاب أملهم بعد وفاته، حيث عادة البلاد سيرتها الأولى في الشّدة إمّا عن

---

[194]- (دبوز: تاريخ المغرب الكبير / ص185-186.) (زيتون: القيروان، ص105).
[195]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص52.

طريق الولاة أو العمّال أو الجباة، وبالرغم من أن الخلفاء مسؤولين عن تصرفات ولاة الأقاليم ويتبعون إلى دمشق مباشرة، إلا أن عزلهم وتولية غيرهم لم يُجْدِ في أغلب الأحيان في تغيير أحوال البربر وامتصاص استيائهم، فإن مهمة الوالي العامة والأشد أهمية هي نشر الإسلام بين البربر كما ينبغي، وإرساء مبادئه بينهم، وخاصة من دخله حديثاً، والعمل على تعليم العربية، فإن كان تركيز الوالي الأهم على غير ذلك من الأمور الدنيوية كجمع الأموال وسوء المعاملة والبطش والجباية قصراً – على غير حق – فيعتبر ذلك شذوذاً و خروجاً عن القاعدة الأسمى في التعامل مع الرعية، لولا أن سياسة الولاة تتفق في معظم الأحيان مع أهداف الخلفاء وإن تعداها الولاة إلى أكثر من هذا، وثورات البربر إنما كانت تحوي على سببين رئيسين – أو هما حدثين مهمين تشابه عوامل حدوثهما ما سبقنا في ذكره – قد أدّيا إلى تدهور الأوضاع و الدفع بالبربر إلى الثورة:

الحدث الأول: كانت تولية يزيد بن أبي مسلم الثقفي، الذي ولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة (102هـ / 720م) من أول الأسباب في ثورة الأمازيغ بعد اكتمال الفتح ونشر الإسلام، اذ أن يزيداً كان يعتبر من تلامذة الحجّاج بن يوسف الثقفي ولا يقارن موقع مسؤولية كل منهما الآخر، فالحجّاج وُلّي على العراق الذي كان معروفاً بتمرده فأُريدَ له أن يضبط الأمور[196] أما الأخر فقد أراد أن يمارس سياسة الحجاج في المغرب وعدا على ذلك أراد معاملة البربر كأهل الذمة فيأخذ منهم الجزية ولا يعترف بإسلامهم، ورغم محاولة بطانته من البربر إسداء النصح إليه بالعدول عن ما يعزم، إلا أنه لم ينصت لهم، فما أن انتهى شهرهُ الأول من الولاية حتى قُتِل على أيدي الساخطين منهم[197]، وإن كان مقتله تنبيهاً ورسالةً للخلافةِ بدمشق بأن الأوضاع في المغرب تحتاج إلى إصلاحٍ و متابعةٍ حكيمةٍ فإن أقصى ردّاتِ الفعل للخليفة بأن يغير الوالي بآخر دون النظر إلى مميزات الوالي، وما يمكن أن يقدمه، فلا إصلاحٌ حقيقي و لا تخطيطٌ فعلي في تهدئةِ الأحوال المضّطربة بما يخص رعيته من البربر.

الحدث الثاني: في سنة 116هـ / 735م[198] قام هشام بن عبد الملك بتوليةِ عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية وكان مصلحاً عمل على تقوية إفريقية والاهتمام بصناعتها و تجارتها، ولكن أحد عمّاله وهو عبد الله المرادي وكان عاملاً على طنجة، قد أساء السيرة مع البربر واعتبرهم كالرقيق، وجاء في وصفه أنه ضيق الأفق ولا يُحسن فن السياسة، وعزم على

---

[196]- دبوز: المغرب العربي الكبير، ج2، ص199.
[197]- (دبوز: المرجع السابق، ج2، ص201) (البلاذري: فتوح البلدان، ص273)
[198]- ابن الأثير: الكامل، ج4، ص222.

تخميس البربر[199] فبذلك أظهرهم كغنيمة للمسلمين واستخدم تعبير "فيء" المسلمين أي غنيمتهم[200] فارتكب بذلك شيئاً أنكره البربر على الأمويين وخاصةً بعد أن ذاقوا شيئا من التمتع بالعدالة الاجتماعية أيام عمر بن عبد العزيز فما عادوا يقبلون بأقل وفقدوا الثقة بالخلفاء وولاتهم. أضف إلى ذلك أن ابن الحبحاب كان يَعدُ مرؤوسيه في الشام بغنائم ومسرّات إفريقية فكان يكلّف نفسه بالكثير ويطلبون منه أكثر، فكثر تعسّفه وجمعه أكثر مما يطيقه الناس فانتشر اليأس بين البربر واشتد غضبهم[201].

2-الأسباب الاقتصادية:

الأول: بعد وفاة عمر بن عبد العزيز كانت الخلافة الأموية تترنح وتدخل في عمق المجهول إذ أن خلف بن عبد العزيز لم يكن كفئاً للمهمة الملقاة على عاتق الخلافة، فلم يحظ يزيد بن عبد الملك بالبطانة الصالحة لتسدده بالرؤية الحكيمة، أضف على ذلك حبه لمتع الحياة وملذاتها فانصرف إليها وكانت القصص عن جواريه الكثر قد أكحلت تاريخه بالسواد، كما يرى البعض[202]، وكان لدى يزيد نظرية ترى أن البربر (رغم دخولهم الإسلام) أنهم أحد أهم موارد الدولة، وأن الجزية تفرض عليهم كما تفرض على أهل الذمة، فعين يزيد بن أبي مسلم الذي كان طوع سياسة الخليفة فبذلك تماشت سياسة الوالي مع أهداف الخليفة، وأوعز ابن أبي مسلم بفرض الجزية على البربر والاشتداد في جمع الاموال وسوق السبايا، فكانت مثار للنقمة عليه حتى قُتل.

الثاني: عندما أساء عمر بن عبد الله المرادي (عامل عبيد الله بن الحبحاب على طنجة) للأمازيغ وتعدى على الصدقات وعد رجالهم بمنزلة العبيد ونسائهم بمنزلة السبايا لم يقم عبيد الله إثرها بعزله أو معاقبته تفادياً لما هو أعظم، بل ولم ينكر عليه أنه خمّس البربر وهم مسلمون، وهذا لا يجب إلا على من لم يدخل الإسلام، وأهل الذمة من النصارى واليهود، فكانت أفعاله هذه تثبيتاً لما أتى به من منكر وسبباً تهميشاً للبلاد ووحدتها وإنقاضها[203].

الثالث: إضافة إلى أن عبيد الله بن الحبحاب لم يعزل واليه على طنجة، وكان يستجيب لمطالب الخليفة هشام ابن عبد الملك التي كانت مكلفة، كان هشام يستحب كل طريفة من طرائف الدنيا

---

[199]- التخميس: أي أخذ الخمس من البربر كرقيق، وهذا يخالف الشريعة الإسلامية اذ أنهم مسلمون وليسوا من أهل الذمة.
[200]- ابن الأثير مرجع سابق، ج4، ص222.
[201]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص52.
[202]- عبد اللطيف، عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي (41-132هـ/ 661-750م) دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، ط1 1429هـ/2008م، ص 185-186.
[203]- ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص52.

الغريبة منها والجميلة وبالذات ما كان يبعثه عبيد الله من إفريقية وما يُطلب من عمّال طنجة[204]، من هنا نجد أنما تصرف الولاة وفقاً لمطالب الخليفة التي كانت في أغلب الاحيان مكلفة لابن الحبحاب الذي كان يسعى جاهداً -حتى ولو على حساب العامة من البربر-إلى جمع الأموال والمسرّات التي تلائم مرؤوسيه في الشام.

3-الأسباب الاجتماعية:

كان نجم الخوارج وطرقهم ومذاهبهم في بداية الظهور في المغرب، والأفكار التي تشبّعَ بها قلّة من طلّاب العلم في المشرق -وخاصةً العراق -قد أصبحت تُعلّم للنّاس، بيد أن العوامل الاجتماعية كانت أسباباً لا تختص فقط بالدين وإنما كانت منتجةً لشرخٍ كبير أحدثه تصرّف الولاة بين خلافة الأمويين ومن حولهم العرب المسلمين وقبائل البربر، فلم يكن تعكّر مزاج البربر ونفاذ صبرهم إلا بعد الاحساس بأن المغالاة في التعامل معهم بلغت ذروتها ولا تقِلّ الأسباب الاجتماعية أهميةً عن سابقاتها ومنها:

1- لم يُردْ زعماء البربر أن تتفاقم الأزمة مع الولاة بالحروب والصراعات وإنما أرادو لشكواهم أن تكون شرعيةً، كان البربر من أوائل الفاتحين للأندلس[205] فكانوا يتوقّعون أنما جزاء الإحسان هو الإحسان، فانتظروا ان يُشكَروا على فضلهم في الفتوح بين المغرب والأندلس مع العرب المسلمين ويعين منهم الأمراء والولاة أيضاً، لكن إجحاف الولاة بحقهم ابتداءً من يزيد ابن أبي مسلم، مروراً بعبيدة بن عبد الرحمن السلمي، وانتهاءً بعبيد الله بن الحبحاب، قد عجّل في استيائهم باعثين بوفد تزعّمه شيخ الإباضية ميسره المطغري إلى الخليفة هشام ابن عبد الملك فلم يدخلهم عليه أحد.

2- ظهرت في ولاية بن الحبحاب نظرية أن البربر يُعتبرون غنائم للمسلمين حتى ولو كانوا قد دخلوا في دين القوم، فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون"[206]، وعندما لم يجد البربر أذاناً صاغية تحالف ميسره المطغري مع زعيم من زعماء الأفارقة وهو عبد الأعلى بن

---

[204]- كان الخليفة هشام يرسل في طلب جلود الخرفان من طنجة ذات الالوا العسلية التي تسلخ من الضأن عند ولادتها لأنها تكون ناعمة وقبل أن تكون خشنة بنمو الخراف فيُصنع صوفها الناعم ويستخدم في الجباب، وكان الخليفة يفضل اللون العسلي الطبيعي الغير مصبوغ، ولما كان من الصعب الحصول على خراف وليدة بهذا اللون العسلي فما كان من الوالي (عامل طنجة على الأغلب) إلا أن فتح بطون النعاج واستخرج اجنتها بحثاً عن هذه الجلود العسلية، وكان هذا النوع من الجلود قليل حتى أنه كانت تذبح مائة شاه فربما لم يوجد فيها جلد من ذاك اللون. وقد كذبت بعد المصادر الطعن بالخليفة بهذا الشكل وانما هي النقمة على الولاة والعمال قد تُضخم الى هذا القدر، (مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، ت: ابراهيم الأبياري، مدينة مجريط مطبعة رِبدَيَنزَ 1867م، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ص32)

[205]- سالم، السيد/ الناضوري، رشيد: تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ن: الدار القومية، الإسكندرية :1966، ج2 ص 271-272.

[206]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4-ص 255.

جريح الإفريقي ليجتمع الاثنان على ثورتهم ضد العرب المسلمين سنه 122هـ/ 740م، فكان الأفارقة أيضا يعانون من حط منزلتهم كالموالي من الروم.

3-كانت النواحي الاقتصادية ذات طابع اجتماعي، فبأخذ الجزية من مسلمي البربر في عهد بن الحبحاب تحطيماً لقَدرِهم، ونكراناً لإسلامهم ليجدوا أنفسهم يعاملون معاملة الرّق وهم قد أسلموا واشتركوا بالفتح مع المسلمين ودوّنوا في الدواوين المدنية.

وهناك أسباب أخرى تتعلق بالخلفية الاجتماعية والمنشأ:

- كما نعلم أن جُل عرب الجزيرة مقسّمون إلى قيسية ويمانية، ومن المعروف أيضاً أن تحيّز القيسية واليمانية إلى بعضهم البعض خلال نشوب الخلافات بين الطرفين هو أمر طبيعي في مجمل العلاقات القبلية، وكان تناحر القبائل العربية في المغرب له وجوده وخاصةً بين قبيلتي قيس وكلب من ناحية، وبين العرب المسلمين والبربر من ناحيةٍ أخرى، كان الولاة الذين يعينون من العرب المسلمين إما قيسيين أو يمانيين، وجُل عرب المغرب يمانيين، فإن كان أميرها يمانياً هادنوا طوال فترة حكمه وإن كان العكس تنتشر الضغائن بين الطرفين وتعم الفوضى والاضطراب تلك الأرجاء[207].

- تحيّز الخلفاء وعدم حيادِهم في تلك المواقف العصيبة من الصراع بين القائل العربية، فكانت تذكية النزاع بالانحياز إلى فريق دون الآخر، تعقّد الأمور ولا يعمل الخلفاء في أغلب الأحيان على ضبط مثل هكذا صراعات، فمثلاً كانت بداية انتشار العصبية بعد تولية موسى بن نصير الذي كان هواه يمانياً بحكم أنهم أوائل العرب المسلمين في المغرب[208]، وحتى عند عزله لم تكن حكمة الخليفة من هذا الموقف بأن يحيد الولاية من النزاع القبلي، بل على العكس عيّن محمد بن يزيد الذي كان قيسياً[209] فاشتد على آل النصير من الفهريين ومن والاهم من اليمانية، وعمل على تجريدهم من أموالهم وإرسالهم إلى السجون، حيث تم تعذيب العديد منهم[210] وهذا باعتقاد البعض كان تطبيقاً لأوامر الخليفة سليمان ابن عبد الملك[211] بأن موسى

---

[207]- السلاوي: الإستقصا، ج1، ص134-135.
[208]- ابن عذاري: مصدر سابق، ج1، ص39.
[209]- ابن قوطية، محمد بن عمر: تاريخ افتتاح الاندلس، ت: ابراهيم الأبياري، ط2 :1989م. القاهرة، ص38.
[210]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص 47.
[211]- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء: البداية والنهاية، ت: عبد الله التركي، ن: دار عالم الكتب. الرياض. 1423هـ، جـ12، ص 96.

بن النصير كان قد أتُّهم من الخليفة بأنه سيئ السمعة في سيرته بما يتعلق بأموال الدولة[212]، وربما هذا الاتهام يرجع على الأغلب إلى الإهمال في جمع الأموال وليس اختلاسها.

- توالي القصص المشابهة في التعصب القيسي/اليماني، فيأتي الوالي وهو مصبوغ بنفس الصبغة ويذهب ويأتي غيره على نفس الحال وكلا الطرفين كان يُنكل بالآخر، فمثلاً جاء يزيد بن أبي مسلم عام 102هـ.720م ليزيد من الصراع حدةً وكان يمانياً فنكّل بالوالي السابق الذي كان قيسياً، ومن بعده جاء أيضاً بشر ابن صفوان بذات الحدة والعصبية في التعامل مع القيسية، واستمرت الحال على هذا إلى أن عيّن هشام بن عبد الملك (105-125هـ/ 723-743م) أحد زعماء القيسية، وهو عبيد بن عبد الرحمن السلمي القيسي (110-115هـ/ 727-731م) فاستبشر القيسية بمجيئه، عمل عبيد بن عبد الرحمن على اضطهاد اليمانية ونكّل بأصحاب بشر ومن والاه شر تنكيل[213]، وسرعان ما تغيّرت الرياح بما لا تشتهيه لا القيسية ولا اليمانية وبدأت الامور تسوء في البلاد مطبقة برياح الثورة المنشودة للأمازيغ على الأوضاع بشكل عام، وأحس عبيده بن عبد الرحمن بهذا فقيل إنه طلب من الخليفة إعفائه من الولاية[214]، وربما يعود السبب أنه أحس بالمسؤولية الكبيرة للأوضاع الجديدة وأنه بعصبيته قد سبب الكثير وأسرف بالمغالاة حتى أهمل شؤون البلاد ورعيتها، ولم يكن خلفه ابن الحبحاب الذي كان قيسياً بأفضل حال من سابقه، فقد اوشكت البلاد على الانهيار وهو لازال من عصبيته ضد اليمانية بنفس الموقف[215] حتى هدد البلاد بالنعرات القبلية، فكان من آخر الأسباب حدةً وقسوةً على اليمانيين جعلتهم يتحيون الفرصة للانتقام علّهم يقتلونه فيصيبون برأسه القيسية.

ولم تتعدى أهداف اليمانيين إلى أكثر من ذلك، فلو كانوا أرادوا أكثر من قتل فرد لكانوا انضموا لثورة البربر والخوارج من ورائهم، إلا أن اليمانيين لم يطمحوا حتى في الانضمام إلى الثورة ضد الأمويين وولاتهم فالقبائل العربية لم تشترك مع البربر في معاداتهم للأمويين، الذين هم في النهاية عرب من أبناء جلدتهم، فيصفون ما جرى من صراع على أنه حرب بينهم وبين البربر (أي بين العرب المسلمين والبربر) ولم يعدّوا أنفسهم بموقع الثائر ضد العرب المسلمين - وهم منهم – أو ضد الأمويين، وهم أنصارهم، بل على العكس تماماً اجتمع كل من هو عربي في إفريقية تحت لواء قيادة موحدة، وكان الطرف الآخر إما بربرياً أو من الأفارقة أو عناصر لا تمتُّ للعرب بصلة، ونسي العرب المسلمين من القيسية واليمانية في إفريقية ما كان من

---

[212]- القيرواني، الرقيق: تاريخ افريقيا والمغرب، ط2، ت: المنجي الكعبي، ن: الدار العربية للكتاب. تونس. 2005، ص 94.
[213]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص 275.
[214]- دائرة المعارف الاسلامية، ج3، ص505.
[215]- مؤنس، حسين: ثورات البربر في افريقيا والاندلس، ص 166.

خلافاتهم (وإن كان مؤقتاً) لينهوا هذه المحنة التي لحقت بهم دون تفرقة، وإن كان البربر قد تعلّموا شيئاً من نزاعات العرب المسلمين مع بعضهم، فكانت إنما هي تعزيز التعصب القبلي والأمازيغ ليسوا غريبين عن هذا المفهوم، ولكنه أثار الصراع بين العرب المسلمين، فأقبل البربر على الطرف الآخر وهم الخوارج[216]، وأقبلوا على مناصرة بعضهم متأثرين بمشهد عصبية العرب المسلمين للقبيلة، كما أن البربر لم يجدوا موقفاً من الخلافة يقضي على الفتن بين القيسية واليمانية فكانت سياسة الخلفاء - وإن لم تكن عامة - تارةً تتحيز للقيسية وتارةً لليمانية، فكانت التفرقة تُعتبر لصالح الحكم الأموي[217]، فكانت تُشابه في زمننا الحالي سياسة الحفاظ على التوازن وإن كان بين قبائل متناحرة، وإنْ كان يزيد بن عبد الملك قد عيّن يزيد بن أبي مسلم وهو من زعماء القيسية فإن هشام بن عبد الملك أراد أن يخفف من حدة اليمانية فعيّن بشر بن صفوان وهو يماني، وعندما رأي أنَّ اليمانية أوشكت أن تبلغ ذروتها في التعسّف ضد الطرف الآخر أمال عليهم بتعيينه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو من غلاة القيسية[218]، فكأن سياستهم اعتمدت على توفيق التوازن دون الإمعان في النظر إلى الأضرار التي قد تلحق بالبلاد من جراء ذلك.

وكان البربر يتابعون هذه المشاهد، حاقدين على الأمويين وحكمهم، وتعلّموا أيضاً أن يلتفّوا حول قيادتهم التي تمثّلت بميسرة المطغري آنذاك، فحَوَّلَ حَرَاكَهَم إلى ثورة عارمة[219].

ولعب عبد الرحمن بن حبيب دوراً مهماً في إنهاء الصراع بين القبائل العربية عندما سيطر على القيروان ونظّم شؤونها سنة 127هـ/745م، وقد يعود سبب انتهاء الصراع هو أنَّ مؤسسة الخلافة قد أحسَّتْ بالخطر في الثورة القادمة من الأمازيغ، فأرادت أن تُجهِزَ على الفرقة التي أصابت القبائل العربية ليتسم الحكم بالجدية، فلا انحياز لأحد بعد الآن، وإنما توحّدٌ في مواجهة عدو مرتقب وهم البربر[220].

---

[216]- دائرة المعارف الاسلامية، ج3، ص505.
[217]- مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص61.
[218]- سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص61.
[219]- زيتون: القيروان، ص108.
[220]- مؤنس: ثورات البربر، 182.

ويعزو بعض المؤرخين[221] تأخر الثورة الأمازيغية إلى حسن اختيار الولاة في العصر الذهبي للدولة الأموية، وأن سلسلة الولاة التي درجت على ولاية إفريقية لفترة قد أفسدتها نتيجة لفساد وضعف الخلافة في

الشام في أواخر خلافة العصر الأموي[222]، فأيقن البربر أن العرب المسلمين قد ضعفوا وخار عزم دولتهم وأدركوا أن الوقت قد حان لقيادة بلادهم، على أن عبد الرحمن ابن حبيب قد جاب البلاد طولاً وعرضاً للقضاء على كل نزعةٍ ثوريةٍ أو تمرديةٍ لإعادة السيطرة على معظم البلاد وإبقاء وحدتها في سبيل تحقيق حلمه بخلق ولايةٍ لا مركزيةَ لها.

4-العامل الأهم: الخوارج

كل العوامل السابقة كانت تهيئ لحدوث ثورةٍ مستقبليةٍ وقودها الأمازيغ، ولكن من أهم العوامل التي ساهمت هي أن الفكر الإسلامي في بعض مواطن الاختلاف بدأ يتغير ليشكل أيديولوجياتٍ مذهبيةٍ تتصارع في التفسير والفقه والسنة النبوية الشريفة.

كما ذكرنا في الفصل السابق أن الخوارج في العراق قد ثاروا على الدولة الأموية وبرز دعاةٌ لهم كشيوخ للحركة الفقهية الجديدة، وتتلمذ على أيديهم طلاب علمٍ من المغرب[223]، وعندما عاد هؤلاء إلى ديارهم أخذوا البربر كحاضنةٍ شعبيةٍ لنشر دعوتهم، وتبسيط تعاليم الإسلام حسب ما يتماشى مع مبادئهم الدينية والسياسية ولكن دون التحريض أو التعارض مع الدولة التي كانوا يخشون في بداية الأمر أن تستأصلهم، لذلك كان نشر المذاهب في بداية الأمر بشكل تدريجي حتى يضمنوا اعتناق شريحة واسعة من العامة والقبائل لفكرهم ورلآائهم، ليستقووا بهم لاحقاً دون الدعوة إلى التمرد أو العصيان من البداية، وعود الخارجية لا يزال غضاً.

واستغل دعاة الخوارج الظلم الذي لحق بالبربر فاختبأوا تحت شعارات المساواة والإصلاح والدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، وإن كان الشعار المطروح هو لتخليص الناس من القهر والظلم، فإنه وجد أذانا صاغية لدى الأمازيغ المقهورين، فرأى علماء الخوارج نفوساً

---

[221]- ابن الاثير: الكامل،ج4، ص279.

[222]- مؤنس: ثورات البربر، ص161.

[223]- بعض المؤرخين يرجح ان طلاب العلم من المغرب كانوا أربعا، ولكن العدد المرجح لمعظم المصادر تؤكد أنهم خمسة وهم: إسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي، وعاصم السدراتي، وعبد الرحمن بن رستم وهو فارسي الاصل واسس لاحقا الدولة الرستمية، اما الاسم الخامس فقد = يكون أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري. ويجدر بالذكر ان كل من عاصم وميسرة امازيغ اما البقية فهم اما عرب: كأبو داود القبلي وابي الخطاب المعافري، او عجم: كإسماعيل بن درار وعبد الرحمن بن رستم.

توّاقة للتعلم[224]، لا بل إن الشعارات المطروحة كانت توافق ما ينشده البربر، فكانت أطروحات الخوارج تتناقض تناقضاً كبيراً مع سياسة الدولة الأموية كمفاهيم العدالة والمساوة وأنه لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والتقرب الى الله، وأضافت أيضاً أنه لا ضير في أن يكون الحاكم غير عربي ولا احتكار في السلطة على آل قريش أو العرب المسلمين فقط، فإن عمل الوالي أو الحاكم مقروناً بكتاب الله وسنة رسوله وأن يكون ذا فضلٍ وتقوى وليس ذا تعنتٍ وظلم، ومن هنا إن كان المبدأ سامياً فقد أخذ مفعوله وأدّى غرضه في تحريض البربر على بني أمية وولاتهم، وتحريكهم برفع راية العصيان والتمرد[225].

وهناك عاملٌ مهمٌ نجح في نشر مذاهب الخوارج قد يكون أن الخوارج لم يتعمقوا كثيراً في تعليم الناس مذاهبهم التي كانت في المغرب إما إباضية أو صفرية، وإنّما نشروها تحت شعار المساواة والدعوة إلى نبذ الظلم والقهر، وكان لوضوح أفكارهم والتزامهم بتعاليم الدين الظّاهر منها وابتعادهم عن الفلسفة والتأويل، عظيم الأثر في انتشار أفكارهم ومبادئهم، إضافةً إلى الفكر الثوري الذي كانوا ينشرونه[226].

وأصبح أغلب الدعاة من أبناء القبائل البربرية وزادت أعدادهم بمرور الزمن، وكانوا يتخذون المواقع البعيدة من إفريقية، بحيث لا تصل إليهم أيدي الأمويين أو يكونوا بأقل قدر من مضايقاتهم، فكانت تكثر دعوتهم في أنحاء المغرب الأقصى (التي بدأت الثورة لاحقاً منه) على وجه الخصوص لوجود أكبر القبائل فيها وأوغرها صدراً على حكم بني أمية، ونذكر منها: غمارة وبرغواطة ومكناسة، وهي من أكبر قبائل الزناتية، بالإضافة إلى القبائل البترية التي تنحدر منها مطغرة قبيلة ميسرة المطغري والقليل من صنهاجة[227].

ثانياً: ثورات البربر

ميسرة المطغري 122هـ.739م: يقال أيضا (المدغري) زعيم للزناتية وأيضا البترية ومن زعماء الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى، وقبيلته مطغرة من القبائل البترية، يذكره بعض المؤرخون بطريقة تختلط بين الازدراء والاستهزاء، لربما لخلفيته الخارجية، وأنه أول

---

[224]- (سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص285) (بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس. منير البعلبكي، ن: دار العلم للملايين. بيروت، ط5، 1973، ص158-159).

[225]- بروكلمان: مرجع سابق، ص159.

[226]- البغدادي، عبد القاهر: الفرق بين الفرق، ت: محمد عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية. بيروت، 1416هـ/1995م، ص273.

[227]- مؤنس: ثورات البربر، ص167.

الخوارج السياسيين في المغرب، فلُقّب مرةً بالفقير[228]، ومرةً بالحقير[229]، وتارةً بالسقا[230]، وقد تكون آخر الإهانات تلك لربما مؤشراً على مهنته الاصلية، فذكر ابن خلدون في إشارةٍ له: "لمّا سرى دين الخارجية، أي الخوارج، كانت مطغرة من مذهبهم ممن اتّبع الصفرية، وكان يلقب شيخهم و زعيمهم بالحقير، وكان يبيع الماء في سوق القيروان" أي دلالةً على مهنته ولا يمكننا التأكد من إهانته "بالحقير"، إلا أن السقا والفقير هي الأرجح من الثلاثة، وإن كان وصف كل من ابن خلدون وابن الأثير وابن عذاري لميسرة بهذا الشكل فإنما يكون لصلته بالخوارج الذين حاربتهم الخلافتين الأموية والعباسية والذين هم من مهّد لمذاهب الشيعة في زمننا الحالي بالظهور والمبتعدين بالدين إلى فضاء آخر.

إلّا أن الرجل ذُكر في مصادر أخرى على أنه نشأ بسيطاً فلا ضير في ذلك، وأنه دعا بين البربر إلى العودة بالإسلام إلى نقاءه الأول وتحقيق المساواة في الأُعطيات بين من هو عربي وبربري في الجيش[231]، وإن كان ذلك حقاً فقد دعا إلى ما هو سامٍ.

ويُعرف عنه أنه عمل في القيروان لأنها مكتظّة بأهل العلم والفقه والورع والتقوى، ويُذكر عنه حبّه الشديد للعلم، والذكاء وبعد النظر والطموح، فلا عجب أنه تزعّم الثورة وبه هذه الصفات، وعندما اعتنق مبادئ الصفرية سعى في نشرها بين القبائل البربرية فيوحّد بينها في رفع راية العصيان والتحريض على حكم بني أمية[232]، والجدير بالذكر أن قيام البربر على العرب المسلمين لا يُعتبر ذا بعد عنصري، وإنما كان ضد الظلم والجور الذي لحق بهم من الولاة وإن لم يخلو من الطموح بالانفصال والسيادة المستقلة، لأنَّ الإسلام دعا إلى إحلال عصبية الدين محل العصبية العرقية وحتى القبلية، وسواء كان الوالي عربياً أم بربرياً ولم يعمل وفقاً لروح الإسلام فإن ذلك مثارةٌ للنقمةِ والتمرد[233].

وذكرنا سابقاً أن الصفرية تأثرت بالخوارج، وتزعم الصفرية في برغواطة ومكناسة صالح بن طريف وكان شيخهم وتأثر به ميسرة وبمبادئ الخوارج، والحق يُقال إن الرجل (أي ميسرة) أراد الاشتكاء للخليفة قبل أن يقوم بأي عمل يندم عليه هو وقومه، فارتأى أن يأتي الخليفة قبل أن يُدان بإثم أو عدوان، فإن أصغى إليه ذاك حُفظ دماء العرب المسلمين والبربر.

---

[228]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص218.
[229]- (ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، 52) (ابن خلدون: العبر، ج6، 428).
[230]- ابن الاثير: الكامل، ج4، ص222.
[231]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص287.
[232]- ابن خلدون: مصدر سابق، ص150.
[233]- البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي، ص114-115.

ووصف الطبري البربر بأنهم أحسن الأقوام إذا أسلموا سلماً وطوعاً حتى دخول الخوارج إليهم، فحثوهم واجتهدوا في حثهم على القيام ضد العرب[234] المسلمين، حتى أن الخوارج كلما قالوا لهم أن الأمراء والولاة إنّما يأتمرون ويتصرفون بعلم الخليفة - كما ورد في تاريخ الطبري- كان رد البربر "إنّا لا نخالف الأئمة بما تجني العمّال ولا نحمل ذلك عليهم، فيقولون لهم إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك (أي الولاة و العمّال بأمر الخلفاء)، فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم" أي نختبرهم، وفي روايات أخرى نخبرهم، أي أن نية البربر في البداية لم تكن الثورة وإنما إسماع صوتهم للخليفة في الشام علّه لا يدري بما يقترفه الولاة[235].

تجهّز القوم بوفد ترأّسه ميسرة متوجهاً إلى دمشق لمقابلة الخليفة[236] وقيل إنه ظل يحتجب عن رؤيتهم حتى يأسوا من مقابلته، وفي قول آخر أنهم أطالوا الانتظار حتى نفذت نفقات رحلتهم، وكان هناك وزير لهشام بن عبد الملك ويدعى الأبرش، فقدموا عليه ليبلغوه برسالةٍ يوصلها إلى مولاه، فكانت بمثابة شكوىً وإخطار بما يحدث في نفس الوقت، وهنا ما جاء في الرسالة:

"أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا (أي غنيمة دون إشراكهم)، وقال هم أحق به؛ فقلنا: هو أخلص لجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم منه في حلٍ وإن لم يكن لنا لم نرده، وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال: تقدّموا، وأخَّرَ جنده (أي قدّمهم في الهجوم على باقي الجند) فقلنا: تقدّموا فإنه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم أمير المؤمنين."[237]

وإن كان البعض قد يشكك في صحة ما ورد عن تلك القصة إلا أن أغلب المصادر التاريخية اجتمعت على أن البربر بسطوا شكواهم أمام الخليفة[238] كما أنهم زوّدوا الأبرش بأسمائهم للخليفة، ولعل الشك في الأمر لا يعفي الخلافة من المسؤولية فوفقاً للمصادر أن الخليفة احتجب عن رؤيتهم بالفعل، ولما بعثوا بالرسالة مع الأبرش لم يقم هذا بإبلاغ الخليفة

---

[234]- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص253.
[235]- الطبري: مرجع سابق، ص253.
[236]- سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص203.
[237]- (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص254-255) (مجهول: اخبار مجموعة، ص32).
[238]- مؤنس: ثورات البربر، ص156.

بها، أو أنه أبلغه ولم يكترث بها، ومن الأرجح أن الخليفة لو كان له علم بما يقترفه الولاة لكان رأى رأيا سديداً في هذا الأمر، فليست سياسة الامويين بشكل عام تتعارض ومصالح الإسلام، والسبب الجلي هو سوء سيرة عبيد الله بن الحبحاب وعامله على طنجة عبد الله المرادي الذي قتله ميسرة بعد عودته من دمشق، وسيطر على طنجة سنة (122هـ/740م[239]).

كانت السياسة تطغى على الدّين في جوهر هذه الثورة وإن كان منبتها مذهبي، فرغم أن الخوارج الصفرية لم يكفروا قواعد القتال التي جاءت في الإسلام كالامتناع عن قتل أطفال المشركين، إلا أن أتباع ميسرة قتلوا كل من في طريقهم، حتى الصبيان، أثناء استيلائهم على طنجة[240]، بالإضافة إلى أن الخوارج مزجوا ما بين السياسة والدين في الإمامة، فأقنعوا البربر بنظرية أن الإمامة ليست حكراً على العرب المسلمين وحدهم، فإن كان حكام العرب المسلمين قد خرجوا عن الصراط المستقيم بأفعالهم، فإن الإمامة قد تكون لأي مسلم من ذوي التقوى والفضيلة، وبذلك اتخذ ميسرة الجهد الديني في الوصول إلى الخلاصة السياسية المرجوة فنُصّب إماماً وخليفة[241].

ثالثاً: مجريات الثورة

كانت بداية الثورة عبارة عن النية في الخروج على الطاعة الأموية والتهيئ للضرب في أي نقطة، كي يُظهر البربر قوتهم وعزمهم، وكما ذكرنا سابقاً أن عبيد الله بن الحبحاب كان والي إفريقية، وعامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي الذي أساء السيرة في الأمازيغ، ويقابلهم على الطرف الآخر ميسرة المطغري متحالفاً مع عبد الأعلى بن جريح الأفريقي (زعيم الأفارقة في المغرب)، وأغلب المصادر تجتمع على أن بداية الثورة أو الفرصة التي رآها ميسرة سانحةً للبدء هي عندما بعث والي إفريقية بحملة إلى صقلية في نفس عام الثورة سنة 122هـ/739-740م وكانت بقيادة حبيب بن أبي عبيدة[242]، فكان هذا بمثابة إضعاف لقوات ابن الحبحاب، فسرعان ما سيطر عبد الأعلى بن جريح على طنجة وقتل واليها عمر ابن عبد الله المرادي، وفي نفس الفترة ثار ميسرة في السوس الأقصى وقتل واليه إسماعيل بن عبيد الله ابن الحبحاب كما تقترح بعض المصادر، ولكن الأغلب أن الثورة انطلقت من طنجة باتجاه السوس الأقصى، وذلك لأن طنجة كانت هي النقطة الأولى للانتقام من واليها، كما أن المغرب

---

[239]- البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي، ص115-116) (سعد زغلول: مرجع سابق، ص255).
[240]- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل من الفرق والاديان، ط2، ت: احمد فهمي محمد، ن: دار الكتب العلمية، ت.ن: 1413هـ/1992م، ص184. انظر ايضا اخبار مجموعة ص 32-33.
[241]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص218.
[242]- (ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص51-52) (مؤنس: ثورات البربر، ص169) (سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص288).

الأقصى بسائر قبائله تحالف مع ميسرة والخوارج فذلك أمنع وأحصن لهم، وتُكمل نظرية الأغلبية بأنه بعد النجاح في طنجة استخلف ميسرة عبد الأعلى عليها[243]، فلما كانت قوات الخلافة ضعيفة في إفريقية بعد البعث إلى صقلية أصبحت السيطرة على السوس الأقصى بغاية السهولة وبذلك أصبح المغرب الأقصى بكامله في قبضة الثائرين[244].

ويهوّل بعض المؤرخين حجم الثورة بخروج جميع البربر على الولاة، وقد يُفسَّر هذا التهويل على أن الطابع الثوري كان غالباً على عامة السكان من البربر، ولكن كان من هو سَباق ومن هو متأخر، فقبائل مطغرة وبرغواطة من أوائل من تداعى على العرب المسلمين وحكمهم[245]، فلما سمعت باقي القبائل بالنجاح المحقق انضمت إلى ميسرة حتى اشتدّ عوده وعَظمَ مقامه ليصبح خليفةً بينهم لقبوه كما يُلقّب الخليفة ب"أمير المؤمنين"[246] وكان ذلك قبل أن يتوجه إلى السوس الأقصى، وبعد سقوط طنجة ما كان من ابن الحبحاب إلا أنْ بعث بطلب النجدة من واليه على الأندلس عقبة بن عبد الحجاج السلولي[247]، وما أن سمع عقبة ابن الحجاج نداء الاستغاثة عبر المضيق وقاتل في طنجة دون تمكنه من إلحاق الهزيمة بالبربر لأن الأمور ساءت في ولايته حيث تمرّد أتباعه عليه وخلعوه واختاروا عبد الملك بن قطن الفهري بدلاً منه[248].

كتب ابن الحبحاب إلى حبيب بن أبي عبيدة بالرجوع بالقوة التي معه فقد استفحل الأمر وبات التهديد قريباً، وهكذا وجد عبيد الله نفسه محصوراً في خيارين: إما أن يُجهّز قوةً بمن معه، أو ينتظر حبيباً بجيشه علّه يُعينهُ بالقضاء عليهم، لكنه لم ينتظر حيث أرسل خالد بن أبي حبيب الفهري على رأس جيش القيروان لقتالهم، ويقال إن الجيش ضمّ من أشراف العرب المسلمين وأبطالهم الكثير[249].

معظم المصادر تختلف في تحديد مكان المعركة، وتحديد القائد العربي، وتحديد نتيجتها بالنصر أو الهزيمة لكلا الطرفين، فالبعض يُرجح أن المعركة دارت قرب طنجة[250] عاد على

---

[243]- (مؤنس المرجع سابق، ص169) (سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص305)

[244]- مؤنس: المرجع سابق، ص169.

[245]- (ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص218) (ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص27-28)

[246]- ابن الاثير: الكامل، ج4، ص222.

[247]- اخبار مجموعة، ص37-38. عقبة بن الحجاج السلولي: كان تاريخ توليته للاندلس سنة 113هـ ولكنه خلع سنة 123هـ/741م. كان واليا حسن السيرة، محبا للجهاد، ومن اشراف قومه. (الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط15، ن: دار العلم للملايين. بيروت، ت.ن: 2002م، ج4، ص240).

[248]- سعد زغلول: مرجع سابق، ص257.

[249]- ابن عذاري: مصدر سابق، ص29-30.

[250]- علي، سيد امير: مختصر تاريخ العرب، ط2، ترجمة: عفيف البعلبكي، ن: دار العلم للملايين. بيروت، ت.ن: 1967م، ص143. انظر ايضا مؤنس: مرجع سابق ص169.

إثرها ميسرة إلى طنجة مخافة القتل في المعركة فقتله أتباعه في المدينة لإساءته للمبادئ والقيم التي عاهدوا أنفسهم عليها بحيث آثر السلامة على الاستشهاد[251]، على أن النصر أو الهزيمة لم يحسم لأحد الطرفين، بينما يعتقد البعض أن المعركة دارت في وادي الشلف[252] وهو بعيدٌ نسبياً، لذلك من المرجح أن يكون القتال قد دار قرب طنجة لأن وادي الشلف يقع في الجزائر ومن الصعب عودة ميسرة بسرعة، إضافةً إلى ذلك فإن القائد العربي هو خالد بن حبيب الفهري، لأن جيش حبيب بن أبي عبيدة ربما قد وصل متأخراً فمن الصعب لحاقه بجيش خالد بل وصل في المعركة التي تلتها.

ولم يُذكر في صالح أي من الطرفين كان النصر وكل ما جاء أن الطرفين قاتلا قتالاً عظيماً عاد ميسرة اثناءه إلى طنجة فكأنما انقطع القتال دون انتهاء المعركة[253]، والأخبار عن قتله تقول أنه ربما أراد التحصن في طنجة فغضب عليه أتباعه لتركه القتال وهبوط عزيمته فقتلوه، غير أن المعركة لم تنته فولّوا خالد بن حميد الزناتي[254]، وفي تلك الأثناء كان حبيب بن أبي عبيدة قد بُعث في إثر جيش القيروان ولكنه لم يدخل المعركة اللاحقة وإنما عسكر عند وادي الشلف[255]، وفي الطرف المقابل فإن الزناتي قد استدرك ما فات سلفه فتكاثر هو وأتباعه من البربر على العرب المسلمين من الخلف والإمام فأوجعوهم بقتل الكثير من أشرافهم وقتل قائدهم[256]، ولكثرة أشراف العرب المسلمين وتروسها من الأبطال والحماة الذين قتلوا سُميّت بموقعة الأشراف[257]، وكانت أولى نتائجها أن عزل العرب المسلمين ابن الحبحاب، وثانيها غضب الخليفة هشام بن عبد الملك متوعداً بقولته: "والله لأغضبنَّ لهم غضبةً عربيةً ولأبعثن إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، ولا أتركنَّ حصنً بربرياً إلا وجعلت إلى جانبه خيمةُ قيسيٍ أو تميمي"[258]، وأعاد الخليفة ابن الحبحاب إلى دمشق سنة 123هـ/741م[259]، ولعل الخلافة حينها استشعرت بما يُحدق بولاية إفريقية كلّها ويهدد مصير عرب إفريقية هناك فيما إذا كانت الثورة عرقية ومذهبية وأرادت إقصاء العرب المسلمين وإنهاء حكمهم.

---

[251]- البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي، ص115.
[252]- ابن عذاري: مرجع سابق، ص30/ سعد زغلول مرجع سابق، ص258-259.
[253]- السلاوي: الاستقصا، ج1، ص 49.
[254]- ابن الاثير: مصدر سابق، 223.
[255]- ابن عذاري: مصدر سابق ص53.
[256]- ابن الاثير: مصدر سابق، ص223.
[257]- ابن عذاري: مصدر سابق، ص29.
[258]- ابن عذاري ص29.
[259]- ابن الاثير ص223.

رابعاً: الهزيمة الثانية

أبدت الخلافة حزماً شديداً تجاه الثورة، وأن هشام بن عبد الملك أراد أن يعيد إحكام السيطرة على المغرب لأن هيبة العرب المسلمين وهيبته قد أحْرج موقفها بعد الهزيمة النكراء التي لقاها أتباعه في موقعة الأشراف، أضف إلى ذلك أن من قام بالثورة قد بُويع إماماً وخليفةً على المناطق المنتزعة من الدولة فذلك يُنبئ بتفكيك الدولة وانقسامها، وفي نفس العام الذي عاد فيه ابن الحبحاب عيّن الخليفة كلثوم بن عياض القشري[260] يتولى فيها مهمة تنظيم الجيش الكبير الذي يسير به إلى المغرب وولاة ولاية إفريقية، وكانت أرجح المقالات عن مدى عظمة الجيش المبعوث أنه قارب السبعين ألفاً ويتم تفصيلها على أن القوة الأكبر متجهة من الشام في جملةِ سبعةً وعشرين ألفاً، وفي الطريق انضم إليه ثلاثة آلاف من مصر حتى بلغ الثلاثين ألفاً، ويأخذ المصدر بالاعتبار أيضاً أن العرب المسلمين في إفريقية وسائر المتطوعين قد أكملوا على العدد ليصبح سبعين ألفاً[261]، وأيضاً كانت القيروان تحوي على جمهرةٍ لا بأس بها ، كما أن جيش حبيب الذي عسكر في تلمسان انضم لاحقاً لأنه كان بانتظار دعم الخلافة[262]، وبهذا يكون تفصيل عدد جيش الخلافة أُرجع إلى التشكل في مدته القصيرة تلك.

وكان الخليفة قد عهد بأن يكون بلج بن بشر – وهو ابن أخ كلثوم بن عياض – على ولاية الجند من بعده، ويقال إنه اغتر بنفسه لذلك[263] مما سبب المشاكل في القيادة أثناء المعركة، فكان مما ميز المعركة أن خلافاً قد نشب بين القادة وكان سببه بلج وكلثوم[264].

عندما التقى الجمعان كان عددُ البربر كبيراً وكان بلج على خيل أهل الشام، وبعض القادة ومن ضمنهم كلثوم قد اقترحوا أن يُحفر خندق يفصل معسكر كلثوم عنهم في حال بعث بلج لمقاتلتهم، ولكن بلج أراد أن يُرهب البربر بالخيالة فيهجمون عليهم، على أن البربر كانوا أهل حيلة في هذا الأمر، قيل أنَّ البربر قد حَمّلوا أكياسا جلدية بالحجارة فإما إنها استخدمت في ضرب رؤوس الخيل فتترنح الخيل وتوقع أصحابها، أو أنها عُلّقت في أذناب خيول البربر فنفرت خيول العرب المسلمين منها فأصبح من الصعب القتال على ظهورها[265]، وبذلك أُجبر

---

[260]- كلثوم بن عياض القشيري: هو أحد الاشراف الشجعان من قادة العرب كان قد وُلي دمشق من قِبلِ هشام ثم بعثه على إفريقية واليا وقائدا لجيشه العظيم الذي جهزه للقضاء على تمرد الامازيغ عام 123هـ وقتل على ايديهم في نفس العام.

[261]- مجهول: اخبار المجموعة، ص31.

[262]- (سعد زغلول: مرجع سابق، ص262) (ابن الاثير: مرجع سابق، ص223)

[263]- ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص219-220.

[264]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص29-30.

[265]- اخبار مجموعة: ص34.

العرب المسلمين على القتال مرتجلين فأعمل خيالة البربر ورَجالتهم السيوف فيهم[266] وقتل حبيب بن أبي عبيدة و قيل قتل كلثوم بن عياض وهو يتلو القرآن[267]، وقُتل عدد كبير من العرب المسلمين وأشراف بني أمية، فمن كان منهم من قوات إفريقية ومصر لجأوا إلى أنحاء إفريقية[268]، وأمّا جند الشام وقائدهم بلج الذي جُرح فقد تكاثروا عليهم البربر[269] حتى هرب بلج بمن معه إلى طنجة ثم سبتة، ويُعرف عن سبتة أن بها حصناً منيعاً يحول بين البربر والعرب المسلمين فحاصروا أولئك بلج وجنده حتى أعياهم الجوع والحصار[270]، ثم بعث بلج إلى والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري في أن يأذن له بدخول الأندلس فأبى ذاك خشية أن يسيطر على ولايته، فكان مع بلج ما يقارب العشرة آلاف جندي، ولكنه أمدّه بسفنٍ محملةٍ بالمؤونة[271] ولاحقاً قبل أن يُدخله الأندلس.

وأسباب الهزيمة قد نعزوها إلى:

1-سوء التخطيط بين القادة العرب المسلمين في المعركة وعدم اجتماع كلمتهم.

2-النزاع الذي دار بين بلج بن بشر وحبيب ابن أبي عبيدة على إثر سوء سيرة بلج مع أهل القيروان عند مروره بها[272].

3-الاقتتال الذي كاد أن ينشب بين قوات كلثوم (أهل الشام) وقوات حبيب (أهل إفريقية) قد يعطي فكرة أن الجند وقادتهم لم يكونوا على قلب رجل واحد في مواجهة البربر.

4-قيادة كلثوم التي لم تكن حكيمة حين رفض الاستشارة برأي حبيب الذي نصح بقتال الخيالة بالخيالة والرجَالة بالرجَالة، وأطاع رأي بلج الذي أودى بهم إلى التهلكة[273].

5-الدهاء الذي استخدمه البربر في الوقيعة وتوحدهم وترابط صفوفهم.

وسميت المعركة بموقعة (بقدورة) وأصبحت الانتصار الثاني للبربر الذي هدد وجود الأمويين ليس فقط في المغرب وإنّما في عموم إفريقية وحتى الأندلس التي لم تخلو من الأمازيغ، فأصبح المغرب كله ساحةً لثورةٍ ملتهبةٍ وكل منطقة أصبح يتزعمها بربري ثائر.

---

[266]- مؤنس: ثورات البربر ص177.
[267]- اخبار مجموعة ص34.
[268]- مؤنس: ثورات البربرص178. ايضا انظر البيان المغرب لابن عذاري ج1 ص30.
[269]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص219 / سالم: تاريخ المغرب الكبير ج2 ص311.
[270]- ابن عذاري: ص30.
[271]- سالم مرجع سابق ص312/ ابن عذاري ص30.
[272]- ابن عبد الحكم: ص219.
[273]- المرجع السابق، ص219.

خامساً: بداية النهاية للثورة (معركتا القرن والأصنام 125هـ/743م)

كانت آخر معارك العرب المسلمين مع البربر التي قُتل فيها كثيرٌ من جموع عرب إفريقية والشام، إضافةً إلى عدد من آل بيت بني أمية قد أشعر الخلافة الأموية بأن أركان عرشها في المغرب والأندلس قد بدأ بالاهتزاز وأنه لا مفر من حسم الأمر، وخاصةً أن الأمازيغ في الأندلس قد بدأوا بالتحرك بعد وصول أنباء عن ثورة المغرب.

أصبحت رياح الثورة الأمازيغية المصبوغة بلون خوارجي على أعتاب حواضر إفريقية ومراكزها، فقد ثار (عكاشة ابن محص ابن أيوب الفزاري) قائد صفرية الخوارج على مقربةٍ من القيروان في قابس[274]، أما الوقع على دمشق قد زاد من عزم هشام فعيّن حنظلة بن صفوان والي مصر ليتولى أمر إفريقية، ومن المعروف عنه أنه يُفضّل صالح الإسلام والمسلمين وكان خيرهم لهذه المهمة، فتقدّم باتجاه إفريقية ومعه ثلاثونَ ألفاً من الجند وأمدّه هشام بن عبد الملك من الشام بعشرين ألفاً[275]، وكان هشامٌ دائم الاطلاع على تحركات حنظلة وهذه المرة أراد أن يكون على معرفة تامة عن الوضع، حتى أنه رسم خطة لحنظلة للقضاء على الثورة بأن يضرب كل قوة بربرية على حدىً قبل أن تتحد جموع جيوشهم سوية فيصعب قتالها جملةً[276]، وعند وصل حنظلة إلى القيروان كان علماء المدينة وأفاضلها يحثّون على الجهاد وقتال الخوارج، فكان الأحرى به أن يتجه إلى قتال أقربهم إليه وهو عكاشة ابن محص في قابس، لأنَّ في هذه المرة قد عمت الثورة مناطق تونس وبها بربر إفريقية بقيادة عكاشة، والمغرب الأوسط بقيادة عبد الواحد الهواري، والمغرب الأقصى بقيادة أبو قرة المغيلي، و ورد عن ابن عذاري أن جيش البربر تكون من ثلاثمائة ألف مقاتل[277]، ولكن لا يُعرف فيما إذا كان العدد هذا تقديراً لقوات البربر كلّها وهي مجتمعة أم أنه عدد جند عكاشة فقط؟.

وكان التقاء الجيشان في موقع يقال له حالياً "بطن القرن" ولا يبعد كثيراً عن القيروان، وهزم البربر في المعركة وهرب عكاشة[278]، أما الهدف الثاني المرتقب لحنظلة كان عبد الواحد الهواري في المغرب الأوسط (الجزائر)، وقد تختلف المصادر حول ما إذا كانت معركة القرن أو لا أم الأصنام في الجزائر هي الأولى[279]، ولكن سبب اللّبس هذا قد يُعزى إلى قرب

---

[274]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص223.
[275]- اخبار مجموعة: ص36.
[276]- مؤنس: ثورات البربر، ص179.
[277]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص30-31-32.
[278]- القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص116.
[279]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص305.

الموقعتين زمنياً من بعضهما إلا أن الأقرب إلى التصور جغرافياً أن حنظلة هزم عكاشة ثم توجه إلى عبد الواحد الهواري، فحاربه وانتصر عليه في الأصنام وقد وجد مقتولاً بعد عدة أيامٍ من المعركة[280].

وتهيأ بعدها حنظلة لتنظيم الصفوف للقضاء على ما تبقى من الفلول وأتباع الخوارج فوجد أنه لا كفاية لديه من الجند، فبعث بكتاب إلى والي طرابلس معاوية بن صفوان يستنجده فأمده بأهل طرابلس، فبعث به حنظلة لمقارعتهم في نفزاوة فقاتلوا قتالاً شديداً حتى انتصروا ولكنه قُتل[281]، وكُسرت شوكة الخوارج وما اندثرت عداوة البربر للعرب، فأصبح المذهب عندهم ليس هو الاحكم، وإن لم تكن هناك عنصرية في بداية الصراع أصبحت تبرُزُ في لاحقِه، وأصبح قتال العرب المسلمين وإضعافهم هو ما استحكم في عقولهم، وهذه المعارك كانت بداية نهاية الثورة الأمازيغية والخوارجيه في إفريقية، إذ رغم الانتصارات الأخيرة لم يتم القضاء على ما بقي من الفتنة[282].

سادساً: القضاء على الثورات

لم تكن موقعتَي القرن والأصنام كما ذكرنا سابقاً هي نهاية الصراع بين العرب المسلمين وخلافتهم في دمشق والبربر وزعمائهم من الخوارج الصفرية والإباضية، لكن الفترة القادمة كانت قد أضعفت الخلافة الأموية فظهر من خلال هذا الضعف روح للتمرد والانفصال لدى بعض الولاة وقواد الجيش وكان لولاية إفريقية نصيباً رغم الاضطراب الذي أصابها.

تجلّى ضعف الخلافة الأموية بعد وفاة هشام بن عبد الملك وتولّي الوليد بن يزيد بن عبد الملك[283]، إلا أن الضعف والخلافات عصفت ببيت الخلافة وكانت بداية نهاية الخلافة الأموية كما حددها المؤرخون، فقد قتل الوليد ابن يزيد أثر الحروب الدائرة مع أبناء عمه على الخلافة، وتولى بين سنتي 126.125هـ/743.742 ثلاثة خلفاء في أقل من ثلاثة أعوام، فكان هذا الأمر سبباً في حدوث الانشقاقات أيضاً في إفريقية والمغرب.

---

[280]- ابن عبد الحكم: مصدر سابق ص221-224/ القيرواني: مرجع سابق، 112-115/ ابن الأثير الكامل ج4 ص223-224/ البيان المغرب، ج1 ص30-31/ اخبار مجموعة ص36/ حسين مؤنس مصدر سابق ص179.

[281]- الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص113-114.

[282]- اخبار مجموعة: ص37.

[283]- الوليد الثاني بن يزيد الثاني الاموي القرشي: الحاكم الحادي عشر لعصر الخلافة الاموية 743-744م، تولى بعد وفاة عمه هشام ويوصف بأنه حسن السمعة حيث زاد رواتب الجند فور استلامه للحكم، ولكن اصاب انقسامٌ بيت الخلافة فقام عليه بعض ابناء عمومته متهمين اياه بالفسق والمجون فقتل على إثر ذلك في الصراع الدائر معهم (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7 ص8).

في ظل ولاية حنظلة بن صفوان كان عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي فرّ إلى الأندلس بعد الهزيمة مع البربر في موقعة بقدورة[284] قد عاد إلى تونس من طريق البحر وآتى إلى القيروان وتواصل مع زعمائها ثم طلب أن يبايعوه على إفريقية للانفصال بها، وخاصةً وأن الأمر في دمشق كان في اضطراب، فأجابوه وأطاعوه، وعند سماع حنظلة بن صفوان بذلك قيل أنه هَمّ لقتاله، ولكن عدل عن ذلك لما كان مشهوداً له بالورع و التقوى و تفضيل صالح المسلمين، فأبى أن يقتتل المسلمون مع بعضهم، ورغم أن عبد الرحمن ابن حبيب قد بُويع من الزعماء على الانفصال إلا أنهم بعد استقرار أمر الخلافة لمروان بن محمد كرهوا أن يبقوه لطيشه وغروره[285]، ولكن مروان بن محمد ثبّته سنة 127هـ.744م وأقرّه على إفريقية لفرض نفسه ولكي لا يستقل بإمارته[286] استقلالاً كلياً عن دمشق، ورحل حنظلة إلى دمشق عائداً وتولّى عبد الرحمن ابن حبيب مقاليد الإمارة شبه المستقلة عن الدولة، فأراد أن يسحق كل تمرد على سلطته وكان الأمازيغ من أولوياته لأن حنظلة لم يقضي على ثورتهم بشكل كامل كما أن تطلّعهم للاستقلال ببلادهم لا زال باقياً، فإنهم أيضاً ما كانوا ليبايعوه كلياً في سلطانه عليها[287].

ومن هنا وسعياً لتحقيق النفوذ الكامل على إمارته التي عزم على توطيد دعائمها، عمد إلى مواجهة البربر والخوارج الذين بقيت ثورتهم في الجبال وبعض المدن، وظهر أثناء ذلك زعيم جديد للبربر يدعى (ثابت الصنهاجي) انضم إليه عدد من زعماء القبائل هناك، فبعث عبد الرحمن بأخيه إلياس بن حبيب ولم يكن معه إلا ستمائة فارس[288] واستخدم الحيلة وأمعن في قتلهم بلا رحمة سنة 130هـ/748م[289].

وفي سلسلة إخماده للثورات قضى على ثورة طرابلس التي كانت بقيادة الحارث بن تليد الهواري وعبد قيس الهواري الذين انضم إليهم بربر هوارة، وهنا يجب ذكر أن عبد الرحمن كما يبدو في تاريخه أثناء قضائه على خصومه يستخدم الحيل وكانت تنتهي بالنجاح، فعندما عجز عن دخول طرابلس محارباً عمد إلى دس عصبةٍ من أتباعه أجهزوا على الأخوين

---

[284]- ابن عذاري: سابق، ص33.
[285]- ابن عبد الحكم: مرجع سابق، ص223.
[286]- ابن الاثير: الكامل، ج4، ص279.
[287]- سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص323-324.
[288]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص33.
[289]- ابن الاثير: مصدر سابق، ص279. /مؤنس: ثورت البربر، ص182-183.

الهواري سنة 131هـ/749م، حتى أنهم وضعوا في أيديهما السيوف بالمقابض حتى يظن الناس أنهما تقاتلا فقتل بعضهما الآخر[290].

أمّا في مدينة قابس فقد ثارت عليه نفوسة (قبيلة بربرية) تزعم الثورة فيها إمام الإباضية على طرابلس كلّها وهو (إسماعيل بن زياد النفوسي)، ويبدو من المصادر التاريخية أن ثورة إسماعيل قد جاءت عقب مقتل الحارث في طرابلس على أنها كانت في قابس رغم أن صاحبها من طرابلس، ومع ذلك فإن عبد الرحمن قضى عليها أيضاً سنة 131هـ/749م[291] وأرسل بالأسرى يساقون سوقاً في أزقة وأسواق طرابلس، وضرب أعناقهم وأمر بصلبهم، وقيل إنه بعد أن قضى نهائيا على الثائرين والمتمردين بعث إلى الخليفة مروان بن الحكم يُعْلمُهُ فأقرّه على ولايته واعترف بسلطانه عليها[292]، وهذا في الحقيقة يتناقض مع رواية ابن عذارى وابن الأثير التي ترى أنَّه فرض نفسه على الولاية سنة 126هـ.743م وأقر واعترفَ له بها من مروان بن الحكم سنة 127هـ.754م ويبدو هذا أقرب إلى الترجيح[293] لأنه إذا أراد أن يُعلمَ الخليفة بانتصاراته سنة 131هـ.748م، فهذا لأنه لم يخرج عن الطاعة الأموية بل كان شبه مستقلٍ في ولايته بسبب ضعف الخلافة ربما، ولا ضير من إخبار الخليفة بآخر التطورات في محاربة الخوارج .

سابعاً: الآثار التي خلفتها الحروب والثورات بين شعوب البربر والعرب المسلمين

1-كانت الثورة فكرية قبل أن تكون بقوة السلاح، إذ أن الخلل الحاصل في طريقة الخلافة في التعامل مع الشعوب غير العربية أعطى مبرراً لهذه الشعوب في إسماع صوتها بطريقة عنيفة لعدم النية الحقيقية من قِبلِ الحكام للاستماع إلى البربر (مثلاً) الذين اضطهدوا من قبل ولاة هذه الدولة، وأساء بعضهم بذلك إلى جوهر الإسلام القائم على المساواة والتسامح والمؤاخاة.

2-الثورة الفكرية تعززت بوجود الخوارج إلى صف الثوار، يعلمونهم حقوقهم وواجباتهم كمسلمين كتعاليم جوهرية أثرت في أنفسهم وأظهرت الخوارج كمُخلصين لهم، كما أن الخوارج أخذوا يعلمونهم ما يشاءون من مبادئ مستغلين الضغينة الدفينة في نفوس البربر، لتسريب ما يمكن تسريبه من مفاهيم جديدة إلى الأذهان والعقول، ورغم ذلك فإن معظم التعاليم كانت

[290]- سالم: مرجع سابق، ص324.
[291]- ابن عبد الحكم مصدر سابق، ص225.
[292]- البلاذري: فتوح البلدان، ص274.
[293]- ابن الاثير ص279 وابن عذارى ص33-34.

تحضّ على المساواة والإنصاف مع الرعية، الأمر الذي أدّى إلى التحاق البربر بالخوارج بدلاً من الوقوف مع دولة لا تعترف بحقوقهم.

3-تغذية النزعة الانفصالية، فلم تعد الثورات في سبيل الإصلاح وإنما في سبيل خلاص المجتمع الأمازيغي من الحكم الأموي والاستقلال، وأصبح تكوين دولة مستقلة هو طموح زعماء الثورات في إفريقية فتشتت البلاد وضعفت وحدتها.

4-امتداد نشاط الثورة في المغرب لم يقف عند حدود إفريقية فحسب، وإنّما امتد ليشمل الأندلس التي تحوي على نسبة من الأمازيغ كان لهم أثر كبير في الفتح الإسلامي للأندلس.

5-التحالف الذي قام بين ميسرة المطغري (من كبار زعماء الأمازيغ والخوارج في المغرب) وعبد الأعلى بن جريح الأفريقي (من زعماء الأفارقة في المغرب) إنما دلّ على أنّ بطش عمّال الدولة لم يطل البربر فحسب وإنما تعدّاه إلى الأفارقة الذين عانوا الرقَّ وإحطاط القدر من قبل الولاة.

6-استغلال العبّاسيين في المشرق وأنصارهم الحروب التي واجهت الأمويين في إفريقية مما أضعف الخلافة الأموية وأدّت إلى سقوطها لاحقاً.

7-كانت حروب الدولة العباسية لإنهاء حكم الأمويين في المشرق سبباً في الهجرة من الصحاري العربية في المشرق إلى إفريقية، ورغم أن البربر كانوا يسعون للتخلص من حكم المشرق حتى عندما جاء العباسيون، إلّا أنهم احتضنوا الهجرة المشرقية ونهلوا من علم وفقه المشرق، وهناك أيضا هجرة ثانية من الصحراء المغربية انبثق منها لاحقاً ما يعرف بالمرابطين وهم بالأصل أبناء هذه الهجرة.

الفصل الرابع

علاقة البربر بالعرب المسلمين في ظل الدولة العباسية حتى نهاية فترة الولاء للعباسيين وتنتهي بحوالي (240هـ)

أولاً: أحوال ولاية إفريقية في بداية العصر العباسي وولاية عبد الرحمن بن حبيب:

عندما قَدُم العباسيون على تركة الدولة الأموية وجدوا أن رقعة الدولة تغطّي مساحات شاسعة من القارتين الآسيوية والإفريقية، وتبيّن أنّ العبء ليس قليلاً على كاهل الحكام الجدد، عمد العباسيون على نقل الخلافة من دمشق إلى بغداد، فأبعد هذا الإجراء مركز الدولة ليس جغرافياً فحسب وإنما أيضاً كمسؤولية ومهام، فأنصار العباسيين في العراق وخراسان، والبعد الآسيوي لبني العباس طغى على حكمهم، فكان جُلّ جهدهم في المحافظة على السيادة العباسية بأبسط أشكالها على إفريقية، ويجدر بالذكر أن الخلفاء الأوائل للدولة العباسية كانوا أكثر حرصاً واهتماماً ببسط السيادة على إفريقية من اللّاحقين منهم، لكنهم مع ذلك اكتفوا فقط بأن تكون مهمة الوالي هو الدفع بأموال ولايته وإبداء الطاعة ورفع الخطبة للخليفة العباسي في المنابر، فميولهم هذه كانت أكثر من ميلهم إلى الحكم المباشر والمركزي الذي قد يُرهق كاهل الخلافة أكثر من اللازم.

في تلك الأثناء من تأهب العباسيين لاستلام زمام السلطة كان عبد الرحمن بن حبيب هو والي إفريقية من قِبَلِ الأمويين، وعند تبدل الأوضاع السياسية في المشرق سارع عبد الرحمن في إبداء الطاعة للعباسيين، فخطب لهم على المنابر، وأرسل مبايعته وطاعته فرحّب بها الخليفة العبّاسي أبو العبّاس السفّاح وأقرّه على ولايته مادام دافعاً بالطاعةِ وملتزماً بواجبهِ تجاه الخليفة، وعند تولي أبو جعفر المنصور سنة 136هـ/754م، وبعد فترة من بداية حكمه، خرج عبد الرحمن عن الطاعة عنوةً، وربما يعود ذلك إلى التوتر بين الرجلين.

ولم يكن العباسيون بالنسبة للأمازيغ أحسن من سابقيهم، فالأمازيغ شعب يَغلبُ طبعه إلى التمرد، وبُغض وِلاتِهم من العرب المسلمين الذين كانوا يفرضون الضرائب المرهقة على عامة السكان، ولعل هذا أدّى إلى تطورات أدت لاندلاع الثورات من جديد، كما أن للأحداث التي حصلت في عهد عبد الرحمن بن حبيب أكبر الأثر.

كان عبد الرحمن كما ذكرنا في خلاف مع أبو جعفر المنصور، ولعلى السبب في ذلك أنه يعود إلى أن ابن حبيب قد أمرَ بالطاعة فأجاب وأغدق على المنصور بالهدايا، ولكن يُشهدُ لعبد

الرحمن أنه لم يُرِد لسوء السيرة في البربر أن يتكرر، فلا سَبياً أو رِقّاً يُبعث لخليفة كما ورد في رسالته للمنصور: "إن إفريقية اليوم إسلامية وقد انقطع السبيُ منها"[294]، الأمر الذي أغضب المنصور فجاء ردّه متوعداً لابن حبيب، ولعل ابن حبيب – والله أعلم – قد أخذ هذا حجة على العباسيين لإعلان انفصاله، أو أنه أراد الحق بهذا الفعل، كي لا يُوصف بأنه سبى النساء من البربر وأساء إليهم لإرضاء الخليفة، وولاية إفريقية أصبحت كلها مسلمةٌ فلا يجوز التعامل مع أهلها على أنهم مشركون أو أهل ذِمة، وقد بين ابن حبيب في خطبةٍ له بالناس أسباب خلع العباسيين ومن ضمنها "إقامة العدل"[295] ، حيث أُتّهِمَ المنصور بأنه يريد أن يعمل بالباطل[296].

وهكذا أراد لإفريقية أن تكون لنسله من الفهريين من أحفاد عقبة بن نافع، ولكن سرعان ما تهاوت أحلام هؤلاء، حيث أن إلياس أخو عبد الرحمن قد غدر بأخيه لمعرفته أنه قد ترك ولاية العهد لابنه حبيب، فقتله في سنة 137هـ/754م[297]، واستغل البربر هذا وانتفضوا من جديد حتى ضبط إلياس الأمور في القيروان، لكن حكمه لم يستمر طويلاً إذ أن حبيب بن عبد الرحمن قد أخذ بثأر أبيه بعد صراع دام سنة دخل فيه مع عمه إلياس حتى قتله عام 138هـ/755م[298]، وهرب ما تبقى من أسرة إلياس وأتباعه ولجأوا إلى قبيله من قبائل الصفرية وهم من الخوارج وزعيمهم (عاصم بن جميل) وكان يدّعي النبوة، واستطاع هذا أن يهزُم حبيباً ويقتله سنة 140هـ.757م[299]، ودخل الخوارج الصفرية القيروان مخرّبين ومدمّرين، وقتلوا الكثير من البيت القرشي وأهل القيروان وساموهم سوء العذاب[300]، ثم أصبح الصراع بين البربر أو لنقل بين الخوارج أنفسهم، إذ تصارعت الإباضية بزعامة الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[301] مع الصفرية التي سيطرت على القيروان، حيث لجأ البعض إليهِ يلتمسون المساعدة وكان من وجوه العرب المسلمين، وأول المناطق التي سيطر عليها كانت طرابلس ومنها جمع من حوله من البربر من أتباع الخوارج وأثار النخوة والحمية فيهم لإنقاذ القيروان على حد تعبير البعض[302]، ولكن الصراع في الحقيقة كان سياسياً

---

[294]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص37. / البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي، 142.
[295]- ابن عذاري: المصدر السابق، ص38.
[296]- البرغوثي: مصدر سابق، ص143.
[297]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص299.
[298]- المرجع السابق، ص302-303. وايضا انظر تاريخ ليبيا الاسلامي، ص143.
[299]- ابن عذارى: مصدر سابق ص40
[300]- البرغوثي: مرجع سابق، ص143. / ابن عذاري: مصدر سابق، ص40.
[301]- عبد الاعلى بن السمح المعافري: أصله من اليمن، وكان من ضمن حَمَلة العلم الخمسة من المغرب الذين تتلمذوا في البصرة عند الامام ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة أحد كبار شيوخ الخوارج وأئمتهم في العراق. أصبح أحد دعاة الاباضية وزعيمهم في طرابلس وجبل نفوسة، واسهم تأسيسه للإباضية في تلك المنطقة في الثورات المتعاقبة ضد الخلافة ومن بعد ذلك ضد الأغالبة حتى تمكن الخوارج الاباضية من تأسيس دولة لهم التي عرفت بالدولة الرستمية وضم طرابلس ونفوسة اليها. (ناصر، محمد صالح: منهج الدعوة عند الاباضية، ط2، ن: مكتبة الاستقامة. مسقط. سلطنة عمان، 1418هـ/1997م، ص149.)
[302]- ناصر: المرجع السابق، ص149، 150.

لبسط السيطرة الإباضية وإكمال مهمة الثورات السابقة، ومن هنا اتجه أبو الخطّاب إلى قابس فسيطر عليها وقاتل خارِجَ أسوار القيروان فهزم البربر الصفرية بزعامة قبيلة رفجومة، وبعد حصار استسلموا له ودخل المدينة سنة 141هـ.758م فسيّرَ أمورها وعين والياً عليها من تِبَعِه، فأصبحت القيروان تتبع ولاية طرابلس بعد أن كان العكس[303].

كانت الأمور التي تجري في المغرب تصل الى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وعند معرفته بأن الخوارج قد استحلّوا المغرب الأدنى أمر محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي[304] والي مصر أن يقاتل الخوارج في المغرب الأدنى، ولكن جيشه وقائده منّوا بالهزيمة مرتين كانت إحداهما في برقة والأخرى في سرت من نفس العام 142هـ.759م، وهنا أمره الخليفة بالخروج بنفسه لمحاربتهم، وهيّأَ له جيشاً من أربعين الفاً[305]، أما الخوارج فقد استعدوا حسب رواية ابن عذاري بمائتي ألف مقاتل أمازيغي، وهو عدد فائق جداً في رواية ابن عذاري التي قد تختلف معها بعض المصادر، ولكن العدد كان كبيراً على كل الأحوال يفوق جند ابن الأشعث[306] وكانت سرت (أو منطقة بقربها) هي مكان المواجهة.

واستخدم ابن الأشعث الحيلة مع أبي الخطاب حين قطع أخباره وأخبار عسكره عن إفريقية وبث العيون للاستطلاع، وفي روايات أخرى ان الحظ كان حليفا لابن الأشعث إذ أن خلافاً دبّ بين قوات أبي الخطاب من قبائل زناتة وهوارة[307] لسبب يعود إلى أن أبي الخطاب كان يميل الى هوارة ومناصرتها واستقطاب عناصرها أكثر من زناتة، فكانت هذه فرصة سانحة لابن الأشعث الذي فاجأ قواتهم وقتل أبي الخطاب، ولكن الزّناتية بعد ندمهم على فعلهم الذي أدار الدائرة على الأمازيغ أرادوا أن يثأروا لمقتل أبي الخطاب ولهزيمتهم، فحرج زعيمهم أبو هريرة الزّناتي في ستّ عشرَ ألفاً لمقاتلةِ ابن الأشعث فهزمهم ابن الأشعث في سنة 144هـ.761م[308].

دخل محمد بن الأشعث القيروان في نفس العام وأمر بإعادة بناء سورها وتحصينها بشكل جيد وأتم ذلك عام 146هـ.763م، وأعاد السيطرة على كلٍ من طرابلس وودّان وزويلة، وطرد جموع البربر الخوارجيه وقاتلهم في كل مكان وعمل على أن يُريهم بأسا حتى يذعنوا له

---

[303]- الزاوي، الطاهر احمد: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ن: دار الفتح. بيروت. لبنان، 1970م، ص48،47.
[304]- محمد بن الأشعث الخزاعي: من مواليد العراق وكان قد نشأ وترعرع فيه، وهو من أشهر قادة الجيوش في الدولة العباسية وموضع لثقة ابو جعفر المنصور، اذ عينة على مصر واليا ومن ثم انتدبه لمحاربة الخوارج في إفريقية سنة 142هـ.
[305]- البرغوثي: مرجع سابق، ص145.
[306]- ابن عذاري: مصدر سابق، ص41.
[307]- الشماخي، ابو العباس احمد: السير، ت: محمد حسن، ط3، ن: دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان، 2009م، ص130.
[308]- البرغوثي: مرجع سابق، ص146.

بالطاعة[309]، ولكنه عُزل سنة 148هـ.765م من قِبل جنده الذين غضبوا لسوء معاملتهم، واتفقوا على تولية (عيسى بن موسى الخراساني)، ولكنه لم يلبث أكثر من ثلاثة شهور لعدم رضى أهل القيروان لتوليته وعدم علم المنصور بذلك.

ثانياً: وُلاة العباسيين حتى ظهور الأغالبة:

بدأ وجود االأغالبة في بلاد المغرب العربي وليبيا مبكراً، تم تعاقبت سلالتهم على الولاية برضىً من الخلافة، وكانت بداية وجودهم على زعامة إفريقية قد ظهرت بتولية (الأغلب ابن سالم ابن عقال التميمي[310])، وتخللَ بداية ظهورهم انقطاع، ولّى فيه العباسيون غيرهم على إفريقية، حتى أثبت الأغالبة قدرتهم على إحكام السيطرة على إفريقية، مما جعل العباسيين يثقون بهذه العائلة ويمنحونها التّبعية غير المباشرة لهم.

وقد تمت تولية الأغلب بن سالم على إفريقية لِما رأى فيه المنصور من شجاعةٍ وإقدام وحزم وشِدّة، وكان وقتها قد أعان ابن الأشعث في شتى المواقف عندما كان والياً على الزّاب في الجزائر، كما أن ثورات البربر والخوارج لم تنته بعد، فمن حرب إلى حرب، ومن ثورة زعيم الى ثورة آخر.

وفي هذه الأثناء كان حشد الأمازيغ قد بلغ المغرب الأوسط، وبدأ يستعد لمهاجمةِ القيروان بزعامةِ (أبي قرة بن دوناس) ويغلب الاعتقاد أنه من صفرية المغرب، ومن الجدير بالذكر أن مقارعة العباسيين ووِلاتهم للثورات لم تنجح إلا في السيطرةِ على القيروان وطرابلس وبرقة وتوابِعها، وبعض المدن من مقرات الولاة كالزّاب وتونس، وما تبقى من إفريقية باستثناء مصر، فكلّها عليهم، من إباضية وصفرية، والأمازيغ منقسمين بينهما[311].

خرج الأغلب بن سالم للقاء الخوارج في تلمسان، ولكنهم انسحبوا إلى المغرب الأقصى قبل أن يقاتِلهم، وهنا جاء خبر استيلاء الحسن بن الحرب الكندي (وهو من قادة جند الأغلب) على القيروان، فعاد الأغلب إليها لمواجهة التمرد وقُتِل بسهمٍ طائش في القتال[312]، وكان الأغلب قد أُستُخلف على ولاية الجيش المخارق بن غفار الطائي، والي طرابلس، فأخذ له بالثأر

---

[309]- ابن عذاري: سابق ذكره، ص41.

[310]- الأغلب بن سالم بن عقال التميمي: (140/196هـ،757/812م) يُنسب اليه اسم الدولة الأغلبية وهو من قبيلة تميم التي نزلت خراسان مع بدايات الفتح الإسلامي لها، ونظرا لانطلاق الدعوة العباسية من تلك الأنحاء كان للأغلب نصيبا في قيادة الدعوة ولاحقا من أهم قادة الجيوش في الدولة العباسية.

[311]- البرغوثي: سابق الذكر ص47.

[312]- ابن عذاري: مصدر سابق ص43.

وقتل الحسن بن حرب سنة 150هـ.767م، وكانت ولاية المخارق مؤقتة لأن أهل القيروان قد أجمعوا على استخلافِه للحاجة المُلِحّة في ظلّ الظروف الصعبة، وأرسل المنصور والياً جديداً لاستدراك أمور إفريقية قبل فوات الأوان.

1-عَمر بن حفص المهلبي[313] (154/151هـ)

تعاقُب المهالِبة على السلطة لم يُذكر في التاريخ على أنه تأسيس دولة كالدولة الأغلبية، وإنما اعتُبِر تعاقباً لأفراد عائلةٍ واحدةٍ على الولاية حظِيوا أيضا بثقة العباسيين وكانوا مجرّبين في الحروب وسُمّيوا بالمهالِبة، عُين المنصور عمر بن حفص المهلَبي على إفريقية لولائه وشجاعته وبأسه، ولإسهام جدّهِ المهلب ابن أبي صفرة في مقارعةِ الخوارج في المشرق العربي، كان عَمر مُحسناً في ولايتهِ للناس، متودّدَاً لزُعمائهم، كاسباً رضى العامة، عمّ الأمن في عهده لمدة ثلاثة سنوات انشغل فيها بإصلاح الأمور والأحوال، حتى اجتمع البربر عليهِ إباضية وصفرية بأعداد كبيرة، وكان وقتها في مدينة طَبنة في الزّاب يعمل على إعمار حُصونِها وأسوارها، فتَخَندقَ بمن معه في المدينة، وكان زعماء البربر الخوارج آنذاك هم أبو قرة الصفري، (من زعماء الخوارج الصفرية) وعبد الرحمن بن رستم الإباضي، (زعيم للخوارج الإباضية) وقائدهم أبو حاتم الإباضي، وكان التحالف جُل عسكره من البربر الصفرية[314]، وهذه نقطة حسَب حسابَها عَمر عندما حاصرته الجُموع، حيث بعث إلى الصفرية يَغويهم بالمال لينصرفوا عنه حتّى نجح، فعادُوا إلى بلادِهم وتركوا الإباضية بقيادة عبد الرحمن بن رستم، فأخرج لهم قوةً تُقاتلهم فهزمهم[315].

وتوجه عَمر إلى القيروان واستعدّ لحصار شديد يوشك أن يَحُل على المدينة، إذ أن الخوارج بشقّيْهِم في المغرب قد اجتمعوا عليه بقوةٍ هائلة، ودام الحصار عاماً حتى نفذت مخزوناتِهم من الطعام، فخرج عليهم وقاتلهم حتى قتلوه سنة 154هـ.770م، ومن عقَبه على القيروان عقد صلحاً مع أبو حاتم الإباضي ليخرجوا إلى طبنة في الزّاب، ودخل أبو حاتم إلى القيروان فأعجب في أهلها حتى طرد الكثير منهم لاحقين بالعسكر المتوجه إلى طبنة[316]، وبهذا

---

[313]- عمر بن حفص المهلبي: ايضا من كبار قادة الدولة العباسية، معروف بصلابته وبأسه وشجاعته، وهو مؤسس مدينة طبنة والعباسية في المغرب، وتلك الأخيرة هُدمت بعد مقتله من قِبلِ ابو حاتم الإباضي، استمرت ولايته حتى مقتله سنة 154هـ، وظل آل المهلب يتعاقبون على الحكم من بعده كابن اخيه يزيد بن حاتم (البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي، ص147-148-149).

[314]- ابن عذاري: سابق، ص43.

[315]- المصدر السابق ص43.

[316]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص322.

سيطر الأمازيغ والخوارج على القيروان، فكان بسطاً لسيطرتهم على كل إفريقية من جديد وضربةً للخلافة العباسية والعرب المسلمين.

2-ولاية يزيد بن حاتم المهلبي[317] (170/155هـ)

كان عزم الخليفة المنصور هذه المرة أشد على ضبط أوضاع إفريقية وإنهاء فتنة الخوارج التي تستخدم البربر وقوداً لها، كان يزيد بن حاتم مقرباً لدى الخليفة ومِن أنصاره وعسكره في حرب الخلافة على الخوارج، وهو من بيت المهلب أيضاً، وهذا يؤكد لنا أن الخلافة العباسية كانت لا تمانع في منح الولاية لآل بيت واحد على التوالي، عكس ما كانت تحبذه الخلافة الأموية، كان إعطاء الاستمرارية لعائلة واحدة في الحكم بالنسبة للعباسيين هو نقطة نفوذ، لأن الحكم المستمر يجعل الوالي وآل بيته ضالعين في الولاية والأمور المحيطة بها، فتتوارث معرفة الناس وفن إدارتهم مثلاً من جيل إلى جيل فتكون فترة الهدوء والاستقرار معتمدة على مدى مسايسة هذا الراعي المتمرس على إدارة رعيتهِ، وإن كان البربر من الشعوب الصعبة المِراس، فإن الولاة الذين يحفظون طباعهم، وردود أفعالهم، ويتأقلمون على مسايستهم هم الولاة الذين يقضون في إفريقية وبين سكانها فترة أطول.

سيطر أبو حاتم الأباضي على القيروان وطرابلس وغيرها من المدن حتى لم يبق للعرب من المغرب الأدنى إلا قليلاً، وسيّرَ الخليفة ليزيدٍ جيشاً كبيرا يُعينهُ في مهمّته، ويتفق كلٌ من البرغوثي وابن عذاري على أنه جيش من أمم خراسان والشام والعراق[318]، ولكن بعض المؤرخيين اختلفوا على العدد، فمنهم من قال تسعينَ ألفاً، والآخر قال أنه كان جيشا في ستينَ ألفاً[319]، والأرجح أن الاقتراح الثاني هو سابق للأول، أنه جيش من أمم خراسان والشام والعراق[320]، ولكن بعض المؤرخيين اختلفوا على العدد، فمنهم من قال تسعينَ ألفاً، والآخر قال أنه كان جيشا في ستينَ ألفاً[321]، والأرجح أن الاقتراح الثاني هو سابق للأول، أي أن الخليفة بعثَ بستينَ ألفاً وأثناء مسيرة يزيد ووصوله ليبيا انضمت إليه جموع من عرب القيروان

[317]- هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة. مشهور بقتاله للخوارج وكان ايضا نافذ الرأي والبصيرة ومقرب لدى الخليفة المنصور. كان واليا على مصر عندما انتدبه المنصور لقتال البربر والخوارج في إفريقية. (البرغوثي: مرجع سابق، ص149).
[318]- البرغوثي: سابق الذكر، ص150/ ابن عذاري ايضا سابق، ص45.
[319]- البرغوثي، ص150.
[320]- البرغوثي: سابق الذكر، ص150/ ابن عذاري ايضا سابق، ص45.
[321]- البرغوثي، ص150.

والفارّين من ويلات التهديم التي حلت بمدينتهم، أضف إلى ذلك البربر "المستعربة" والبربر المناوئين لأبي حاتم أيضاً الذين انضموا لجيش يزيد[322] فاكتمل العدد حتى أصبح تسعين ألفاً.

وعندما زحف أبو حاتم للقاءِ يزيد سار إليه يزيد وقاتله قتالاً عظيماً وقتل مِن أتباعه الكثيرين، وكان ذلك قرب طرابلس، التي ولّى عليها يزيد سعيد بن شداد[323]، وكان قد دخل طرابلس بعد أن تبِع أبا حاتم إلى معقلٍ في جبل نفوسة قرب طرابلس وقتله سنة 155هـ.771م، وبقيت الفلول من البربر تجمع بعضها حتى وُلّيت عليها خلفاً لأبي حاتم هو أبو يحيى بن فانوس الهوّاري[324]، ولازالت قوات يزيد تتبعهم حتى ألحقت بهم الهزيمة وشُتت تجمعهم، وباشر يزيد بعد هذه الهزيمة في بعث الخوارج في أنحاء المغرب لاسترجاع المدن التي خرجت عن سيطرة الخلافة، فبعد أن دخل القيروان في سنة 156هـ.772م أرسل مدداً لطبنة التي حُوصرت لفترة، وسيطر على الأمن في المغرب الأوسط، وقضى على تحالف الإباضية الجديد بنواحي طرابلس، ثم عاد بعد ذلك إلى القيروان في عام 157هـ773م فأتم إعادة بناء المسجد الجامع فيها وكان "غاية في الروعة"[325]، ورُوي أن إفريقية قد أذعنت مع بربرها وعادت القيروان كحاضرة إسلامية فكرية وعلمية يقطبها الكثيرون، ودامت ولاية يزيد التي حمدها الكثير حتى وفاته سنة 170هـ.786م[326].

كان مَن تعاقب على الولاية من المهالبة أغلبهم في فترة حكم قصيرة، واتسمت الفترة ببعض الاضطراب من ناحية البربر والخوارج الإباضية، ولكنها لا تقارن بثورات سابقاتها، إذ حال الأمر منذ ولاية يزيد بن حاتم وقضائه على الثورات المستمرة عند قدومه إلى الهدوء نسبياً بعدها.

تولى داود بن يزيد بن حاتم وقضى على تجمع جديد للإباضية في باجة القريبة من تونس وهزمهم في عدة معارك، ولم تدم فترة حكمِه إذ عاد إلى مصر التي ولّاه هارونَ الرشيد عليها، وعيّن بدلاً منه على إفريقية عمه روح بن حاتم المهلبي، وكان شيخاً مُعمراً ما كان ليلبث حكمه طويلاً حتى توفي سنة 174هـ790م، وما ميز فترة حكمه أن دعوةً انفصالية قد استقطبت جموع القبائل الأمازيغية في المغرب الأقصى، وكان زعيم هذه الدعوة (إدريس ابن عبد الله

322- الشماخي: السير، ص136.
323- ابن عذاري: ص45.
324- ابن خلدون: العبر، ج6، ص141.
325- ابن عذاري: ص46.
326- البرغوثي: ص151.

الحَسني[327]) الذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وتاخمت الأغالبة في المغرب الأوسط، ونأتي على ذكرها ويتم التطرق لها لاحقاً في هذا الفصل.

وكان سلطان الدولة العباسية وقتها ما كان ليصل الى أبعد من المغرب الأوسط لكثرة الثورات التي أخرجت الكثير من البربر وقبائلهم من أيدي الخلافة، وعلى أي حال فإن المناطق التي بقيت بحوزتهم من ولاية إفريقية تألفت من برقة وطرابلس والقيروان وتونس وبعض الأجزاء من المغرب الأوسط، وقد اكتفى بها العباسيون، للبعد والمشقة غرباً، ولأن هذه النواحي أقرب إلى ولاية مصر التي تمدّها بالمال، وتمدها أيضاً حالة الحرب بالجند، وعقَب روح جاء إلى الولاية نصر بن حبيب المهلبي، وآخر أُمراء المهالبة كان (الفضل بن روح بن حاتم) الذي تولى سنة 177هـ.793م، وكان سيء السيرة مستبداً بسلطتهِ[328] مما أدّى إلى قيام تمرد عليه من الجند في تونس، وكان قائدهم وقتها عبد الله بن عبد ربه بن الجارود، الذي تمكن من قتل الفضل سنة 178هـ.794م ودخول القيروان مسيطراً على السلطة فيها، وسادت الاضطرابات الولاية بعد ذلك، إذ تنازع على الولاية قادة الجند وأمرائهم على تقاسم السلطة في نواحيهم أو حتى في القيروان، ودام هذا الحال سبعة أشهر[329].

3-قدوم هرثمة بن أعين[330] (181/180هـ -797/796م)

عَيّن هارون بن الرشيد ، الذي كان مهتما بأمر إفريقية وشؤون الولاية فيها، هرثمة بن أعين، وهو واحد من أهم قادته في البلاط العباسي، وكان والياً على مصر وقتها، وسار هرثمة وقد بعث ليقطين بن موسى (أحد دعاة دولة بني العباس) أن يذهب إلى القيروان، وكان الرشيد مسبقاً قد بعث برسالة في سنة 177هـ.793م لابن الجارود يطالبه فيها أن يَحُدَ من فرقة القوم، ويهدئ نفوس الجند والرعية، ويستدعيه إلى بغداد فأمتثل هذا للأمر، ورافق يقطين يحيى بن موسى والي طرابلس الذي بعث برسالة الرشيد لابن الجارود، وخرج ذلك الأخير ليسلم القيروان لهم وينفذ أمر الرشيد بالقدوم إليه، وانتهى الخلاف بقدوم هرثمة بن أعين الذي يُعرف بتدبيره لسياسة الرعية وحسن إدارتهم، فتودد للقوم، وأعاد الأمن والاستقرار، وأصلح مدناً

---

[327]- ادريس ابن عبد الله الهاشمي القرشي (177/127هـ-793/743م): هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أول من دخل المغرب من آل علي بن ابي طالب، حيث تمكن من الفرار من موقعة فخ التي نصبها العباسيون للتخلص من الطالبيين. وتوجه الى المغرب الأقصى واستطاع تأسيس دولة الأدارسة في سنة 172هـ مستقلة عن العباسيين. (ابن خلدون: مصدر سابق، ص11.).

[328]- البرغوثي: مرجع سابق، ص152/ ابن وردان، الحارث: تاريخ مملكة الأغالبة، ت: محمد زينهم محمد عزب، ن: مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر، ط1: 1408هـ/1988م، ص17.

[329]- البرغوثي: ص152/ ابن وردان: المرجع السابق، ص18.

[330]- عُرف هرثمة بن أعين بأنه مقرب في بلاط الرشيد ببغداد ومن كبار قادته، ولاه هارون الرشيد مصرا سنة 178هـ، ومن ثم اعاد توجيهه الى إفريقية للعصيان الذي حصل فيها. (البرغوثي: ص52).

وموانئ ومنشآتٍ كي تقر أنفس الرعية من العرب المسلمين والأمازيغ لرعاية الدولة العباسية وليجدد ثقتهم بها ويسكنوا إلى الهدوء[331].

كما أنه هو مَن عين إبراهيم ابن الأغلب (مؤسس الدولة الاغلبة على الزاب في الجزائر[332])، وقضى على ثورة للبربر الإباضية بزعامة عيّاض بن وهب الهواري في تاهرت بالمغرب الأوسط كبدّهُم فيها الكثير من القتلى[333]، وعُرفت السنتان والنصف من حكمه بالمتّزنة والخالية من الاضطراب[334]، على أن الرجل شَهِدَ فُرقة داخل القيروان بين المسلمين وبين زعماء العرب المسلمين قد أرهقت نفسه[335] فطلب من الخليفة أن يعفيه ويعود إلى بغداد، فمنحه الرشيد ذلك وعاد إلى بغداد سنة 181هـ.717م بعد أن سلم لخلفه (مقاتل بن حكيم العكّي) مقاليد السلطة.

وكان مقاتلٌ العكّي رضيع الرشيد ولكنه سيئ السمعة في الولايات التي أقامه عليها، ولذلك ضاقت نفوس الناس من حكمه، وخاصةً العلماء منهم، حيث أنه في رواية تاريخية ضرب أحد فقهائهم ويدعى البهلول بن راشد أمام الناس وشتمه، وكان على فعله مذموماً، غير محبوب لدى أهل القيروان، كما أنه أساء للجند في معاشاتهم، فمال عديدٌ منهم للتمرد[336].

وكلما كان الوالي سيئا في طريقته كان الأمر أصعب على البلاد، فتنتشر القلاقل ويظهر الشقاق عليها، فكانت هذه الفترة من حكم مقاتل مواتية لظهور التمرد، ولظهور أيضا قوة جديدة تلعب دور الراعي الجديد على إفريقية، أما التمرد فهو من نصيب ثورة أحد وجهاء العرب المسلمين وهو (تمّامٌ بن تميم التميمي[337])، ونهض ابن الأغلب لمناصرة مولاه مقاتل العكي ضد التمرد، وحاول تمّام أن يستعطف ابن عمه إبراهيم الذي كان يخشاه تمّام ويرتعب منه، حتى أنه كان ينتظر الرد منه بكتاب، فلما وصله قيل أنه سقط يوم قرأه من الرهبة، وكان تمّامٌ معروفاً بالصرامة والشجاعة، ولكنه يهاب ابن عمه إبراهيم بن الأغلب، على حد تعبير الراوي[338].

---

[331]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص351.
[332]- البرغوثي: ص153.
[333]- الزاوي: ولاة طرابلس ص53.
[334]- ابن وردان: تاريخ المملكة الأغلبية، ص18. /زغلول: سابق ذكره ص351.
[335]- البرغوثي: ص152.
[336]- ابن عذاري: ص52.
[337]- تمام بن تميم التميمي: جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب كتاب طبقات إفريقية، وهو ابن عم ابراهيم بن الأغلب صاحب دولة الأغالبة، خرج على مقاتل العكي من تونس وتوجه الى القيروان ودخلها سنة 183هـ.
[338]- ابن وردان: مرجع سابق، ص19.

وأما الظهور السياسي فكان من نصيب إبراهيم بن الأغلب الذي مهد بروز نجمه الى تأسيس ما يُعرف بدولة الأغالبة سنة 184هـ.800م[339].

ثالثاً: دولة الأغالبة (184/296هـ)

كان إبراهيم بن الأغلب محنكاً وسياسياً من طراز فريد، استطاع فيه أن يوفق بين الطاعة للخلافة والاستقلالية عنها في آن واحد، ولربما هذا كان مطلب أو حلم البربر أيضاً ومشابهاً له إلى حدٍ كبير، وأول أيامه في إفريقية كانت كقائد للجند مع جيوش بني المهلب[340]، وقد وصفه ابن عذاري وصفاً حميداً لا يخلو من التمجيد، إذ قال " كان إبراهيم بن الأغلب فقيهاً، أديباً، شاعراً، خطيباً، ذا رأيٍ ونجدة وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكايدها، جريء الجنان، طويل اللسان، لم يتول إفريقية أحسن سيرةً منه، ولا أحسن سياسةً، ولا أرأف برعيته، ولا أوفى بعهده، ولا أرعى لحرمةٍ منه، فانطاعت له قبائل البربر، وتمهّدت إفريقية في أيامه، وعُزل العكي عنها، واستقامت الأحوال بها"[341]، ولعل ابن عذاري أراد بذلك أن يُري حجم المحبة التي كنها له البربر، أو أنهم سكنوا إلى الهدوء في ظلّ واليٍ عادلٍ، حليمٍ، رؤوفٍ بهم، على حد تعبير ابن عذاري، ووصفه ابن الأثير بالمتملق في السياسة حين تودد إلى هرثمة بن أعين حتى ولّاه الزاب، وكانت دار أهله من التميميين الأغالبة، وكان بعيد الطموح دائماً، شغوفاً لدولةٍ خاصةٍ به[342].

وهناك أراءٌ عديدة تفسر سطوع نجمه وبلوغه للولاية، ولكن أرجحها تقديراً أنه قدّم عرضاً سخياً للرشيد لا يمكن رفضه، وهو أن يدع الخليفة عنه ما يبعثه من مخصصات لولاية إفريقية، وهي مئة ألف دينار تأتي من مصر، ويبعث إبراهيم بأربعين ألف دينار من إفريقية سنوياً للخلافة العباسية شريطة استقلال ذاتي لبني الأغلب على إفريقية[343]، وورد عن السلّاوي أن يحيى بن زياد في بلاط الرشيد كان يُثني على سياسة إبراهيم الحكيمة في معالجة الأمور بما يخص ولايته في الزاب ودوره في إفريقية بشكل عام، ويطلع الرشيد أيضا على مستجدات

[339]- البرغوثي: ص153.
[340]- ابن عذاري، ص54.
[341]- المصدر السابق.
[342]- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص154.
[343]- ابن خلدون: العبر، ج4، ص196.

الأمور هناك، وخاصةً قضاء إبراهيم على فتنة ابن عمه تمّام التي أظهرت مدى إخلاصه وتفانيه[344].

وكل ما سبق قد يُلهمنا إلى تفسير السبب الذي جعل الرشيد يسند الولاية إلى شخص في مثل صفات إبراهيم، تضمن له أمن إفريقية واستقرارها الى أمدٍ طويل، فإن إفريقية كانت مهمة لبني العباس، وخاصة أن الأمويين قد اقتطعوا الأندلس، والمغرب الأقصى أصبح بيد الأدارسة من العلويين، فلم يبقي للخلافة من القسم الغربي إلا المغرب الأدنى حتى نهر الشلف في الجزائر دون التعمق غرباً[345]، فكان لابُدَ للخلافة العباسية أن تحافظ على هيبتها في الشمال الأفريقي بأقل الخسائر، لذلك فإن عرْضَ إبراهيم قد حمل العبء الكبير عن الخلافة العباسية، وردّ إلى خزينتها مئة ألف دينار في مقابل أن يأتيها أربعون ألفاً من إفريقية التي لم يكن يأتي للخلافة منها في ظل ظروفها الصعبة شيء يُذكر، في شرط اقتطاع الولاية لبيت إبراهيم ابن الأغلب مع البقاء على الطاعة والولاء لبني العباس .

كل هذا في إطار التحديات السياسية التي واجهت العباسيين، خاصةً وأن المغربَين الأوسط والأقصى قد اشتملا على دولتين معاديتين للخلافة العباسية، وهما الرستمية في المغرب الأوسط، والإدريسية في المغرب الأقصى، إضافة الى الأمويين في الأندلس.

وكانت قد حدثت فتنة أثناء تعيين إبراهيم كان سببها تزوير محمد بن مقاتل العكي لإحدى رسائل الرشيد في تعيين إبراهيم إلى أن تبينت حقيقة الأمر، وظفر إبراهيم بتأييد أهل القيروان وحبهم له فأصروا على أن يكون واليهم، ولكن كان لهذه الفتنة وقعٌ على إبراهيم في عدم الائتمان من المكائد السياسية في القيروان، فعمل على الابتعاد عن القيروان واضطراباتِها قدر المستطاع، وتكوين حاضرة له تكون مقراً لولايتهِ[346].

حتى أنه كان يحاول تبديل الجند لأنه لم يأمن من ناحيتهم، ويخشى فتنهم والانقلاب عليه، فكان يجمع البربر المستعربة والسودان والرقيق من الغلمان الذين يشتريهم من صقلية (وكانوا يُجمعون من أوروبا)، فيدربهم على السلاح وينشئهم نشأة إسلامية، وخاصةً السود الذين كانوا

---

[344]- السلاوي: الإستقصا، ج1، ص147.
[345]- دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص131.
[346]- ابن وردان: مرجع سابق، ص35. وانظر ايضا البرغوثي، مرجع سابق ص188-189.

حرسه الخاص، فأنشأ قوةً عسكرية كبيرة من هؤلاء، حتى أصبحت استعمالاتهم أيضا في دوائر الدولة وقصورها[347].

كما أنه شيد أسطولاً بحرياً أعان الأغالبة فيما بعد على غزو المتوسط، كغزو مالطا وصقلية التي استطاعوا دخولها سنة(212هـ.827م)[348]، كما وصلوا سواحل إيطاليا وأغاروا عليها[349]، وفي الحديث عن اعتزاله القيروان، عمل على تأسيس معماري لمدينته التي أسماها العباسية نسبةً للعباسيين وتكنيةً لولائِه لهم، وكانت لا تبعد بضعة أميال جنوبي القيروان[350].

وأما ذكر ثورات البربر في عهده فلم تكن ثورات البربر أو الخوارج في أيامه كسالفتها من العهود الأخرى، وإنما كانت أصعب الثورات التي واجهته هي من قادة العرب المسلمين أحيانا، كثورة حمديس بن عبد الرحمن الكندي في تونس سنة 186هـ.802م، التي جمع له فيها بربرها وعربها عليه، إلا أن إبراهيم بعث له بكبار جنده عمران بن مجالد الذي قضى عليهم وقتل عشرة ألاف منهم[351]، ولكن أصعبها عليه كانت ثورة ذاك الأخير، إذ أحس بن مجالد بأن إبراهيماً لم يكافئه بشيء بعد ان أخمد له أحد أكبر الثورات عليه في تونس، بعد أن كان طموحه بأن يوليه إبراهيم ولاية، واتحد ابن مجالد مع قريش ابن التونسي سنة 194هـ.809م، ويُرجَح سبب نجاح الثورة في الوصول إلى القيروان أن إهمال إبراهيم لعلاقته مع جنده في

[347]- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، ن: جامعة الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1999م، ص334.
[348]- سالم: المرجع السابق، ص335.
[349]- ابن وردان: مرجع سابق، ص33.
[350]- ابن عذاري: مصدر سابق ص55.
[351]- البرغوثي: ص190.

القيروان وتونس وغيرها قد جمعت منهم من أيّدَ بن مجالد الذي سيطر على القيروان في حين اعتصم إبراهيم في حاضرته العباسية[352]،

وكان إبراهيم ينتظر معونة مالية تصله من الخلافة العباسية على أنها رواتبٌ أو مكافآتٍ للجند على الأغلب، فأشعر ابنه عبد الله بأن يحرص عليها كي لا تقع في أيدي المتمردين عليه، وحدث ذلك بالفعل حين لجأ عبد الله الى الحيلة حيث ذهب إلى القيروان بجنده وأذاع أسماء الموظفين المدونة أسمائهم في الدواوين ليأتوا ويأخذوا عطية أمير المؤمنين، وكان لهذه المكيدة أثرها في نفوس الجند الذين آثروا الانفضاض عن عمران وتسليمه لإبراهيم، لكنه استطاع الهرب متجهاً غرباً مع صحبه[353]، ودخل القيروان إبراهيم وأحكم قبضته عليها ، ثم عجّل في تخريب حصونها كي لا يفكر أحد في التمرد والمنعة فيها.

أما ثورات البربر وأهل الإباضية من زناتة وهوارة وجبل نفوسة، فقد حدثت قلاقلهم في فترة أبكر من تلك الأخيرة، وكانت في عام 189هـ.804م، ويذهب بعض المؤرخيين على أنها لم تكن إلا عواصف محلية تخرج في مطالب تغيير الولاة، وينتهي الأمر في أغلب الأحيان بترضيتهم، فكان إبراهيم يُحبذ أن يُبقي البربر وطرابلس ونواحيها في رضا عن حكمه، فكان يغير الوالي إذا لم يعجبهم[354]، أما ابن الأثير وابن خلدون، فقد ذكروا أن أهل طرابلس ثاروا على واليهم سفيان بن المضاء الذي عُين مراراً على الولاية، فهزموه وخلعوه، وعينوا عليهم غيره، ولكن ابن الأغلب بعث بجيشٍ هزمهم، ودخل طرابلس وقضى على الثورة[355]، ولعل الرأي السابق يوضح لنا أن ابن الأغلب لم يكن ليناً ليُعصر، ولم يكن صلباً ليُكسر، فاتخذ سياسةً لا يميل فيه لأحد، ولا يلين ولا يشتد على أحد، وعمل على الإرضاء قدر المستطاع، ولكنه لم يسمح بالتفريط بهيبة الإدارة التي هي من حقبة في تعيين من يراه صالحاً لقيادة الأمور وتسيير الشؤون.

وفي عام 196هـ.811م كان إبراهيم قد ولى ابنه عبد الله على طرابلس، فما وصلها حتى ثار عليه الجند وحاصروه، ثم أمنوه على الخروج، ولكنه استطاع أن يستقطب الكثير من البربر بإغرائهم بالأموال، فما خرج من نواحي طرابلس حتى جمع جنداً كافيين من البربر لدخول المدينة والتغلب على التمرد، لكن أباه عزله وأعاد سفيان بن المضاء عليها في سياسة

---

[352]- ابن عذاري: ص 55-56.
[353]- البرغوثي: ص191.
[354]- البرغوثي: ص190.
[355]- ابن الأثير: الكامل، ج5، 121/ ابن خلدون: العبر، ج4، ص425.

تأديبية لم تعجب بربر هوارة الذين ثاروا، حتى أن عسكر المدينة فروا منها يحتمون بالقيروان، فبعث إبراهيم بقوة كبيرة على رأسها ابنه عبد الله فهزم البربر وعمل على إعادة إعمار المدينة[356]، فحميت أنوف البربر الإباضية في الغرب، الذين استطاعوا تشكيل الدولة الرستمية في تاهرت ملتحمين مع الخوارج الصفرية، فعجل عبد الوهاب بن رستم بأن يبعث جيشاً كبيراً لنصرة البربر في الشرق، وظلوا يتحاربون حتى وفاة إبراهيم بن ألأغلب عام 196هـ.811م، وبلغ الخبر عبدالله ابن إبراهيم الذي ولي العهد بمساعي أخيه زيادة الله، فاضطر للصلح مع الرستميين في إتفاق على تحديد نفوذ كلٍ منهم في طرابلس[357]، وكان إبراهيم قد كون لأسرته وسلالته من بعده ملكاً ممهداً مستقلاً عن الخلافة باستثناء الروابط غير المباشرة، كالطاعة وبذل المال لبغداد سنويا.

واتسم عهد عبد الله بالخلو من الفتن والثورات، وأمنت البلاد واستقر حالها، على أن الرجل كان ظلوما للناس، جائراً عليهم، ولم يدم حكمه طويلاً إذ توفي سنة 201هـ.816م، وقيل عن وفاته أن دعا عليه ثلة من الصالحين كانوا قد قدموا عليه ينصحوه أن يراعي الله في الرعية فأستخف بهم، فدعوا عليه أن يكفِ الله المسلمين من ظلمه[358]، ولا ندري عن صحة هذه المعلومة إلا أنها ذُكرت من قِبل كل من ابن عذاري وابن الأثير وابن خلدون.

وعلى كل حال فإن الدولة الأغلبية استمرت لعقود، وتولى زيادة الله الأول بعد وفاة أخيه وكانت فترته حسنة مستقرة، وتعاقب بعده ثمانية من أمراء الأغالبة حتى ضعفت الدولة وهزلت في ظل حكم زيادة الله الثالث، وقضى عليها الفاطميون في ظل حملتهم للتوسع غربا، وكانت نهايتها عام 296هـ.908م[359].

واتسم حكم الأغالبة بأنه بداية لاعتراف العباسيين بفشلهم في السيطرة على الأوضاع وخاصة فيما يتعلق بالأمازيغ، ولكن الأمور هدأت بولاية الأغالبة، فكانوا في الواقع قد أحسنوا سياسية المراضاة والتقرب من الناس، وذكرنا عدة مواقف أنهم كانوا يستعملون المال كوسيلة للإغراء في مواجهة التمردات في عهد إبراهيم وابنه عبد الله، فكانت طريقة مجدية لإنقاض طموحات البعض في إشعال الأمور، ومع ذلك كانوا سادة للصراع العسكري إذا لزم الأمر، كما رأينا في ثورة طرابلس وهوارة، وذكر المؤرخون الأغالبة على أنهم كانوا من ناشري

---

[356]- ابن خلدون: ص430/ ابن وردان: سابق ذكره ص291.
[357]- ابن الأثير: مصدر سابق، 156.
[358]- ابن عذاري: ص57. / ابن الأثير: مصدر سابق ص184/ ابن خلدون مصدر سابق، ص422.
[359]- البرغوثي: ص192.

الأمن والرخاء في بلد كان ميالاً إلى الاضطراب دائماً، بالرغم من هذا كله لم يُذكر أن الأغالبة قد أشركوا البربر في الشؤون السياسية أو التعيينات الرفيعة في الدولة، فجاء ذكر البربر على أنهم مواد بشرية استُخدمت للحرب، وحفظ الأمن، وتقوية الجيش عندما جمع إبراهيم الكثير منهم مع الأفارقة ليُأسس بهم قوة عسكرية ، فلا يُستبعد أن البربر بقيوا في إطار قادة عسكريين غير بارزين ولم يصلوا الى مرحلة السياسيين في الدولة[360].

رابعاً: دولة الأدارسة (172-223هـ/788-835م)

كانت الدولة العباسية قد حاربت العلويين في منتصف القرن الهجري الثاني، ولقبوا بالعلويين نسبة الى سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ولا يقصد بهم الطائفة العلوية الحالية، وكان العلويون يطمحون في مشاركة أبناء عمومتهم العباسيين في الحكم، ولكن العباسيين قد اتهموهم بالزندقة[361] لخروجهم عليهم، وكان الخليفة الهادي قد حاربهم قرب مكة في موقعة يقال لها "فخ" سنة169هـ.785م، ويعتبرها مؤرخو الطائفتين الشيعية والعلوية مذبحة دبرها بنو العباس للخلاص من ذرية علي(كرم الله وجهه)، والله أعلم في ذلك، وأحداث سنة 169هـ.785م كانت تتعلق بثورة الحسين بن علي الفخي[362] التي انتهت بمقتله في مكة وملاحقة فلول العلويين لإبعادهم[363]، ويعتقد كثير من المؤرخين الذين اعتمدنا مصادرهم بأن موقعة فخ لم تكن معركة فحسب، بل مجزرة بحق العلويين الذين قتلوا قتلا تعسفيا فيها ، حتى أن جثثهم بقيت دون دفن لثلاثة أيام، لأن العباسيين لم يأذنوا بدفن أحد منهم[364] .

وقد نجا مؤسس الدولة الإدريسية وأخوه من هذه المذبحة، وهو إدريس بن عبد الله[365] وأخوه يحيى بن عبد الله الذي غدر به الرشيد بعد أن طمأنه بالأمان فسجنه حتى مات في سجنه[366]، وكان مع إدريس مولاً له يدعى راشد الأوروبي، وهو من قبيلة أوروبة البربرية، ولعل القداسة الدينية للإمام إدريس هي التي دفعت بالبربر إلى احتضانه كونه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أنه كان فقيهاً

---

[360]- غوردو، عبد العزيز: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط2، ن: دار ناشري. الكويت. 2011م، ص54-55.

[361]- الزندقة: في ذلك الوقت لا تعني الكفر، وانما هو لفظ سياسي يطبق على كل من هو معارض للدولة او لا ترغب الدولة بوجوده.

[362]- الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ض). خرج على العباسيين بمكة ايام الهادي بن المهدي بن ابي جعفر المنصور سنة 169هـ مع جماعة من آل البيت، فقُتل واحضروا رأسه للخليفة.

[363]- نصر الله، سعدون عباس: دولة الأدارسة في المغرب، ن: دار النهضة العربية. بيروت، ط1: 1408هـ/1987م، ص59.

[364]- ابن الأثير: الكامل ج 6، ص 92 / الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 8، ص 197 / السلاوي: الاستقصاء، ج 1، ص 151 ابن خلدون: العبر، ج6، ص 147.

[365]- إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من آل البيت هرب من المذبحة التي دبرها العباسيون لآل بيت علي بن أبي طالب وأنصارهم فتوجه إلى المغرب وهناك أقام دولته بمساعدة مولاه راشد والبربر في المغرب الأقصى.

[366]- السلاوي: الاستقصاء، ج 1، ص 152.

عليماً بأمور الدين التي لم يبخل في تعليمها للقبائل، فرأوا فيه تقياً من الصالحين يأتمنونه على أرواحهم وأولادهم.

وكان راشدٌ هذا رفيقاً لسيده أثناء هربه للمغرب فكان يحميه ويحرص أن لا يُكشف من قِبلِ العباسيين الذين بثوا العيون والحراس في النواحي وتَرصَدوا كل علوي، فكان إدريس متخفياً كغلام لراشد[367] و تنقلا حتى وصلا مصراً وغادرها بعد ذلك إلى القيروان، وكانت إفريقيا آنذاك في حكم يزيد بن حاتم المهلبي وفي طاعة العباسيين وولائهم، ورغم أنه بقي فيها مدة من الزمن إلا أنه ارتحل منها خوفاَ من أن يستدل على وجوده أحد، فتوجه إلى تلمسان ثم طنجة [368]، وأراد راشد أخذ سيده إلى منبته حيث يلقيان الدعم و التأييد هناك بين عشيرة راشد وأنصاره، فعدل عن البقاء في طنجة، لأنها أيضاَ مركز تجمع و قريبة من الأمويين[369]، ولا يخلو الأمر من تخطيط راشد لمكان وجهتهم الجديد، فإن راشدا من قبيلة أوروبة البربرية فأراد لسيده أن يحظى بالحزمة الشعبية التي قد تمكنه من نشر دعوته في موطن مناصر له، فاتجه به إلى منبته ومكان قبيلته وهي مدينة وليلي[370] ، وهي من المدن القديمة الأثرية في المغرب و تبعد عن ما يعرف اليوم مولاي إدريس " زرهون " ثلاث كيلومترات، وسميت هذه على اسم الإمام إدريس مؤسس دولة الأدارسة، مدينة وليلي كانت أحد عواصم الملوك البرابرة و يدعى جوبا (25 ق.م – 24 ب.م) و تعاقب عليها الروم و لكن ظل سكانها من البربر حتى نهاية القرن الثامن الميلادي وعُرفت باسمها الحالي، و لقد عاشت أزهى عصورها عندما دخلها الإمام إدريس الأول، واتخذها قاعدة له، ولكن وبعد تأسيس مدينة فاس في سنة (172 هـ / 788 م)[371]انصرفت الأنظار عنها وفقدت أهميتها[372].

وكان لنسيب راشد إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي دور في احتضان إدريس، وكان كريماً مضيافاً، وكان إدريس أيضاً فقيهاً عالماً في الإسلام ومتواضعاً للغير، وصفاته الحميدة قد أشعرت الناس بأنه من سلالة حميدة الشمائل، ورأى إسحاق فيه هذا عندما انكب إدريس على تعليمه وتفقيهه في أصول الإسلام.

---

[367]- البرغوثي: ص 178.
[368]- السلاوي: الاستقصاء ج1، ص 154.
[369]- المرجع السابق ص 154/ المكناسي، احمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام، ن: دار المنصور. الرباط. المغرب، 1973، ج1، ص19.
[370]- السلاوي: ص 154 / المكناسي: المرجع السابق، ص 19 / ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 93 / الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 198.
[371]- السلاوي: ص 154، المكناسي: ص 19.
[372]- نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، ص 67، هامش رقم 2.

لقد كان إسحاق ذو طاعة للعباسيين لكنها كانت طاعة إسمية فقط، فلم يكن هناك ولاية فعلية للعباسيين في أنحاء المغرب الأقصى، فلما رأى ما رأى من الخصال الحميدة لدى إدريس واستشعر بأنه إمامٌ يستعاض به عن العباسيين وطاعتهم، خلع طاعتهم و بايع إدريساً بالإمامة[373]، و لربما رأى إسحاق أيضاً في نزول إدريس عنده شيء من البركة كونه سليل رسول الله (ص) فأحس بذلك بالتفوق على باقي القبائل البربرية، وتمت المبايعة له في رمضان سنة 172 هـ.788م، و بُويع أيضاً من قبل زعماء أوروبة في ذلك الوقت، ولحق ذلك دخول عدة قبائل بربرية كزناتة وزواغة و لماية وسدراتة ومسراتة وغياثة و نفزة ومكناسة وغمارة، ويعتبر هذا تاريخاً لبداية أول دولة عربية علوية تأسست بجهود أمازيغية ممثلة بالدولة الإدريسية[374].

وكان نشر الإسلام ومبادئه بين القبائل البربرية من أهم أهداف إدريس الأولى، ولا نقصد بذلك أن البربر في تلك النواحي كانوا مشركين، ولكن إهمال الخلفاء والولاة لنشر الإسلام بين القبائل البربرية قد لمسه إدريس خلال وجوده في وليلي، فعمل على إرساء قواعد الإسلام ومنها الجهاد في سبيل الله، فكان يحض عليه في الأقاليم التي انتشرت فيها الزندقة كتامسنا التي تأثرت بمذاهب الخوارج وبالغت فيها كعقيدة الإمام المهدي المنتظر، فضلاً عن بعض النواحي التي يقطنها النصارى واليهود[375].

كانت سياسته تعتمد على التوسع ونشر الإسلام في المناطق المسيطر عليها كما أسلفنا، ابتداء من تامسنا، وقد كان جل الجيش من بربر زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة[376]، ففتح معاقلها وحصونها ابتداءَ من مدينة شالة[377]، و أما الأقاليم التي لم يدخل أهلها في الإسلام كإقليم تادلة و جُل بربره يهوداً أو نصارى - و كأن الإسلام لم يطلها من قبل[378] - ففتح تلك النواحي من البلاد وأرسى الإسلام في ربوعها طوعاً أو كرهاً ، و كان دخول قبائل البربر في معظم الأحيان طوعاً، و لربما ذلك يعود إلى سمعة الإمام إدريس الحسنة من تواضعه و علمه و صلاحه، ثم عاد إدريس إلى وليلي فترة قصيرة ثم بعدها استأنف الغزو باتجاه تلمسان في المغرب الأوسط فأخضع قبائل تتبع لزناتة وتوسع في المغرب الأقصى فأخضع أيضاً قبائل لا

---

[373]- نصر الله: المرجع السابق، ص 7.
[374]- البرغوثي: ص 178.
[375]- البرغوثي: ص 178 / الاستقصاء: ج 1، ص 156 / جذوة الاقتباس: ج1، ص 20 / نصر الله: دولة الادارسة: ص 74.
[376]- نصر الله: دولة الأدارسة، ص 72، هامش رقم 1
[377]- جذوة لاقتباس: ج1، ص 20.
[378]- الاستقصا: ج1، ص 156.

تدين بالإسلام[379]، ولقد تم الأمر في تلمسان صلحاً حيث بايع الناس الإمام مرحبين به، وأمر بتشييد مسجد فيها وبتعليم القرآن بين الناس، ولم يعد إلى حاضرته حتى اطمئن على أوضاع الناس فيها وأحوال رعيتها وحسن معاملة أميرها للناس[380].

وإن دل ذلك على شيء فانه يدل على أن الفتح الإسلامي قد أهمل بعض الشيء نواحياً كانت مهمة لترسيخ الإسلام، وهي العمل على نشره وليس فقط توسيع رقعة الدولة، وقد يعود هذا الأمر الى الأصقاع النائية التي كانت تضمها إفريقية، ولم يبلغها الفتح الإسلامي.

ولقد استطاع إدريس في سنتين أن يسيطر على المغرب الأقصى وتلمسان ويأمَ بالناس في الاسلام، وأعاد رونقه لما رأوا فيه من عدالة ومساواة وحِلمٍ قد أغناهم عن بطش الولاة وتجاهل الخلفاء من قبل، وأعاد التعامل بالشريعة الإسلامية في عهده، فألغى الضرائب والمصادرات التي كانت تؤخذ من الناس، فأمن الناس في عهده على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم وشعر سكان المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي إن صوتهم بات مسموعا الى الراعي ، وأن انسانيتهم وكرامتهم كانت مهملة من قبل، فالتفوا حوله واستطاع هو تأسيس دولة بهم ترهبها حتى الدولة العباسية.

وهذا ما أشعر الخلافة بالانزعاج عندما تناهت إلى مسامع هارون الرشيد ما حل بتلمسان وأن الطالبين الذين سعى العباسيون إلى إنهائهم، قد أقاموا من جديد في أطراف أفريقيا وأصبحوا على أعتاب الدولة العباسية، كما أن محبة الناس لإدريس ودعاءهم لآل البيت في مسجد تلمسان قد أصبحت تنذر بوجود كيان مواز للخلافة في المغرب الأقصى، وأثرها ذو وقع

[379]- السلاوي: ج 1، ص 157 / المكناسي: جذوة الاقتباس، ج1، ص 21.
[380]- الاستقصا: ج1، ص 157 / نر الله: الدولة الادريسية، ص 78.

كبير عند المسلمين، فإدريس من آل البيت، وقد يُعجل هذا بانضمام البربر والعرب المسلمين إليه من باقي بقاع المغرب[381].

فأشار على الرشيد وزيره يحيى بن خالد البرمكي أن يبعث بأحد الرجال ذو الأهمية فيحتال بالوصول إليه فيغتاله[382]، وقد طبقت هذه الخطة فتوفي إدريس مسموماً عام 175هـ.791م[383]، والسنة التي توفي فيها مختلف عليها حسب بعض الروايات في سنة 177هـ.793م[384]، وإن كانت الحيلة قد أنقذت بني العباس من خطر إدريس، فإن أتباعه من البربر ومولاه راشداً كانوا من المخلصين، حيث أن جمعهم لم يتفرق وعاداتهم بالحفاظ على جذوة الإسلام ما تغيرت، وظلوا على الطاعة حتى بعد وفاته، أما بالنسبة لخلفه فكانت له جارية بربرية حامل من إدريس، فرأوا أن ينتظروا حتى تلد ويكبر ولدها فيولى عليهم – إذا كان ذكراً – وفي هذه الأثناء تولى راشدٌ الإمامة كوصيٍ ويولى إدريساً الثاني الذي سمي تيمناً بوالده[385] حين يبلغ سن الرشد، وكان راشداً يُعد أول بربري قد قام بأمر دولة برمتها منذ الفتح في المغرب الأقصى، وكان أميناً حريصاً على عدم تفرقة الجمع، وما مكث حتى جمع قادة القبائل ورؤسائهم حتى يستشيرهم في أمر من يخلف إدريساً في الإمامة، و ترك لهم الأمر بعد أن أعلمهم أن جارية إدريس حاملاً منه، فاستشارهم في أن يظلوا على العهد لآل البيت، فإن كان الحمل ذكراً تمسكوا به وأحسنوا تربيته وبايعوه وعندما يبلغ أشده فيكون لهم إماماً ويظلوا على عهده[386]، فرأى شيوخ البربر أن يقوم راشد بمهام الإمامة والقضاء بين الناس وأمور الدولة الأخرى حتى يحين تولية إدريس الثاني، فتم الأمر على ذلك و ظل راشد يتولى أمور الإمارة والإمامة و الفصل بين الناس بالحق، وهو يُعتبر بعد إدريس من المحظيين بعلمه وأثره وفهمه للدين .

وفي عام 188هـ.803م بلغ إدريس الثاني الثالثة عشر من عمره وكان وقت توليته عصيب على البربر، فلقد كانوا بأشد الحاجة لتوليته، كون راشد قد قُتل على يد عملاء إبراهيم بن الأغلب، الذي أوعز إليه الرشيد في التخلص منه في ظل أن الوريث الجديد في مرحلة النشأة، فإن تخلَّص من راشد سوف تسقط بذلك دولة العلويين الأدارسة[387]، لكن البربر عملوا

---

[381]- البكري: المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص119 / الاستقصا: ج1، ص 157.
[382]- الاستقصا: ج 1، ص 158 / نصر الله: دولة الأغالبة، ص 80.
[383]- البرغوثي: ص 179 / نصر الله: دولة الأغالبة، ص 83، 84 / الاستقصا: ج1، ص 159 / المكناسي: جذوة الاقتباس، ج1، ص 22.
[384]- نصر الله: دولة الأغالبة، ص 85.
[385]- البرغوثي: ص 179 / نصر الله: دولة الأغالبة، ص 93.
[386]- المرجع السابق / نصر الله: ص 92 / الاستوصا: ج1، ص 160 / جذوة الاقتباس: ج1، ص 24.
[387]- البرغوثي: ص 179 / نصر الله: دولة الأغالبة، ص 96.

بالوصية والمهمة الملقاة على عاتقهم والتي أُئتمنوا عليها، فدعوا إلى مبايعة الإمام الإدريس الثاني فأوفوا بعهدهم في جامع وليلي، ولبَت القبائل البربرية في المغرب كلها الدعوة إلى المبايعة في سنة 188هـ / 804 م، وخطب فيهم خطيبهم يعظهم ويعدهم بالبقاء على إقامة الحق والوفاء بأعباء الإمارة اتجاههم[388].

وحرص إدريس الثاني بالرغم من صغر سنه على أن تبقى تعاليم الإسلام متجددة بين الناس وشريعة الإسلام هي الحكم الفاصل بينهم، فاستقام حكمه وعز سلطنه وجدد بناء الجيش لمتابعة مسيرة الفتح ولمقارعةَ خطر العباسيين. فلما تناهت إلى أسماع العرب المسلمين من أنحاء المغرب وأيضاً الأندلس أن ملك الأدارسة أصبح قويا، وأنهم باتوا يهددون أي محاولة للعباسيين في الاقتراب من حدودهم، وفدت وفود منهم على ادريس الثاني سنة 189هـ / 804 م[389] وكانوا في جملة خمسمائة فارس[390] حيث ينتمون إلى قبائل عربية كالقيسية والأزد ومدلج وبني يحصب[391]، ويعتبر هذا التجمع للعرب فريداً من نوعه، اذ أن البربر كانوا هم حظوة الدولة وإمامها وهم من ساعد الإمام في إقامة الجيش وإرساء أركان الإمارة، فقد رحب بهم ادريس الثاني وجعل له بطانة منهم وحدث الدولة ادارياً بوجودهم وعمل على تعريبها واتخذ منهم قاضياً وكاتباً ووزيراً، وهذه المناصب كانت حديثة على الدولة، وكان ذلك أيضاً بالتوازي مع تعيين وزير بربري، لأن عامة رجال الدولة جلهم من البربر، فحدث نوع من التشارك ما بين العرب المسلمين والبربر في إدارة الدولة.

وكان هذا الوزير الأمازيغي هو بهلول بن عبد الله بن عبد الواحد المطغري، ولم يكن مخلصاً إذ أغراه ابن الأغلب بالمال فخرج مع قومه عن طاعة الإمام إدريس، فعلم إدريس بمكر ابن الأغلب فبعث إليه رسالة ينهاه عن شؤون إمارته، فقبل ذلك على الصلح، بنى إدريس الثاني مدينة فاس لتكون له حاضرة وعاصمة بدلاً من وليلي، وأعانه على ذلك وزيره العربي عمير بن مصعب الأزدي[392]، ولربما كان في إحداثه للعرب مناصباً في الدولة ليستعين بهم في تأسيسها كان له علاقة بأن العرب المسلمين يتفوقون بهذه النواحي على البربر لأن البربر شعوب قبلية في هذه الجوانب[393]، وكان إخلاص العرب المسلمين كهذا الوزير أعظم من إخلاص وزيره البربري بهلول، وهي قاعدة لا تعمم إذ أن الرعية من البربر ومن أسس بذور

---

[388]- نصر الله: دولة الأدارسة، ص 98.
[389]- البرغوثي: ص 179 / نصر الله: ص 99.
[390]- جذوة الاقتباس: ج 1، ص27 / الاستقصا: ج1، ص 162.
[391]- البرغوثي: ص 179 / نصر الله: ص 99 / جذوة الاقتباس: ج1، ص 27 / الاستقصاء: ج1، ص 163.
[392]- الاستقصاء: ج1، ص 27، ج1، ص 163 / نصر الله: دولة الأغالبة، ص 100
[393]- نصر الله: المرجع السابق

الدولة كانوا من البربر، ولم يستغني عنهم إدريس الثاني ولكنه عمل في اتجاه يراه مماشياً لمصلحتهم، فالتعريب في إمارته إنما أُريد له أن يُحسن قواعد الإمارة في الأمور المعقدة وليس إقصاء البربر أو تهميشهم.

أما بالنسبة لنشاطه العسكري، لم يعمل إدريس على قواعد التوسع وإنما على نشر الدين، فكانت عيونه تتجه نحو المناطق النائية من المغرب التي لم يصلها الإسلام كبلاد المصامدة في السوس الأقصى التي استولى فيها على مدينتي نفيس وأغات[394] وكان ذلك في عام 197هـ.812م[395].

أما نصيب الخوارج في القتال فكان في عام 199هـ.814م بعد أن خرج الإمام من فاس قاصداً الخوارج الصفرية، وكانت الصفرية جلها في المغرب الأوسط، ولكنها دخلت المغرب لدى دخول قبائل بربرية "كنفرة "، وهي تجمع من القبائل البربرية تحت اسم قبائل نفرة[396]، وكانوا مختلفين في عقيدتهم عن باقي الخوارج في إفريقية، واختلافهم هذا يُنظر إليه كفسادٍ، فقاتلهم إدريس الثاني وهزمهم ومدَّ دولته حتى وصلت وادي الشلف في المغرب الأوسط [397]، وعمل على تقليل سطوة الخوارج الإباضية في دولتهم الرستمية في تاهرت وأمن حدوده، ومن ثم توجه بعد ذلك إلى تلمسان لإقامة أمورها، وبُويع من محمد بن خزر الزناتي هناك[398]، وظل حكمه هادئاً، وكان البربر يعظمونه ويعظمون شأن آل البيت، ولا ثورات تذكر لهم، إذ كما قيل عنه وعن نسبه أجلُ ما يكون من الصالحين والدعاة الى الحق والعمل بالكتاب وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإعلاء كلمة الحق ونشرها بين الناس.

وفي سنة 213هـ.828م توفي إدريس الثاني، يقال في سن الثامنة والثلاثين[399] والبعض يرجح في سن السادسة والثلاثين[400]، ويُعتبر عهد أبيه هو عهد التأسيس للدولة والتمهيد الديني والاجتماعي بين عامة البربر، أما عهد ولده إدريسٌ الثاني فهو عهد الدولة الذهبي، كان لإدريس الثاني اثنا عشر ولداً عين أكبرهم على الإمامة وهو محمد، وجَعلَ ذاك يقسم إدارياً في الدولة لتعيين إخوته الراشدين على ولاياتها فيعينونه، فكان ذلك سبباً عظيما في إضعاف

394- البيان المغرب: ج1، ص211 / الاستقصا: ج1، ص39.
395- جذوة الاقتباس: ج1، ص29 / البيان المغرب: ج 1، ص211 / العبر: ج4، ص 13.
396- نصر الله: دولة الأدارسة، ص 104 / جذوة الاقتباس: ج 1، ص 40.
397- العبر: ج4، ص14 / الاستقصا: ج1، ص171.
398- سعد زغلول: مرجع سابق ص442/ البرغوثي: ص180.
399- البرغوثي: ص180.
400- نصر الله: سابق ذكره ص106.

الدولة، إذ انقلبت الأمور من تقسيم إداري إلى فوضى واضطراب وتنازع الإخوة فيما بينهم، وظل الحال هكذا حتى قضت الدولة الفاطمية على دولتهم في القرن الهجري الرابع.[401]

خامسا: الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (160 -296هـ/776 -909م)

المغرب الأوسط هو الجزء الأعظم من الجزائر الحالية، ويمتد بين عنابة شرقاً إلى وهران غرباً متوازياً مع الساحل الجزائري، ويقع في المنتصف ما بين ولاية إفريقية التي تضم برقة وطرابلس والقيروان وتونس، والمغرب الأقصى الذي يضم المغرب الحالي وأجزاء من موريتانيا، والدولة الرستمية تُعتبر خلاصة ونتيجة التحركات الثورية السابقة للخوارج والبربر، وأول دولة إباضية، على أن مؤسسها ليس بربرياً ولا عربياً وإنما فارسي وهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي[402].

انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد تلامذة ودعاة وجدوا من البربر آذانا صاغيةً، فاستغلوا ذلك لنشر مذهبهم وخاصة في الأوقات العصبية ما بين الولاة والبربر، وقد كان مذهب الإباضية مطارداً في المشرق القريب من مركز الخلافة العباسية، فكان المغرب بقبائله البربرية هو البيئة الأنسب لنشر الدعوة، إذ انبثق مذهبان وهما الإباضية والصفرية، وكانت تعملان بادئ الأمر على التعاليم الأساسية للدين دون الخوض في السياسة العامة للعباسيين، خوفا على المذهب الذي لا يزال غضاً، وإلى أن يكتسب الحاضنة الشعبية القوية التي تمنع عنه فتك العباسيين به، إذا ما رأوا فيه تهديداً واضطراباً يشكل خطراً على استمرارية الولاية.

أما عن كيفية وصول عبد الرحمن بن رستم إفريقية، كان عبد الرحمن بن رستم مرتحلاً مع أبيه وأمه في موسم الحج عندما كان صغيراً، إلا أن أباه قد توفي، فما لبثت أمه أن تزوجت رجلاً من القيروان جلبها وابنها إلى المدينة[403]، وشَبَ وهو يتفقه ويحضر جلسات العلم في المسجد الجامع، حتى أراد أن يُكمِلَ علمه في المشرق، فلحق بأربعة من التلامذة الذين ذكرناهم سابقا ليتعلموا في المشرق حيث البصرة حاضرة المذهب الإباضي آنذاك، وتتلمذوا على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، ونذكر أنه عندما ظهر ميسرة المطغري ودعوته، خلفه بعده (بعد تعاقب عدد من الخلفاء) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، الذي

401- البرغوثي: ص180.

402- عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى من الفرس، وأحد تلامذة شيخ الإباضية في العراق أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة واليه تنسب الدولة الرستمية. بُويع عبد الرحمن بالإمامة عام 160هـ، وحاول كسب الخوارج الصفرية ليأمن جانبهم وليقوي دولته في حال الصراع مع العباسيين والأغالبة، ت سنة 171هـ (ابن الصغير: اخبار الأئمة الرستميين، ت: محمد ناصر/ ابراهيم بخاز، ن: دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1985، ص28-29.)

403- البرغوثي: ص181.

استولى على طرابلس ثم عين زميله القديم[404] عبد الرحمن قاضيا على طرابلس، وكان عبد الرحمن لا يدخر جهده في محاربة التعصب القبلي وإحلال التعصب الإباضي عوضاً عنه.[405]

وكان أول ظهور لعبد الرحمن كمؤسس للدولة عقب فراره من محمد ابن الأشعث الذي هزم الإباضية[406]، حيث اجتمعت عليه كلمة الإباضية ليكون خلفاً لأبي الخطاب سنة 160هـ.776م، وكان أغلب الأتباع من البربر الشرقيين كلواته ورجالة ونفزاوة ولماية ونفوسة، وأصبحت تاهرت في الجزائر هي عاصمة الخوارج الإباضية ومن حولهم من الأمازيغ يتبعون المذهب، كما عمل هو وأصحابه إلى الدعوة للإباضية في المغرب الأوسط، فانضمت اليهم واستجابت لدعوتهم قبائله، حتى إباضية طرابلس وقائدهم أبو حاتم بايعوه على الإمامة[407]، وقد عمل عبد الرحمن بن رستم على كسب الخوارج الصفرية الذين تمكنوا من إقامة حكم لهم في مدينة سلجماسة، وهي متاخمة للإباضيين، وكانت قصة التحالف مع الأمازيغ الصفرية تعود الى المصاهرة بين عبد الرحمن وبين مدرار زعيم البربر الصفرية، حين زوج عبد الرحمن ابنته أروى[408] من زعيمهم مدرار، فأبعد بذلك عبد الرحمن شبح الحروب بين المذهبين وأتباعهما.

وأصبحت الدولة تُعرف تاريخيا باسم الدولة الرستمية نسبة كما ذكرنا سابقا لعبد الرحمن ابن رستم، ومقرها تاهرت، ظلت الأمور في استقرار في عهد عبد الرحمن إلى أن جاء أجله سنة 168هـ784م، حيث عهد قبل موته لمجلس للشورى من سبعة من كبار أصحابه[409] ومنهم ابنه عبد الوهاب الذي رجح مجلس الشورى مبايعته خلفا لأبيه[410]، فاجتمعت عليه كلمة الإباضية إماماً لدولتهم، لما عُرف عنه من الصلاح والحزم في الأمور، غير أن الأمر لم يخل من معارضة أحد أولئك السبعة من مجلس الشورى هذا، وهو يزيد بن فندين، الذي جمع من كان من حوله من المعارضين لإمامة عبد الوهاب وخرجوا من تاهرت الى الجبال المجاورة متحصنين فيها، وسميت معارضتهم "بالإنكار"، أي إنكار إمامة عبد الوهاب أو النكارية[411]، وكان من المعارضين رجل إباضي آخر ويدعى شعيب المصري، ولم يكن معارضاً له في البداية إذ دعا عبد الرحمن الى إنهاء الخلاف مع ابن فندين لكنه أبى، فانضم ذاك إلى ابن

404- ابو الخطاب كان ايضا أحد التلامذة الخمسة من المغرب.
405- عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص108.
406- ابن الأثير: الكامل ج6/ ص317.
407- البرغوثي: ص182.
408- عبد الرزاق: مرجع سابق ص114.
409- البرغوثي: ص182.
410- الشماخي: السير، ص145.
411- البرغوثي ص182/ سعد زغلول: مرجع سابق ص389.

فندين[412]، واجتمع الرجلان على معركة نزع الحكم من عبد الوهاب في تاهرت، ولكنهما فشلا إذ منيا بالهزيمة على أبوابها، وهرب شعيب بمن معه بعد مقتل ابن فندين ونزلوا في منطقة قريبة من جبل نفوسة[413]، على أن الأمور هدأت نسبيا بعد موت ابن فندين لفترة، ثم تكدر الهدوء السائد بالثورة النكارية من جديد، وكان أكثرهم هذه المرة من قبيلة زناتة الذين دانوا بالاعتزال، وأراد الإمام عبد الوهاب أن يكسب الوقت ليطلب المدد من حلفائه، فطلب هدنة من المهاجمين[414] تمكن من خلالها أن يطلب المدد من أهالي جبل نفوسة[415] وخرج بهم بنفسه والتحم مع الطرف الآخر حتى انتصر وأذعن المعتزلة له بالطاعة.

على أنه بقي في جبل نفوسة مدة سبع سنين[416] أخذ يجتذب فيها أهل الجبل ويحاول استمالتهم ليعترفوا بإمامته عليهم، ونجح بالفعل في ذلك إذ انضموا إليه في حرب عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، وكذلك انضمام والي طرابلس الذي تربطه بجبل نفوسة علاقة وثيقة، هذا الصراع الذي أداره الإمام عبد الوهاب كَسبَ له اعتراف بني الأغلب على سلطته في طرابلس باستثناء الساحل (أي ماعدا خارج أسوار المدينة)[417]، كما أن أهل جبل نفوسة طلبوا منه تعيين والٍ عليهم، فخيرهم فاختاروا عبد الأعلى السمح ابن أبي الخطاب.

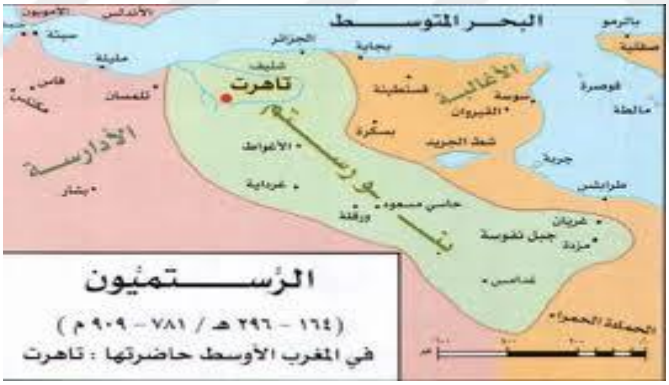

وظل الإمام يحكم الإباضية في تاهرت مدة تسعة عشر عاماً، وعند وفاته سنة 190هـ.805م اتفقت الجماعة على ابنه أفلح خلفاً له وكانت ثورة لخلف بن السمح في اشتعال، وكان يهاجم هذا جبل نفوسة وكل موالٍ لأفلح، على أن أفلح بن عبد الوهاب طلب من والي طرابلس أبي عبيدة بعد عدة مراسلات أن يقاتل خلفا، فانتصر عليه أبو عبيدة في شهر رجب

412- عبد الرزاق: ص117.
413- البرغوثي: ص183.
414- الباروني، سليمان بن عبد الله: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط1، ت: محمد علي الصليبي، ن: دار الحكمة. لندن، ت.ن: 2005م، ص163.
415- البرغوثي: ص183، وايضا انظر المرجع السابق للباروني ص163.
416- البرغوثي: ص183.
417- المرجع السابق ص183.

سنة 221هـ.825م، لكن خلفا ثار مرة أخرى بعد وفاة أبي عبيدة، وتولي العباس بن أيوب على طرابلس، وحاول الوالي الجديد استمالته للرجوع في طاعة أفلح، لكن ذلك لم يجدي فهزمه في معركة أخرى مات بعدها خلف.[418]

غير أن سلسلة الانتفاضات الأمازيغية على إمامة الرستمية لم تنته، إذ ثارت نفوسة بزعيم لها يدعى فرج بن نصر النفوسي، الذي حسب ما تؤكده المصادر كان محباً للعلم ولكنه خرج على أفلح لعدم توليته أية ولاية في عهده، فكانت ثورته بمثابة انتقام، غير أنها لم تشهد أي وقعة عسكرية أو معركة مع أفلح وأنصاره، بل كانت فقط خروجاً عن الطاعة.

وعند وفاة أفلح كان المرشح لخلافته ابنه ابن يقظان محمد بن أفلح ولكنه قد خُطف أثناء حَجه وأُرسل ليسجن في بغداد، فبايع الناس ابن أفلح أبا بكر ولم تكن سيرته محمودة بالقدر الذي يُعجبُ الناس، فوقعت خلافات أهلية، وحتى الحروب والفتن في عهده طغت على المشهد برمته، وتوفي سنة 241هـ.855م.

وبعد إطلاق ابن اليقظان من بغداد تولى الإمامة وعُرف بأنه سَمحٌ فأحبه الناس وكان عهده آمنا هادئاً حتى وفاته سنة 281هـ.894م، وكانت الفترة التي عقبت وفاة محمد فترة مشوبة بالفتن بين الإمام الجديد ابنه أبي حاتم يوسف وبين عمه يعقوب بن أفلح الذي مال عن مبايعته، إلى أن تطور الخلاف فأصبح الحسم العسكري هو الحل، لكن الحرب طالت رحاها فأخذت بعد ذلك منحا تفاوضياً أعقبة هدنة على أيدي بعض العلماء وأهل الصلاح.

استطاع أبو حاتم أن يجتذب الناس في تاهرت المحاصرة بعمه وأتباعه فهرب هذا الى طرابلس، وأما الإمام أبو حاتم فقد كان عهده بداية نهاية الدولة الرستمية، إذ قُتل على أيدي أبناء أخيه[419] سنة 294ه.906مـ، ولم تكن الظروف السياسية وقتها في صالح أية دولة من دويلات شمال إفريقية، إذ كان الفاطميون على أهبة الاستعداد للانقضاض على دولة الأدارسة، فاستطاعوا أن يسقطوا الرستمية ويدخلوا تاهرت سنة 296هـ.908م.[420]

---

[418]- عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى القرن الرابع الهجري مرجع سابق، ص123.
[419]- البرغوثي: ص184/ العواجي، غالب: (رسالة) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، جامعة الملك عبد العزيز 1398هـ/1399هـ، ص177.
[420]- البرغوثي: ص184.

سادسا: نتائج مستخلصة

1-اتساع رقعة الدولة في العصر العباسي أَقل من التزامها اتجاه القسم الإفريقي من الدولة، فكان نتيجة لذلك اتاحت الفرصة للولاة والخوارج من البربر في أن يصوغوا السياسة الجديدة في أنحاء إفريقية الشمالية، ورغم ذلك فإن العهد الأولي للخلفاء العباسيين اتسم بالحزم تجاه القلاقل التي كانت تنشب من الخوارج والبربر في إفريقية، إلى أن انتقضت القوة الفعلية للاهتمام من قبل بغداد وأصبحت الأمور للأكفاء من الولاة في مواجهة مشاكل إفريقية وانتفاضات سكانها.

2-كما ذكرنا أن الأعباء تجاه إفريقية أصبحت محدودة، مما جعل بعض الولاة يرغبون في الانفصال أو الحكم الذاتي في ولاياتهم، كما حدث في حالتي عبد الرحمن ابن حبيب وإبراهيم ابن الأغلب.

3-أصبح الاندماج ما بين الأمازيغ والخوارج وثيقاً، فأينما يكون الصراع مع الخوارج فهو صراع مع الأمازيغ، أما الطرف الأخر فقد ضم من البربر ما يسمى "البربر المستعربة"، وهم الذين لم يدخلوا في صراع لا مع الخلافة ولا مع الولاة، بل كانوا أداة مستمرة في مواجهة الخوارج وأبناء جلدتهم من البربر.

4-تكريس وجود الطريقة الإباضية بعد قيام الدولة الرستمية التي كان مذهبها إباضياً، إذ تمكن عبد الرحمن بن رستم بدعم بربري من تشكيل دولة للخوارج، والمذهب الإباضي يوجد حتى يومنا هذا في إجزاء من طرابلس وجبل نفوسة إلى جانب المذهب المالكي، وأيضا بعض مناطق تونس والجزائر.

5-استمرار استخدام الخوارج للأمازيغ لتنفيذ مخططاتهم كدروع بشرية تدافع عن الأفكار المذهبية وتشكيل هيكلية لدويلة مستقلة (الدولة الرستمية).

6-كانت سياسة التوريث لآل بيت واحد في حكم ولاية إفريقية – والتي رضي عنها العباسيون – ناجحة نسبيا في العلاقة مع الأمازيغ في ليبيا وتونس، ولم يكن الجو مثاليا بمعنى القول بين حكام الولاية العرب المسلمين والأمازيغ، ولكن كان الانسجام والتناغم يحتفظ بدرجاته القليلة عما سبق من عهود.

7-اعتماد الخلافة العباسية على العنصر غير العربي – وبالذات الخرسانيين – أضعف من وجود العرب المسلمين في إفريقية، حتى أن علاقة هؤلاء مع الأمازيغ تطورت بمرور الوقت إلى اختلاط اجتماعي ومصاهرات بينهم.

8-أسس البربر أول دولة لهم منذ بداية الفتح وهي في منطقة سلجماسة سنة 140هـ/757م، وهم من البربر قيادةً وشعباً، ومع ذلك يُعتبر النجاح السياسي الأبرز للخوارج والأمازيغ هو في نشأة الدولة الرستمية، حتى ولو كان مؤسسها فارسي، فلولا اعتناق البربر لمذهب الإباضية ودعمهم لابن رستم لما استطاعت هذه الدولة أن تقوم.

9-ظلت معاملة العرب المسلمين للبربر في إطارها المحدود في دولة الأغالبة مقتصرة على الاستعانة بالطاقة البشرية لهؤلاء فيما يخدم مصالح الدولة، ولو أن الاختلاف يظهر في الرضى عن قيادة الأمراء الأغالبة وتعاملهم الحميد مع الرعية مما قلل من حدوث الشقاقات.

10-لم تخلوا العلاقة فيما بين العرب المسلمين والبربر من التوتر والتصعيد كما حدث في ولاية إفريقية التي حكمها الأغالبة، وأيضاً كانت العلاقة مع الخوارج ليست بأحسن حال داخل الدولة الرستمية التي ظهر انقلاب القبائل البربرية على أئمتها في عدة مواقف كما ذكرنا سابقاً.

11-الاستعراب والتعريب للأمازيغ كان في مراحل متطورة، وبحكم أن الدين الإسلامي هو دين البربر، فإن الاستعراب يبقى امراً طبيعيا، أما التعريب فقد لاحظناه عندما استعرضنا

الدولة الأغلبية، كيف أنها شكلت قوة عسكرية من البربر، وكيف عملت هذه القوة على تعريبها، وكيف أَن الدولة الإدريسية عملت على استقطاب العرب المسلمين إلى دولتها لتعريب الحكم بعد إذ كانت أدواته تعتمد على الأمازيغ.

الفصل الخامس

علاقة البربر (الأمازيغ) بالعرب المسلمين في ليبيا في فترة ما بعد الاستقلال

" مقارنة مع العلاقة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ".

أولاً: أوضاع ليبيا وأقطار المغرب العربي في مطلع الخمسينات

شهد المغرب العربي تحولاً سياسياً طرأ على الوطن العربي برمته وطال القسم الإفريقي نصيباً منه، إذ تقسمت أقطار المغرب العربي إلى مناطق انتداب تقسمها الدول الجديدة الصاعدة في العالم التي كانت قد أنهت فترات ثوراتها الصناعية والاجتماعية، لتتجه أنظارها إلى الخطوات الخارجية في سد حاجة عمالقة الصناعة في أوطانها، وكان الانتداب الفرنسي قد أطبق على الساحة في المغرب العربي، فكان لفرنسا نصيب الأسد من المستعمرات كالجزائر و تونس و المغرب (بمحاصصة دولية على طنجة)، وهوى البربر والعرب المسلمين إلى منزلة المغلوب والدرجة المتساوية في المكانة السياسية التي لاحول لها ولا قوة تحت حكم الانتداب، والمنزلة الاجتماعية التي جعلت الجميع سواسية في اشتراك الأوطان المغلوبة .

ويتميز القرن العشرين بالنسبة للعرب و البربر أن القرون التي خلت وتعاقبت أحداث عقودها بالضجيج التاريخي كل فترة على حده أدت إلى فتور الإحساس بالتميز بين الأمتين، فكان الاندماج الديني والثقافي والاجتماعي بين الأمتين من الوطأة - بشكل كبير – بالإحساس بالخصومة التي ربما شابت القرون التي جاءت بعد الفتح الإسلامي، و حل محل ذلك في كثير من الأحيان الحس الوطني الذي يجمع هذين المكونين وغيرهما من المكونات الاجتماعية، ولربما الحداثة والتطور الفكري والعلمي التي اتسمت بها بداية القرن العشرين، بالإضافة إلى ظهور حركات التحرر في العالم و خاصة في الوطن العربي قد أثرت إيجاباً في هذه المنطقة من عمر هذا الجيل من الشعبين، عدا على ذلك، فإن العالم قد خرج جديداً من حرب عالمية ثانية كانت ليبيا و إفريقيا الشمالية واحدة من أهم ساحاتها والتصارع على النفوذ فيها أدى إلى التفاف الشعوب بكل مكوناته نحو الخلاص من القوى المتصارعة على أراضيها .

على أن خمسينيات القرن المنصرم كانت بداية النهاية لوجود هؤلاء وخاصة في ليبيا، التي كانت مقسمة إلى أجزاء نفوذ فرنسية وإيطالية وإنكليزية بحلول عام 1950م.1370هـ، فكانت منطقة فزان فرنسية، وطرابلس إيطالية، وبرقة بريطانية[421].

جرت المفاوضات في الأمم المتحدة بين الدول الأربع الكبرى التي خرجت من الحرب منتصرة لتقرير مصير ليبيا، كما أن لجامعة الدول العربية دوراً في الترويج لقضية ليبيا في المحافل الدولية، حتى انتهت القضية بقرار للجمعية العامة بإنشاء مجلس وصاية " للإشراف

[421]- العقاد، صالح: ليبيا المعاصرة / معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1970، ص70.

على أمور ليبيا كفترة انتقالية مدتها القصوى في أول يناير سنة1950م.1370هـ "[422]أي كموعد للاستقلال.

ثانياً: المملكة الليبية المستقلة وحقوق الأمازيغ

رغم أن موعد الاستقلال أصبح محتماً، إلا أن الفترة الفاصلة شهدت تدخلاً للساسة الأوروبيين في صياغة الدستور للبلاد، حيث أرادوا الترويج لوجود فروقات محلية بين الأقاليم الثلاثة الرئيسية في ليبيا وهي طرابلس، برقة وفزان، فحاولوا الإشارة إلى الفروق الاجتماعية والثقافية لسكان الأقاليم لتقسيم البلاد إلى حكومات اتحادية، تشمل حكومة محلية في كل إقليم تتبع لحكومة سلطة عليا في البلاد، رغم أن هذا النظام لا يمكن تطبيقه على دولة ناشئة كليبيا ولا يزيد عدد سكانها في ذلك الوقت على المليون نسمة[423].

و أنهت بريطانيا بأمر ملكي إدارتها في عام 1370هـ-1951م لإقليمي طرابلس و برقة، حيث خرجت إيطاليا من المعادلة وبعد اتمام عملية نقل السلطات كاملة من الإدارتين الفرنسية و البريطانية، أعلنت أيضاً فرنسا بأنَ سلطاتها في إقليم فزان، و سارت ليبيا نحو بداية مشوارها المستقل بعد إعلان الدستور والتجهيز لانتخابات نيابية، وكان إعلان الاستقلال في 7 اكتوبر من سنة1370هـ-1951م، وعُيّن إدريس الأول ملكاً على المملكة الليبية المتحدة بقرار سابق للجمعية الوطنية الليبية في 1950م.1370هـ[424]، وهو من العائلة السنوسية التي عرفت ماضيها بمحاربة الإيطاليين أثناء وجودهم في ليبيا، و يصل بعض المؤرخين بنسبه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم).

اعتبرت المصادر الملكية في تأريخها لماضي وحاضر البلاد بوجود الأمازيغ كمكون اجتماعي رئيس في البلاد، إذ ذُكِرَ أن من المكونات الرئيسية في طرابلس الغرب هم " السكان الأصليون "[425] وعرفهم باسم "الليبين" أو "البربر" بالإضافة إلى المكون الأهم وهم العرب المسلمين وهذا نص كامل فيما جاء عن الأمازيغ في هذا الكتاب:

" و سكان طرابلس الحاليون هم مزيج من سلالات مختلفة , أهمها السكان الأصليون الوارد ذكرهم في التمهيد من هذه الدراسة ، وهم المعروفون في التاريخ باسم (الليبين) أو

---

[422]- المرجع السابق ص 83.
[423]- ليبيا المعاصرة: ص 86,85.
3- را شد، راسم: طرابلس الغرب بين الماضي و الحاضر، ط1/ 1953 م، طرابلس، ليبيا، ص 173/172.
[425]- راشد: المرجع السابق ص183.

(البربر) و العرب المسلمين و هم الذين دخلوا البلاد بموجتين متعاقبتين في القرنين السابع و الحادي عشر للميلاد، و تأثير العرب المسلمين على أشده في المناطق الساحلية و الشرقية ويقل في الجنوب والغرب، حيث توجد إلى اليوم جماعة من البربر في العقيلة ومراده ومنطقة "الجبل " كغريان و زوارة و يفرن و نالوت، و قد احتفظوا بلغتهم الأصلية و عاداتهم القديمة، كما أنهم ينتمون إلى مذهب إسلامي قائم بذاته، هو مذهب الإباضية، بينما ينتمي معظم العرب المسلمين إلى مذهب المالكية."[426]

ومن السرعة لنا أن نلاحظ أن المسؤولين المّالكيين اعترفوا بالإباضية كمذهب إسلامي طبيعي بالبلاد، وهذا ربما يدل على أنه لمرور القرون على العرب المسلمين والأمازيغ وتعايشهم الطويل، وظهور فرق جديدة تختلف اختلافاً عميقاً مع أهل السنة أكثر مما تختلف الإباضية معهم، مما جعل الأمور بالتوالي تتجه إلى ربما تقبل المذاهب الإسلامية الجديدة كأمرٍ واقع صار لا يمكن تجاهله، ولم يذكر راشد الأمازيغ على أنهم من الأقليات، وذلك كما كان ظاهراً في متابعته لوصف السكان، عندما عد العرب المسلمين و الأمازيغ كسلالتين رئيسيتين في البلاد وأما المكونات الأخرى فهي أقليات في البلاد، كما أنهم بالإباضية كمذهب إسلامي شأنه كشأن المذهب المالكي، ورغم أن الأمازيغ في ذلك الوقت و حتماً في الوقت الحاضر قد وصلوا إلى مرحلة التعريب الثقافي والاجتماعي إلا أنه لا يزال منهم من احتفظ باللغة الأصلية و التقاليد الخاصة بهم، على حسب تعبير الكاتب، و ما يمكن ملاحظته أيضاً أن التوحد بين الأمتين في أوطانها يوصف (بالتعايش) بدلاً من (التصارع) في ما مضى من القرون الأولى من العهد الإسلامي، الذي اعتمد مؤرخوها و بطبيعة حال الواقع في ذلك الوقت في تصوير الأحداث، كما تجري بين أمم مختلفة في الآراء و الأهواء، و قد يؤدي هذا الاختلاف إلى خلل في إرساء قواعد التعايش في بداية الأمر، نظراً إلى صعوبة التأقلم من قبل طرف من الأطراف على تقبل الآخر، ورغم أن معظم الأمازيغ في العصر الاسلامي قد رحبوا بالإسلام واتخذوه ديناً لسماحة تعاليمه، إلا أن التأقلم مع العرب المسلمين شابته شوائب قد تحدث بين أي أمتين جديدتين في التعايش مع بعضهما البعض، ولذلك لا يجدر الخلط بين الإسلام و العروبة - أو العرب المسلمين – في ذكر الصراعات التي شهدها العرب المسلمين و الأمازيغ في التاريخ الإسلامي، رغم أن الصراعات تلك قد شهدت اختلافاً مذهبياً و لكنها كانت تبقى في إطار محاولة إظهار تفوق سياسي وتحقيق مكاسب على الأرض لكلى الطرفين، فإن هذا النوع من

[426]- المرجع السابق ص 184-183.

العلاقة مع مرور الزمن قد أصبح تعايشاً و تشاركاً وطنياً في المصير والوحدة الدينية، وخاصة عقب الاستقلال الليبي وإعلان الملكية .

كما أن الأمازيغ كانوا جديدين في معرفة حقوقهم المدنية في دولة حديثة الاستقلال اتسمت عهودها السابقة بالنزعة القبلية والعيش في طور البدائية فيما يتعلق بالمجال السياسي في ظل الانتداب الإيطالي ولاحقاً الإدارتين الفرنسية والبريطانية، ولا نعقب في هذا على ليبيا خاصة بوضعها على أنها بلاد قبلية كما وصفها مستعمروها، ولكن أغلب البلدان العربية كانت في نفس الوضعية من المعرفة بالحقوق المدنية لسكانها، التي تُصدر اليها بعد في ظل حكمها كمستعمرات للدول العظمى، ورغم ذلك فإن الدستور بالمملكة الليبية قد نص على المساواة بين جميع الليبين، فكانت تجربة الاستقلال هي بداية لتعريف السكان بحقوقهم ونص ذلك في المادة (11) من الفصل الثاني لدستور البلاد الصادر عام 1951م.1371هـ.

"الليبيون لدى القانون سواء، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وتكافئ الفرص وفيما عليهم من الواجبات و التكاليف العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الدين أو المذهب أو العنصر أو اللغة أو الثروة أو النسب أو الآراء السياسية والاجتماعية"[427]، وهذا قد يُعتبر قفزة نوعية للمجتمع الليبي بمكونه العربي والأمازيغي وجميع المكونات الأخرى، وإذا استرجعنا التاريخ في الفتح الإسلامي فإن هذه المبادئ هي ما نص عليه جوهر الإسلام في المساواة والتآخي، غير أن ظهور المذاهب الجديدة في العصر الأموي والعباسي قد حتم على الخلافتين المتعاقبتين اتخاذ الإجراءات اللازمة في الحفاظ على الصف الإسلامي من التشرذم أو الخروج عن الملة، كما أن الاعتراف للأمازيغ بفضلهم في الفتح الإسلامي لم يشهد تغيراً سياسياً في عهد الخلافتين، بإشراك هذا المكون الاجتماعي من البلدان الإسلامية في السلطة فبقيت الحقوق المدنية والواجبات في الإطار المحدود التي يرسمها الساسة في تلك العهود.

ورغم أن الدستور الملكي أقر الحرية المدنية والاعتراف بالمكونات المجتمعية الليبية ومذاهبها وأديانها وتمثيل الأقاليم الليبية في مجلس الشيوخ ومجلس النواب لكل شرائح المجتمع، إلا أن اللغة العربية بقيت هي اللغة الوحيدة في الدولة[428]، فبالإضافة إلى تجاهل

[427]- زيادة، نقولا: محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال، ن: قسم الدراسات التاريخية والجغرافيا، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، 1958 م، ص 196.
[428]- المرجع السابق: المادة 186، ص 229.

الأمازيغ فيما يخص اللغة في الدولة، تم تجاهلهم بما يخص التعليم بمدارس تُعلم بلغتهم أو إحداث منشآت تعليمية تخص ثقافتهم، بينما مُنحت الجالية الايطالية هذا الحق.[429]

وبقي الوضع هذا على ما هو عليه ومع ذلك فإن التمثيل الديمقراطي للأمازيغ كان ملحوظا في المجالس النيابية، رغم أن الدستور أكيد أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، الّا انه ضَمِنَ الحقوق اللغوية والثقافية للأمازيغ والتبو والطوراق، وهذا ما قد يتبدل في العهد الذي أتى بعد الملكية.

بصريح العبارة أكدت الملكية في ليبيا على حق الشعب الأمازيغي في إبداء ثقافته والتداول بها في أُطره الاجتماعية والثقافية، ولكنها حرمته من المشاركة الفعلية في الطابع الرسمي للبلاد بإظهار الأمازيغية كلون للبلاد يدل على هويتها الأصلية، أو حتى اظهار الأمازيغية كند للغة العربية وعراقتها، على الرغم من أن عراقة الأمازيغ وتاريخهم ولغتهم لا تقل عن العربية.

ثالثاً: تأثر ليبيا بالحركة القومية العربية ومجيء القذافي

كانت بداية التأثر بالقومية العربية ظاهرة في الأقطار البارزة للوطن العربي ودول الصراع مع إسرائيل، وخاصة بعد صعود الضباط الأحرار في مصر عام 1956م.1376هـ، وظهور جمال عبد الناصر كقائد للأمة العربية الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ففي عام 1964م.1382هـ كان الملك إدريس في مؤتمر للقمة العربية في القاهرة عندما اندلعت مظاهرات طلابية في ليبيا هاتفة باسم جمال عبد الناصر ومؤيدة له، وكان لا أحد ينكر في ليبيا أن الاتجاه المعادي للملكية قد بدأ يظهر بوجود النظام المصري الذي كان يحارب الرجعية المتمثلة بالملكيات – بنظر الفكر القومي – القائمة في ذلك الوقت، كما أن هدف جمال عبد الناصر إحداث تغيير جذري في الأنظمة العربية كي تتناسب مع المخطط العربي القومي في الصراع مع الكيان الصهيوني، وخاصة بعد نكسة حزيران عام 1967م.1384هـ.

وعندما جاءت ثورة الفاتح من أيلول في عام 1969م.1389هـ كانت متأثرة بالخط العروبي الذي تبنته البعثية والناصرية في ذلك الحين، ورسم جمال عبد الناصر ملامح سياسته

[429]- المرجع السابق: المادة 28 ص 198.

القومية التي كان القذافي من أشد المعجبين بها[430]، وكان القذافي له شخصية وصفت بغريبة الأطوار الى حد عدم فهمها، ورغم أن سياسة جمال عبد الناصر كانت تخلط ما بين الإسلام والعروبة، كانت نظرية القذافي ترى أن الإسلام هو من صنع الحضارة العربية ومجدها، وجعلها ذات الظهور الأقوى في الأمة الإسلامية[431]، ولا بد من الاعتراف بأن الرأي في ذلك سديد إلى حد كبير، حيث أن القومية العربية لم تكن إلا نتاجاً إلى التميز بالإرث الإسلامي، ويمكن تفسيره ان لا اقتصار للقومية العربية بميراث الأرض أو الثقافة أو التاريخ، وإنما الإسلام الذي تشاركته جميع الشعوب الإسلامية هو منبت الثقافة والتراث للأمة العربية والإسلامية جمعاء.

ولا ننوي الخوض كثيراً في متاهات وتفاصيل العلاقة العروبية بين الزعماء العرب المسلمون السابقين، ولكن – وفي مجال الحديث عن الثورة – فإن القذافي مع رفاقه قد أطاحوا بالملكية وأرادوا تأميم الدولة وإخراج القواعد الأمريكية والبريطانية من البلاد إلى حد مشابه لما فعله جمال عبد الناصر في مصر، فكانت الحركة تَشَبُهها في الملامح بين ثورة الضباط في كلا البلدين، وكانت تَشابُهها في الأغراض السياسية، ولم يعرف أحد – سواء العرب المسلمين أو الأمازيغ في ليبيا – ما يجول في ذهن ذلك الضابط الشاب (برتبة ملازم) أو ما يمكن أن يفعله في أيام حكمه لليبيا.

رابعاً: دراسة تحليلية لإجراءات وآراء القذافي بما يخص الأمازيغ:

كانت القومية العربية التي يؤمن بها القذافي من النوع المعقد، فكما أسلفنا أنه لم يؤمن بالالتباس الذي يُطرح بين العروبة والإسلام، إن كان قد توافق مع عبد الناصر كونه معجباً بشخصيته القيادية إلا أنه اختلف مع أنور السادات في نفس النقطة، وإن كان القذافي يؤمن بأن الإسلام له الفضل في وجود المجد العربي، فإنه لا يعترف بالإرث الأمازيغي الإسلامي لليبيا، ولا يعترف باللغة الأمازيغية كموروث تاريخي وثقافي عريق للبلاد، فآراء الزعيم الليبي السابق وإجراءاته كانت حازمة بما يخص الأمازيغ، وتخللها في فترة بداية القرن الحادي والعشرين اعتراف منه بوجود الأمازيغية كلغة تاريخية، ومن ثم عودة إلى تصريحاته القومية المتشددة.

---

[430]- هيكل، محمد حسنين: كلام في السياسة. قضايا ورجال: وجهة نظر، ط7، ن: الشركة المصرية للنشر. القاهرة. مصر، 2002م، ص158، 159.

[431]- المرجع السابق، ص159.

جميع سياسات معمر القذافي اتسمت بالتشوش في كثير من الأحيان، فالأمازيغ يتهمونه أنه ومنذ بداية حكمه قد حكم على الانسجام السياسي الثقافي في البلاد بالتفكك[432]، فيصبح التضييق على الأمازيغ يسهم في خلق حركة أمازيغية تخرج عن نسق النسيج الاجتماعي في ليبيا، نسرد بعض إجراءات النظام الليبي السابق في عدة نقاط من وجهة نظر أمازيغ ليبيا حيال نظام القذافي الذي انطلق من منهج القومية العربية في معالجة الداخل، والتالي هي بعض الإجراءات التي اتبعها:

- التأثر بتبني أيديولوجية القومية العربية في النظام السياسي للبلاد أدى إلى التهميش والتمييز اللذين واجه الامازيغ الليبين، إذ أن توجه النظام السياسي في البلاد إلى التعصب لقومية معينة في بلد متعدد الأصول يحرم الأمازيغ من وجودهم كشعب مؤسس وفعال في تاريخ ليبيا وحضارتها.[433]

- طبيعة نظام القذافي كانت طبيعة دكتاتورية بوقائع تاريخية معروفة، ولذلك كان طمس وإذابة الهوية الأمازيغية الليبية يقوم على استخدام الأساليب العنيفة والقاسية لإجبارهم على التخلي عن حلمهم، فالوصول بذلك الى المراد والغاية وهو الحلول بين الأمازيغ والمطالبة بوجودهم كمكون مجتمعي وسكاني وثقافي في البلاد.[434]

- بما أن الامازيغ ليسوا فقط قاطنين لشمال إفريقية بل لهم أيضاً امتدادهم في المهجر كأوروبا والأمريكيتين، وكان هؤلاء يعاونون إخوانهم في الداخل في ظل بطش بعض الحكومات المغاربية وليبيا بحركة النشطاء الأمازيغ، فمن كان من هؤلاء داخل ليبيا لُوحق وعُذب ونُفي، ووصف كل مناد بالقضية الأمازيغية بالخائن والعميل[435].

- إطلاق اسم (البربر) على الأمازيغ هو استبدال الهوية الأمازيغية باتخاذ هذا اللفظ التاريخي ليذم شعباً بأكمله، حيث أن (البربر) كانت لفظة استخدمها الإغريق في تكنية سكان شمال إفريقية لعدم فهمهم لغتهم وللدلالة على البدائية التي يعيشونها. ولذلك يُفضلون تسمية

[432]- آمادي، موحمد: (مقال) الموقف الرسمي الليبي من الامازيغية.. وجهة نظر أمازيغية، الجزيرة، 2005/11/27.
[433]- مصطفى، محمد: (مقال) امازيغ ليبيا، من ظلم القذافي الى نيران الحرب، شبكة التلفزيون العربي، 2015/12/17.
[434]- (مقال) أمازيغ ليبيا بين التذويب القسري وتزييف التاريخ، الجريدة الأمازيغية، 2010/4/10.
[435]- المرجع السابق، الجريدة الأمازيغية.

أنفسهم باسمهم الحقيقي وهو (أمازيغ) وتعني (الرجال الأحرار)، بينما أوردتهم كتب التاريخ العربية والرومانية وحتى الأوروبية بأنهم (بربر)[436].

- عدم وجود إحصاءات رسمية في ليبيا للأمازيغ لعدم اعتراف القذافي بوجود سلالة أمازيغية في البلاد، لذلك كانت الإحصاءات تشملهم على أنهم عرب وليسوا أمازيغ. بينما كانت تتولى التحري والتقصي عن إحصاءاتهم المنظمات الدولية وإحصاءات أخرى غير رسمية كشفت أنهم يشكلون 10 بالمائة من إجمالي السكان.[437]

- معاناة الأمازيغ في ظل حكم القذافي والتي أعرب عنها هؤلاء بعد ثورة 17 فبراير عام 2011م.1432هـ، ومن الأمثلة أنهم حُرموا من أن تكون لديهم قنوات إذاعية او تلفزيونية، ولغتهم "تامازيغت" ممنوعة من أن تُدرس حتى في المراكز الخاصة، وحتى في التعليم الجامعي لم تكن تحظى بالاهتمام بشؤون تراثها أو جمع التاريخ الأمازيغي وثقافته على أنها من تاريخ البلاد.

- كل من حاول من الأمازيغ أو أُشتبه بأنه يحاول أن يقوم بنشاط ثقافي يدل على وجود الأمازيغية فيه، أو أن يردد الأهازيج الأمازيغية في المناسبات، أو يرفع العلم الأمازيغي وأن يروج بالمطالبة بجزء بسيط من حقوقهم، يُلاحق ويُسجن، وفي بعض المراحل قد يصل الحكم الى الإعدام[438].

- انقسام الشريحة العربية من السكان – بطبيعة هكذا حال – ما بين داعم للإجراءات السياسية والاجتماعية بحق الأمازيغ من قِبَلِ القذافي (وكانت تمثل هذه أغلب السكان العرب المسلمين والمُستعْربين بسبب الخوف من السطوة الأمنية للنظام) وصامتٍ عنها وما بين شريحة متعاطفة معهم ومع حقوقهم ولكن سراً.

جميع ما ورد من الإجراءات أو النقاط حول الحرمان الذي عاناه الأمازيغ في ظل السلطة السياسية لنظام معمر القذافي كانت من وجهة نظر أمازيغية وأكدها الليبين العرب المسلمين أنفسهم، بحكم أن الطرفين كان يُقاسي من هذا النظام، فلم يكن العرب المسلمين بأحسن حالٍ من الأمازيغ في مجال حقوق الإنسان وتعاطي النظام السياسي مع حرية التعبير، وحادثة سجن أبو

436- تعمدنا أن نكثر من استخدام لفظ "البربر" في الفصول السابقة كي يظهر التاريخ الذي جاء في الأمازيغ كما هو دون تحريف او زيادة، وايضا كي نسلط الضوء على حقيقة ان المؤرخين العرب كانوا يطلقون لفظ "البربر" رغم معناه المسيء بالنسبة للأمازيغ، وأما في هذا الفصل الذي يسلط الضوء على العلاقة الامازيغية-العربية فقد لجأنا الى استخدام "امازيغ" لأنها اللفظ الانسب لهم في العصر الحديث.

437- مصطفى: أمازيغ ليبيا، من ظلم القذافي الى نيران الحرب.

438- المرجع السابق.

سليم عام 1996م.1417هـ هي من أبرز انتهاكات حقوق الإنسان في ليبيا بحق العرب المسلمين والأمازيغ، حيث قضى فيها أكثر من 1200 سجين معظمهم من سجناء الرأي الليبيين ومنهم أمازيغٌ أيضاً[439].

أما بما يخص آراء القذافي بخصوص الأمازيغ واللغة الأمازيغية فكانت تصريحاته ضد أي اعتراف بوجود الأمازيغية كلغة وبأنهم (أي الأمازيغ) من العرب المسلمين وليسوا كما يَدَعون، وأنكر خصوصيتهم التاريخية والثقافية، ولا نختلف مع بعض النقاط التي يذكرها القذافي بما يخص الوحدة الوطنية بين الليبين، ونتعارض كلياً مع من يقول أن الأمازيغ والعرب المسلمين منفصلين، فالعرب المسلمين والأمازيغ إخوان وطن واحد في ليبيا ولطالما تلونت حياتهم بلون ثقافي واحد بحكم الجوار والتعايش لقرون، كما أنهم يتشاركون الرابط الديني الواحد الذي يجمعهم سوية في الحقوق والواجبات والالتزامات، لكن ما قصده القذافي في أغلب تصريحاته عن الأمازيغ أنه لا أساس لوجود الأمازيغ هؤلاء نهائيا إذ أنهم انقرضوا في عهود غابرة، عدد من لفتات القذافي حول الأمازيغ والأمازيغية حاولنا انتقائها من خطاباته ولقاءاته تكشف عن وجهة نظره حول الأمازيغ ومسألتهم، ونسردها في النقاط التالية:

- في خطاب له عام 1983م1404هـ كان الموقف الرسمي للقذافي معبراً – ولأول مرة ربما علنياً – عن سياسته المنكرة لليبيا الأمازيغية الاسم والتاريخ والهوية، عندما قال: "بالله كلام الجدات وخرافات العجائز، لا بد من أن ينتهي... بربر ما بربر، لغة قديمة ما لغة قديمة .."[440] وهو تصريح ينم عن سخرية وازدراء، ولو كنا نتفق على أن الأمازيغية وثقافتها قديمة جداً بقدم ليبيا، إلا أنه لا يصح نسف تاريخ يخص البلاد بأكملها.

- اللفتة الثانية للقذافي عن الأمازيغ كانت في خطاب له سنة 1985م.1406هـ، عندما وصف اللغة الأمازيغية بأنها لغة بائدة ولا تصلح لشيء، ونعت الأمهات الأمازيغيات بالرجعية لتعليم صغارهن اللغة الأمازيغية عندما قال: "حتى هذه اللغة (يعني بها الأمازيغية) دعوها تنتهي، لغة لم تعد تنفعنا في شيء.. لا نريدها ... فإن كانت أمك تلقنك إياها، فأمك رجعية تُرضعك حليب الاستعمار وتسقيك السم.."[441].

---

[439]- (مقال) مجزرة سجن بو سليم، الجزيرة نت-أرشيف، 2011/3/10.
[440]- "التقرير العام حول الوضعية الحقوقية للأمازيغ في ليبيا"، موقع تاوالت الأمازيغي.
[441]- آمادي: الموقف الرسمي الليبي من الأمازيغية.وجهة نظر أمازيغية.

- عاد القذافي في عام 1997م.1418هـ ليعزف على وتر "الاستعمار" الذي لطالما حاول أن يُفهم الجميع أن الاستعمار هو السبب في أي شيء جديد قد يحدث ويعبث بأمن ليبيا، كما وأن القذافي دائم الإنكار أن الأمازيغ هم أمازيغ حقا، ويحاول دائما إرجاع أُصولهم إلى العرب المسلمين، مع العلم أن استعراضنا سابقا للأحداث التاريخية أكد أن المؤرخين العرب المسلمين وأيضا الأمازيغ قد فَصَلوا في تأريخ وجود الأمازيغ إلى ما قبل وجود العرب المسلمين بإفريقية، في أغسطس عام 1997م.1418هـ قال القذافي: "هذه مؤامرة استعمارية... الدفاع عن الأمازيغية مؤامرة استعمارية"[442]، وجاء بعد ذلك تصريح له في شهر أكتوبر من نفس السنة في رد على مذكرة للمطالب الأمازيغية: "ماهي الامازيغية؟ هم أصل العرب المسلمين... نحن ليس لدينا أقلية حتى نتكلم عنها ونقول يأخذون حقوقهم الثقافية أو لغتهم، هؤلاء عرب... إنها ردة للعصور القديمة .... لأن الأمازيغية ليست لها أي قيمة.. الأمازيغيون الذين يطالبون بهذا عملاء الاستعمار... هؤلاء يتقاضون رواتب من المخابرات الأجنبية"، ولا نريد أن أُجحِفَ بحق الرجل، ولكن على ما يبدو أن الحس القومي العروبي لدى الزعيم الليبي السابق كان يحتم عليه أن يتصرف أولاً بشكل متعصب، وثانياً بشكل يحافظ به على وحدة ليبيا، فإن مَنْ يفكر كمعمر القذافي يظن أن بإعطاء الأمازيغ القليل من الحقوق الثقافية والاجتماعية سوف يفتح على نفسه بابا لا يمكن إغلاقه يحقق هدف المخططات "الاستعمارية" على حد وصفه، وأظن أن المقصد الحقيقي بأنه سوف يؤدي بالبلاد إلى التقسيم الفكري والاجتماعي، ولكن يا تُرى مَنْ كان يستطيع أن يحاول تقسيم البلاد من السكان وكان لدى ليبيا ما لديها من ترسانة استخباراتية وعسكرية تستطيع أن تقلب البلاد رأسا على عقب؟ ، ومع ذلك فإن الخطاب السياسي لمعمر القذافي ضد الأمازيغ لا يخلو من الدواعي والأسباب التي ربما بَيّنَ القليل منها في خطاباته.

وكذلك في نفس الخطاب واللهجة التصعيدية ضد الاستعمار، أخذ يتهم كل أمازيغي يحاول أن يطالب بقضيته بأنه عميل للاستعمار، حينما قال: "العرب الحقيقيون هم البربر الأمازيغيون .. قضية الدفاع عن الأمازيغية مؤامرة استعمارية.. الذين يطالبون بهذا هم عملاء الاستعمار...، عملاء فرنسا وأمريكا وإسرائيل هؤلاء يتقاضون رواتب من المخابرات

[442]- آمادي: المرجع السابق.

الخارجية.. كم واحد عميل قذر يبيع نفسه للشيطان يتكلم باسم الأمازيغية أو باسم البربر أو باسم الطوراق أو التبو"[443].

- وفي عام 2002م.1423هـ ذكر القذافي الأمازيغية بشكل مختلف – ليس كليا – عن خطاباته السابقة، وهذا ما يعيد إلى أذهاننا وصف محمد حسنين هيكل للقذافي بأنه شخص غريب الأطوار أو متذبذب في مواقفه.

فاللهجة الخالية من الحدة هذه المرة اعترفت بوجود الأمازيغ، ولكنها تركت الأمازيغية في نفس الإطار الذي أسماه بأنها (لغة عربية قديمة)، عندما قال في خطابه: "نحن نريد أن نتعلم العربية والأمازيغية ...حتى لا يجد الاستعمار – أعداء إفريقية – أي شيء يتاجرون به.. تعال الذي يتاجر بالأمازيغية يأتي ونعطيه أموالاً زيادة، ويعلمنا الأمازيغية.. كلنا نريد أن نتعلم العربية والأمازيغية لأن الأمازيغية لهجة عربية قديمة وغير متحسسين منها أبدا"[444]

- في عام 2007م.1428هـ ظهر انسحابه عن أقواله من عام 2002م.1423هـ بوضوح، وفي لمحة له عن التاريخ أراد القذافي أن يدعم الصيغة التي أعاد بها أصل البربر الى العرب المسلمين، فقال: "نحن البربر نحن العرب المسلمين الذين جئنا (بر-بر) – ويقصد براً - لان الفينيقيين الذين هم عرب مثلنا وجاءوا من الشرق جاءوا عن طريق السفن، أي نحن مجموعة (بر-بر)، جاء الاستعمار وقال أنتم البربر قوماً أخرين ولستم عرباً. يريدون أن يغلطونا في تاريخنا وفي أصلنا وحضارتنا، قبائل الأمازيغ انقرضت من زمان منذ أيام مملكة نوميديا.. قبائل لا نعرفها بالمرة، علماء الأثار والفلك يقولون إن هذه القبائل انقرضت عندما جاء جفاف استمر لمدة مائة سنة... لم يأت مطر لشمال إفريقية فانقرضت الناس بما فيها تلك القبائل والقبائل الأخرى التي ذكرتها والتي كانت كلها في شمال إفريقية... جاء العرب المسلمين (بر-بر)، وجاء الفينيقيون (بحر-بحر)، وجاء العرب المسلمين بعد الإسلام. من يقول أصلي كذا وأصلي كذا. هذا عميل للاستعمار. وهذه "فرق تسد"، الإسرائيليون يريدون أن يقتصوا من البلاد العربية والإسلامية وإفريقيا.. والاستعمار الأوروبي يريد أن يُقسم شمال إفريقية ويمزقه، هذه كلها تسميات استعمارية.. ومؤامرات استعمارية.. أي واحد ينفث سموم الاستعمار، يُسحق هو وأفكاره"[445]، ويبدو أن القذافي اعتمد تأريخاً مغلوطاً، وإلا كيف يفسر وجود هذه الأقوام كلها في الشمال الإفريقي التي لا تزال تتحدث الأمازيغية وتزاول ثقافتها؟،

---

[443]- التقرير العام حول الوضعية الحقوقية للأمازيغ في ليبيا، سابق ذكره.
[444]- آمادي: مرجع سابق.
[445]- موقع تاوالت الأمازيغي: مرجع سابق.

بالإضافة أنه لم تسجل تاريخياً أي هجرة كبيرة للعرب من الجزيرة باستثناء التي فصلها ابن خلدون في كتابه "العِبَر"، الهجرات التي جاءت مع الفتح الإسلامي، وحتى لو افترضنا أن هناك فعلاً هجرات عربية منذ القدم أثرت من الطابع الديموغرافي لشمال إفريقية، فهل يُعقل أن تكون سلالة السكان الأصليين للبلاد قد انقرضت بشكل كامل ولا تزال لغتهم موجودة؟، ونلاحظ أن القذافي دائما يُلقي اللوم على الاستعمار والقوى الاستعمارية كالأسطوانة التي يتبعها دائما زعماء الحركة القومية العربية من القادة العرب المسلمين السابقين واللاحقين.

- في 30 مايو 2010م.1432هـ كان القذافي يحتفي بإحدى فعاليات الشعب المغربي في خيمته بحضورالوفد المغربي، وكانت هذه مناسبة ليُعيد الكرة فيناقض نفسه عن تصريحات عام 2002م.1423هـ ويسيء في تعابيره إلى الأمازيغ وأمازيغيتهم أمام وفد إحدى الدول المعروفة بتعدديتها، وهي المغرب، فلا بد من القول أن المغرب - ورغم أنها مَلَكّية - هناك تعدد اجتماعي فيها يمثل نموذجاً عصري في التعايش ما بين العرب المسلمين والأمازيغ يُحتذى به، ويذكرنا بأيام الدولة الإدريسية التي احتضن فيها الأمازيغ قيادتهم وبادلت القيادة رعيتها بالعرفان، فهناك إذاعات مغربية تبث باللغة الأمازيغية، وهناك أيضا اعتراف بالثقافة الخاصة بالأمازيغ من قبل النظام المغربي، ولذلك أراد القذافي أن ينتقد التعامل بالأمازيغية في خطابه أثناء الفعاليات وكأنه أراد أن يوجه كلمة إلى النظام المغربي مفادها أن الأمازيغ ليسوا إلا عرباً ولا يحتاجون إلى حرية ثقافية عدا – عن الثقافة العربية – كي ترعى خصوصيتهم كأقلية وتهتم لشأنهم كمكونٍ اجتماعي في المغرب العربي.

ابتدأ القذافي بذكر الأمازيغ في الفعالية على أنهم "قبائل قديمة عاشت في إفريقيا، قبل أن تندثر وتنقرض مثل قبائل أخرى في المنطقة"، وتابع يقول: "إذا كان الأمازيغ الى جانب المشواش والليبيو والتحنو (قبائل أمازيغية عريقة) هم القبائل القديمة التي كانت تعيش في شمال إفريقية، فإن هذه القبائل اندثرت وانقرضت وانتهت"[446]. وأضاف القذافي يسرد: " تعلمون أن شمال إفريقية تعرض في عصر من العصور إلى جفاف مدته مئة سنة فبادت كل الجماعات الموجودة فيه"، منذ تلك الحُقبة على حد تعبير القذافي، وفي ذلك تكرار لأفكار سابقة. وأتبع ذلك بأن قال: "إذا كان الأمازيغ كما يقولون إنهم عرق أو جنس أو قبيلة فليس من المجدي أن نبحث عن لغة هذه القبائل التي انقرضت"، وأضاف متسائلا: "ماذا سيفيدنا إذا كنا سنبحث عن العظام البالية هذه ونُخرجها أو نُخرج لغة أو لهجة بني ربيعة أو لهجة ذبيان أو عبس؟ هذا

[446]- أوعسري، علي: "فعاليات الشعب المغربي في خيمة القذافي"، موقع مَغرِس: مُحرك بحث إخباري، 2010/6/3.

عبث... لهجة قريش هي التي وحدت الأمة العربية، وبعد أن انتهت اللهجات العربية ووحدت الدين وأصبح هناك كتاب واحد، هو القرآن، بهذه اللهجة أصبحت هي اللغة العربية"[447]، بهذه العبارات نسي الزعيم الليبي السابق أن لغة القرآن – وليس لهجة قريش – هي التي وحدت الأمة العربية التي كانت في تشرذمٍ قبل نزول الكتاب الكريم على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ونسي أيضاً أن الأمازيغ لم يكونوا سكان الجزيرة العربية (العرب) وإنما سكان إفريقيا الأصليين.

وإذا افترضنا أن لهجة قريش هي التي وحدت الأمة العربية – كما زعم القذافي – أفلم تكن الشعوب الأخرى التي اعتنقت أو احتضنت الإسلام بمتساويةٍ مع العرب المسلمين كما جاء في القرآن الكريم؟، أفلم تكن السواعد غير العربية أيضا ذات فضل في الفتح الإسلامي ونشر الإسلام والحفاظ على وحدة أراضي الأمة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية ومن بعدها العباسية؟، وإن كان المبدأ هو الحفاظ على وحدة الأمة العربية في توجهات القذافي، فلماذا أصبح العالم العربي في القرن العشرين مقسما إلى دويلات وأقطار؟ هذه التساؤلات إذاً بالأصل تطرح نفسها باختصار على نظريات القذافي في التعامل مع الأمازيغ، وإن كان الغرض هو الحفاظ على الوحدة الوطنية في ليبيا فإن العرب المسلمين والأمازيغ قد مر على تعايشهم أكثر من ثلاثة عشر قرنا فأصبح التعايش بالضرورة وطنياً ودينياً ومصيرياً وأيضا ثقافياً واجتماعياً.

وليست بعض المطالب المحقة في إبداء حرية التعبير والحرية الثقافية لمكونٍ اجتماعي هي التي سوف تسعى إلى هلاك الرابط القومي والوطني، وإنما في كثير من الأحيان قد يكون تجاهلها ولجمها لفترة طويلة إنما قد يزعزع مستقبل الشعارات العروبية.

كما انتقد القذافي في إشارة مُبطنَة المغرب، الذي شهد انفتاحاً في العهود الأخيرة بما يتعلق بمسألة الأمازيغ، فاستهجن استخدام اللهجات العربية "التي لا نفهمها في بعض الإذاعات"[448]، وأكمل عن هذه النقطة قائلا: "يجعلنا نحتاج إلى ترجمة ويُفقدنا التواصل والصلة والتخاطب والفهم فيما بيننا، ونفتقد الصلة بالقرآن". وحاول أن يُعقب مستدركا لبعض عباراته: من يُرد أن يستخدمها فهو حرٌ في بيته.. ومع هذا يجب أن تنتهي.. التعصب أمر خطير ودعاية يجب إحباطها لأننا بذلك نجاري دعاية الاستعمار أو عملائه مثل (الكونغرس الأمازيغي)، وربما

---

[447]- المرجع السابق.
[448]- "أراء حول الأمازيغية في ليبيا"، الجزيرة، قسم البحوث والدراسات.

أراد القذافي أن يحدد ماهية الحرية في استخدام الأمازيغية ألا وهي الإطار المنزلي أو الأسري الذي تحدث عنه أنه ضمن بيت المرء، وأراد القذافي أيضاً أن ينوه إلى الناحية الدينية حينما انتقد اللهجات – بصورة عامة – التي قد تؤثر فعلا في فقدان روح الثقافة الإسلامية ومرجعها القرآن، فجميع اللهجات في المغرب والجزائر وحتى تونس تُعتبر خليطا بين الفرنسية والعربية وحتى الأمازيغية، ولكن هل يُعتبر عدم الاعتراف بحقوق الأمازيغ الثقافية هو الحل؟ طبعا يُشك في هذا الأمر، فالأمازيغية لن تكون السبب الأوحد في طمس اللغة العربية إذا – ما حدث ذلك – فأحياناً تراجع استخدام المصطلحات العربية، والعولمة التي أصبحت واقعاً نعيشه قد سببت في هذا الأمر أكثر بكثير مما قد تسببه الأمازيغية، ولابد من ألا ننسى بأن الأمازيغ هم أيضاً مسلمون، وتُعتّبر اللغة العربية هي لغة أساسية كما هي الأمازيغية بالنسبة لهم.

وفي النهاية لا نحاول أن ننكر على الزعيم الليبي الراحل بأنه حافظ على وحدة ليبيا لمدة عقود وكان مقصده من آرائه بما يخص الأمازيغ هو ألا يُظهر – أو لا يعترف – بأن هنالك مشكلة أمازيغية بالأصل كي لا يُغامر بالوحدة الوطنية التي كانت من نوعه الخاص بالنهاية، لكن طرحه للآراء التي استعرضناها كان راديكاليا بما يخص التعريف التاريخي لأصل الأمازيغ، كما أنه استبعد وجودهم لإنكار حقوقهم، وكأنما اعتمد الزعيم الليبي السابق (أن الغاية تبرر الوسيلة).

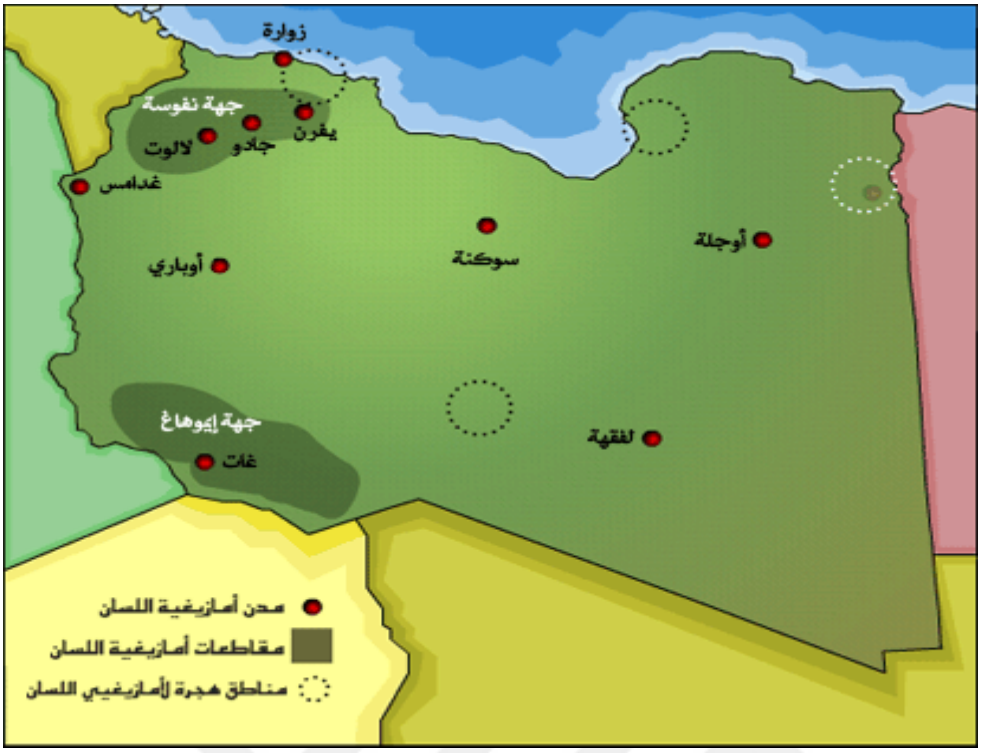

خامسا: الأمازيغ ومحاولات التحرك والرد

وهكذا واعتبارا من النظام الليبي أن الأمازيغ يتبعون للعرب وأن تراثهم ولغتهم هي عبارة عن ثقافة وتراث عربي قديم، أصبح لأمازيغ ليبيا قانونا من العرب المسلمين واليهم يرجعون وفقا لزعيم البلاد، ولذلك صدر قانون ليبي برقم (24) لسنة 2000م.1421هـ يحظُر تداول الأسماء غير العربية في السجلات الحكومية ويفرض عقوبة على من يُخالف القانون، ومنع القانون ايضا تسمية المواليد بأسماء أمازيغية، وفي سنة 2002م.1423هـ شمل القانون منع استعمال غير اللغة العربية في جميع المعاملات، وكانت تلك القرارات تعتمد بشكل أساسي على السلطة المستوحاة من اطروحات القذافي، كالكتاب الأخضر والوثيقة الخضراء لحقوق الإنسان في عصر الجماهير، وأيضا خطاباته، ويتهمه الامازيغ بأنه خالف بذلك النصوص الموجودة لبنود العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية[449]، كحظر أي دعوة الى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية، ويعتبر ذلك تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف.

وكان الأمازيغ يحاولون عن طريق منظمات لهم في المهجر بأن يبدو احتجاجهم على تصرفات نظام القذافي اتجاه قومتيهم، حيث نددت حركة تُعرف (بالحق الأمازيغي) بالقانون

[449]- موقع تاوالت الأمازيغي، مرجع سابق.

(24) ووصفته وقتئذٍ بأنه قانون عنصري يهدف إلى قتل الأمازيغية، وفي تلك الفترة تم إعدام أحد وجوه حركة النشطاء الأمازيغ وهو علي الشروي بن طالب الذي كان يرأس رابطة شمال إفريقيا الأمازيغية، وتم حكم الإعدام بحقه وحق ثلاثة من مساعديه، كما تم سجن العشرات بحجة انضمامهم إلى مؤسسة غير شرعية، وحتى بعد الإفراج عنهم مُنعوا من السفر.

أيضا انطلقت حملة من الخارج وشارك فيها الداخل تبنت شعار " لا تقتلوا اسمي الأمازيغي" مطالبة بإلغاء القانون، ولكن سرعان ما ألقي القبض على نشطاء أمازيغ فيها داخل ليبيا، وحتى الاحتفاليات الأمازيغية تعرضت للمضايقات والتخنيق، كمهرجان ذكرى الربيع الأمازيغي التقليدي، حيث حرصت السلطات الليبية من خلال حملة اعتقالات طالت نشطاء إلى منع هذا الاحتفال أو أي نشاط ثقافي أو فني أمازيغي في تلك الذكرى.

كما حاولت السلطات الليبية تغيير الديموغرافية لبعض المناطق الأمازيغية المعروفة بمقاومتها للتعريب كزوارة وكاباو وجادو والرحيبات ويفرن والقلعة، وكلها مناطق تكثر فيها الأغلبية الأمازيغية ومراكز تجمع لهم، حيث استقدمت السلطات الليبية العرب المسلمين من أبناء القبائل من أماكن أخرى وشجعتهم ببناء مساكن وتمليكهم أراضٍ زراعية.

وكانت المنظمات الأمازيغية تواظب على متابعة الشأن الأمازيغي في الداخل كمنظمة المؤتمر الليبي الأمازيغية في لندن التي كانت ربما النافذة الوحيدة التي استطاع بها أمازيغ ليبيا إسماع العالم بأنهم موجودون، وبمجهودات المعارضة الليبية في الخارج التي كانت تتمركز مقراتها غالباً في المملكة المتحدة، شهد عام 2004م.1425هـ نشاطاً موسعاً بما يتعلق بمسألة أمازيغ ليبيا، فعقدت مؤسسة الرقيب الحقوقية المعنية بحقوق الإنسان في ليبيا مؤتمراً طالبت من خلاله أن يتم الإفراج الكامل عن سجناء الرأي الليبين وكذلك السياسيين، وأما المعارضة الليبية فقد نظمت وقفات احتجاجية في لندن ودعمتها حملة " الحق الأمازيغي"، وكانت هذه الوقفات الاحتجاجية رداً على محاولة النظام الليبي التضييق على الأمازيغ وأتباع المذهب الإباضي من الأمازيغ، وطالبوا بالسماح بإقامة مؤسسات تعليمية ودينية للإباضية.

وفي نفس العام عقد المؤتمر الليبي للأمازيغية في لندن اجتماعاً خرج به بتوصياتٍ كان أهمها:

1-الاستمرار في دعم حملة (الحق الأمازيغي) تحت شعار (لا تقتلوا اسمي الأمازيغي).

2-التنديد بعدم إلغاء القانون (24) الذي يحظر تداول الأسماء الغير عربية ومنع قيد المواليد جدد بأسماء أمازيغية.

3-المطالبة بإجراء تحقيقات للكشف عن حوادث اغتيال واختفاء النشطاء الامازيغ ومنهم يوسف خربيش وعمر نامي وسعيد سِفاو.

4-إقامة مركز لرصد آخر التطورات وجمع المعلومات الحقوقية بشأن ما يتعرض له الأمازيغ من تضييق ضد كوادرهم ونشطائهم ومحاولات القضاء على الثقافة الأمازيغية.

سادساً: الأمازيغ وثورة 17 فبراير

كانت الثورة بالنسبة لليبيين جميعاً – عرباً وأمازيغاً ومكونات أخرى – هي الشعلة التي أنارت الدرب أمام وطنيتهم المفقودة لعقود، وحريتهم في التعبير المسلوبة لأجيالٍ خلت، ومثلت الثورة بجميع توجهاتها، سواءً ليبرالية أو إسلامية، صفاً واحداً في مقارعة النظام الذي حكم ليبيا لعقود فلم يُنصف في حكمه لا العرب المسلمين ولا الأمازيغ، فكان من الطبيعي جداً أن تكون الثورة هي بارقة أملٍ لأمازيغ ليبيا.

وبعد الاحتفال بالنصر شهدت المرحلة الجديدة من تاريخ ليبيا الجديد انعكاسات منها ما أدى إلى رفع معنويات الأمازيغ ومنها ما هبط إلى مستوى خيبة الأمل، وأصبحت المرحلة القادمة حاسمةً، فإما أن يُعاد تهميشهم وإما أن يُرحب بهم في ليبيا ما بعد القذافي كمكونٍ مجتمعي لا يقل شأنه عن العرب المسلمين في البلاد.

وقبل أن تحل الأزمة السياسية على البلاد في عام 2014م.1436هـ كان الأمازيغ يخوضون الصراع الديموقراطي بالرغم من أنهم أقلية في البلاد، ولم يستبشروا بذلك في معرفتهم إنما خوضهم للانتخابات لا يعني أنهم يشكلون أغلبية قد تغير في السياسة الجديدة تجاه مسألتهم، ومع ذلك شارك النوابٌ الأمازيغ في البرلمان الذي يُعرف بالمؤتمر الوطني العام الذي ترأس المرحلة الانتقالية، فكانت تجربة الانتخابات الديموقراطية تعتبر الأولى منذ أكثر من أربعين عاماً بالنسبة للأمازيغ والعرب المسلمين.

وبالرغم من أن الأمازيغ شكلوا كتلة نيابية في البرلمان، فإن هؤلاء عندما تقدموا بمشروع مواد تشارك في صياغة الدستور الجديد للبلاد والتي كانت تنص على بعض الحقوق بما يتعلق بالأمازيغ، كالاعتراف باللغة والثقافة والتراث الأمازيغي، وجعل اللغة الأمازيغية لغة رسمية

إلى جانب العربية، ورفع الحظر عن ممارسة المذهب الإباضي[450]، ولكن البرلمان بأغلبيته الساحقة ومستفيداً من فكرة أن الأمازيغ ذوي أقلية نيابية في البرلمان أحجم بالتصويت عن تمرير المواد في الدستور، فعزم النواب الأمازيغ على الانسحاب من البرلمان احتجاجاً، ويجدر بالذكر أن هذه لم تكن خيبة الأمل الأولى التي واجهت الأمازيغ، فكانت تشكيل الحكومة التي أعقبت مقتل القذافي خالية من أي حقيبة وزارية للأمازيغ، ورغم انتخاب نوري أبو سهمين – الأمازيغي الأصل – في عام 2013م.1435هـ كرئيس للمؤتمر الليبي الوطني، فإن صوتهم لم يُسمع بما يخص المواد الدستورية. على أن انتخاب أبو سهمين كان أول منصب رفيع يتقلده أمازيغي منذ عهود.[451]

وكان أحد النشطاء السياسيين الموالين للمؤتمر الوطني العام، وهو جمال زوبية، قد صرح تعقيبا على عدم تمرير البرلمان للمواد التي اقترحها النواب الأمازيغ في جملة المعروض لمسودة الدستور، بأنه " من الصعب جعل الأمازيغية رسمية، لأن حتى بعض الأمازيغ أنفسهم لا يُتقنون هذه اللغة"[452]، ولكن الأمازيغ في مناطق غرب ليبيا وجنوبها لا يزالون يتكلمون حتى الآن بهذه اللغة، فهل من المعقول أن يتجاهل الساسة الجدد حقيقة أنه يوجد مكون اجتماعي مهم كالأمازيغ في ليبيا؟

فالخطأ عند الساسة الليبين الجدد هو عدم احتواء الآخر والاعتراف به، ولربما هذا قد يفسر لنا سبب ظهور الأزمة في ليبيا بين النخب السياسية وتصارعها على السلطة عام 2014م.1436هـ، وهكذا عندما رأى الأمازيغ هذا الفعل بحقهم، أتبعوه بردة فعلٍ ألا وهي تشكيل المجلس الأعلى للأمازيغ في يناير 2013م.1435هـ ليكون الممثل الشرعي والكيان الأوحد في تمثيلهم، مهمته الدفاع عن هذه الأقلية في ظل ما وصفه الأمازيغ أنه تهميش جديد وعدم اعترافهم بالمكون الأمازيغي.

وفي عام 2014م.1436هـ قاطع الأمازيغ الانتخابات النيابية التي صدرت عن نتائجها تشكيل برلمان طبرق الحالي الذي أسس لوجود أزمة 2014م.1436هـ مع المؤتمر الوطني العام في تنازع على السلطة وصف بأنه كارثة سياسية حلت في ليبيا ما بعد القذافي، وفي ظل هذه الأزمة السياسية التي فرقت الليبين إلى شرق وغرب، بحث بعض الأمازيغ عن طرف يصطفوا إلى جانبه فكان الطرف الأقرب إليهم ألا وهي طرابلس، ورغم النداءات التي أطلقها

[450]- الجاش، غفار ولد سيدي: همشهم القذافي ولم تنصفهم الثورة. من هم أمازيغ ليبيا، شبكة الشرق الأوسط، 10 نوفمبر 2015.
[451]- شبكة تلفزيون العربي: مرجع سابق.
[452]- شبكة الشرق الاوسط: مرجع سابق.

معظم الأمازيغ أنهم لا ينحازون لأي طرف في الصراع بين القوى السياسية بين طرابلس وطبرق[453]، إلا أن هناك مصادرٌ أكدت أنه ومنذ بدء خليفة حفتر بإطلاق ما يُسمى ب(عملية الكرامة) وتأسيس الفصائل الإسلامية في طرابلس ما يعرف ب"فجر ليبيا"، انضمت فصائلٌ أمازيغية إلى الإسلاميين، في ظل تجاذبات إقليمية نالت من وحدة البلاد، وحتى الأطراف الإقليمية التي تدعم كِلا الطرفين (طبرق وطرابلس) كقطر والإمارات ومصر لا تعترف بالمكون الأمازيغي في ليبيا وتعمل على إقصاءه.

ولا ننسى أنه ومع بداية بروز الأزمة السياسية في البلاد حاول الأمازيغ مراراً وتكراراً إفهام الساسة أنهم يريدون الحياد، كما وأنهم نظموا تظاهرات طالبوا فيها بمنحهم حكماً ذاتيا في مناطقهم تُجنِبُهم أن ينحازوا إلى طرف ضد الآخر، ويمكن إعادة طلب الأمازيغ بالحكم الذاتي إلى فشل السياسيين الليبين في عهد ما بعد الثورة في المحافظة على الوحدة الوطنية وصونها من العبث المستمر من الخارج والذي يخلقونه هم في ظل صراعاتهم على السلطة، فالأمازيغ على ما يبدو لم يُطالبوا بهذا إلا بعد أن فشلت قيادة البلاد أولاً في احتوائهم وضمهم ليسهموا في الحياة السياسية بشكل طبيعي، وثانياً الفشل في المرحلة الانتقالية التي تتمخض عنها تكوين الدولة الجديدة ومؤسساتها، وأيضاً قسمت البلاد من خلال الصراعات المسلحة.

[453]- شبكة تلفزيون العربي.

الخاتمة

مما سبق نلاحظ ان العلاقة بين العرب المسلمين والأمازيغ في ظل الإسلام مع بزوغ فجره الأول في شمال إفريقية كانت علاقة متجاذبة بين أمتين لا يعرف بعضهم طبائع بعض في المراحل الأولى لنشر الدين الإسلامي، ونحن نعلم أن الفتح لم يكن "عربيا" – كما يرغب بعض الأمازيغ بتسميته – وإنما فتح إسلامي حملته العرب المسلمين أُريد له أن ينقل تجربة روحية يهدي بها بقية الأمم ويرشدها إلى الصلاح، كما أن الفتح الإسلامي لم يكن محاولة استعمارية ولا حتى استيطانية يسعى إلى التغيير الديموغرافي، ولكنه كان عبارة عن سلسلة من العمليات العسكرية اختلط فيها الميل – بالدرجة الاولى – الى الدعوة للإسلام ومن ثم – بالدرجة الثانية – الحصول على غنائم من حكموا قبلهم، ولو كان الأمر سرقةً أو سطواً أو استعماراً كما يصفه البعض، فلماذا يسعى السارق أو المستعمر إذاً إلى هداية المُسْتَعْمَرين وبناء حواضر ومدن كبرى (كالقيروان) وتنظيم أمور الناس والبلاد معيشياً وادارياً؟، ولماذا تُحَمِّل الخلافة – الأموية أو العباسية مثلاً – نفسها أعباء الدعوة والجهاد لنشر الإسلام في هذه الحالة وتتجشم عناء الحملات العسكرية والغزوات بمخصصات من الاموال لولاية إفريقية؟.

واجه الفتح الإسلامي موجة من الارتداد الأمازيغي عن الإسلام في بداية الدعوة الإسلامية في شمال إفريقية، وهذا أمر طبيعي قد يحصل عندما يُجَربُ الإنسان أي جديد أو غير مألوف له، فلا تمايز بين العرب المسلمين والأمازيغ في التفوق الديني، ولعل من يذكر التاريخ الإسلامي يذكُرُ أنه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ارتدت قبائل كثيرة من العرب عن الإسلام وحاربها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – الذين هم عرب أيضا – حتى استقامت على الإسلام مجددا، فالتجربة الأمازيغية في الارتداد عن الإسلام ليس لها علاقة "ببغض" العرب أو الحقد عليهم، وإنما هي حالة إنسانية في عجز بعض الناس، الذين تَشّربوا بمعتقداتٍ عايشتهم طويلا، عن فهم أفكارٍ جديدةٍ بمضمونها حتى ولو كانت هذه المضامين تُعتبر من أسمى القيم الإنسانية.

اتسمت العلاقة في العهد الراشدي بأنها محاولة لنشر القيم الإسلامية وتخليص الأمازيغ من الذين استعبدوهم بحسب الروايات التاريخية، ورغم أن الفتح الإسلامي كان محدوداً ولم يتعمق في شمال إفريقية، إلا أن الشواهد التاريخية تدل على أن العلاقة كانت في أُطُرِ محاولةِ التعايش ونشر الدين الإسلامي ومحاربة التحديات التي قد تعرقل تقدم العرب المسلمين، ورغم

أن الأمازيغ شاركوا الروم في التصدي للمسلمين، إلا أنهم كانوا مجندين للقيام بذلك بحكم أن الامازيغ كانوا شعباً محارباً وبدواً عنيدين، والتاريخ الأمازيغي مليء بالتصدي لمحاولات دخول بلادهم منذ أقدم العصور، ولا ننسى أيضاً أن من الأمازيغ هم من أسلم طواعية وسهل دخول العرب المسلمين الناشرين للإسلام في إفريقية ، ومنهم من فُرضت عليه الجزية مقابل أن يبقى على ديانته أو معتقده، ومنهم أيضاً من فضلَ القتال ولم يدخل في الإسلام إلا بعد انهزام.

الفتح الإسلامي لم يكن نقمة على الأمازيغ فيما يخص "إدخال العرب المسلمين إلى موطنهم ومحاولة تعريبهم"، فكانت حاجة الأمازيغ للعرب هي ضرورة في ذلك الوقت، فكانت الهجرات من القبائل العربية أو قدوم الفاتحين والدعاة الى إفريقية بغرض إعانة الدولة الإسلامية في أعبائها الجديدة في الفتوحات وتعليم القرآن والعربية والحديث الشريف، ويرى الباحث أن هذه لا يمكن تسميتها تعريبا، لأن مثل هذه الأيديولوجيات لم تكن موجودةً أو مزروعة في عقول التابعين الصالحين من أهل السلف، بِحُكم بساطة العيش في ذلك الزمان، فلم يُذكر في التاريخ الإسلامي أن فلانا من العرب – ودون ذكر الألقاب السياسية – قد منع ملة بأكملها من التحدث بلغتها أو أن يتداولها مجتمعها كالأمازيغية مثلاً، وإنما كانت اللغة العربية هي متطلب ديني وبطبيعة الحال في الدولة الإسلامية لابد أن تكون متطلباً سياسياً في أمور الدولة كأن تكون أداة للتواصل مع الحُكام الجدد والدعاة من العرب المسلمين، فكيف للأمازيغ إن كان منهم من يعرف اللاتينية للتواصل مع الروم أيام حكمهم لإفريقية وتأثرت بها أحرف لغتهم وكلماتها، وهم كما يصفهم الأمازيغ أيضا أنهم "مستعمرون" لبلادهم؟ ولذلك فكيف نُطلق تسمية (تعريب) على هجرة أناس لم يأتوا ليستعمروا وإنما أرادوا نشر رسالة سامية استوجب بالضرورةِ استقرارهم في تلك المنطقة؟ وبالطبع في كِلا السؤالين الإجابة والبرهان.

النزعة التمردية للبربر في العصر الأموي لم تكن تحت مسمى "محاربة العرب المسلمين" وإخراجهم من بلاد المغرب، إذ أننا نذكر أن الشكاوى التي عُرضت في رسالتهم للخليفة هشام لم تكن إلا مظالم يتعلق جلها بأمورٍ ماديةٍ أعجزهم بها الولاة، أما البقية يتعلق بالحساسية من العرب المسلمين، وهذه الحساسية كانت بسبب تفضيل العنصر العربي في عهد الخلافة الأموية، فلم يكن الخروج عن الطاعة في ظل عهد بني أمية فشلاً في العلاقةِ مع العرب المسلمين (رغم أن بعض المؤرخين صوروها بأنها حرب البربر ضد العرب المسلمين) وإنما فشل في التعاطي مع قيادتهم السياسية، فالقيادة هي دائما التي تعطي الانطباع للرعية،

وفي حالتنا هنا الرعية هم العرب المسلمين والأمم الأخرى غير العربية، وبشكل عام ودون إلقاء اللوم على الخلفاء وتحميلهم الجزء الأكبر من العبء التاريخي، فإن ولاة الأمويين هم مَنْ أعطوا الانطباع الذي جعل الأمازيغ يحسون بالتمييز، وبصراحة ما أن بدأت شرارة التمرد في ذلك العهد حتى صّعُبَ إخمادها، إذ استمر الشمال الإفريقي ليظهر في كلٍ من الفترتين الأموية والعباسية كمسرح يتصارع عليه الخلفاء والخوارج والأمازيغ.

لقد كانت العلاقة بين العرب المسلمين والبربر في عهد الدويلات مستقرة ضمن إطار التعاطي بانفصال المناطق عن الخلافة، وهذا لا يعني أن يكون السبب في سوء الخلافة، ولكن يُرجح السبب إلى أن البربر وقتئذ وبعد قرنٍ كاملٍ من الاضطراب الذي حدث في شمال إفريقية أصبح التمرد عادة لديهم، بالإضافة إلى أن البربر كانوا يعتبرون أنفسهم – على ما يبدو تاريخياً – في الأنحاء التي أتبعت الإباضية والصفرية أنهم بتغيير المذهب قد ألغوا الرابط الديني الذي يربطهم بالخلافة، لذلك كان يسعى الأمازيغ دائما للانفصال، ولا تختلف الحالة كثيراً في ما يحدث حالياً بعد أزمة 2014م.1436هـ عن الحالة التاريخية السابقة الذكر، عندما طالب الأمازيغ في ليبيا بحكمٍ ذاتي في مناطقهم، على أن الوسائل كانت مختلفة في الحالتين، ولا نريد أن نوجه التجريح لمذهب ما، فالكل يعلم أن الإباضية هي مذهب إسلامي وساهم في إغناء التراثي الليبي الإسلامي ، ولكن وكأي مذهب قد يحدث وأن تجد فيه بعض الاختلاف .

في منتصف القرن الماضي كان ظهور القومية العربية بشكلٍ عام في الأقطار المعروفة بخطها العروبي مضراً بالأقليات، وكانت هذه تحاول أن تقصي الأقليات عن حقوقها الثقافية، فالقذافي لم يكن أول من تعاطى مع موضوع الأقلية في بلاده بطريقة عنصرية[454]، ولكن كان هو أكثر من أطلق التصريحات عنها بطريقة عنصرية، والعرب المسلمين والأمازيغ في تلك الفترة كانوا متعايشين بتآخٍ في وحدة الدين والوطن والمصير، وأيضاً كونهم محكومين من نظامٍ سياسي جائر يعاني منه كِلا الطرفين، أما بما يخص آراء القذافي حول الأمازيغية فقد استوقفني تعليق على خطاباته التي تقول بانقراض الأمازيغ والأمازيغية، وأن هذه اللغة لغة عربية قديمة انتهت، وهذا التعليق كان لمثقف عربي ليبي غير ناطق بالأمازيغية، إذ قال:

[454]- فمن الأمثلة الأخرى للزعماء العرب وتعاطيهم السلبي مع الأقليات في بلادهم: الرئيس الجزائري الأسبق هواري بو مدين (أمازيغي) مع الأمازيغ، الرئيس الجزائري الحالي عبد العزيز بوتفليقة (أمازيغي الأصل) أيضا مع قضية اللغة الأمازيغية، والرئيس العراقي الراحل صدام حسين مع الأكراد.

"مادامت اللغة الأمازيغية لغة عربية قديمة، لماذا لا نترك الأمازيغ يتغنون بها ويرقصون بها ويتحدثون بها ويكتبون بها مادامت عربية قديمة؟ لماذا نحاربها؟"[455].

وعلى كل الأحوال فإني لا أعتقد بوجود شيء اسمه قضية أمازيغية مع العرب المسلمين في ليبيا، إنما هي عبارة عن مسألة تتعلق ببعض الحقوق الطبيعية لهذا المكون الأصلي في بلاد المغرب العربي الذي يجدر بالقيادات السياسية في بلدانها أن تراعيه، فالمشكلة ليست العرب المسلمين ولطالما أعرب الأمازيغ عن تآخيهم مع العرب المسلمين ولطالما تغنوا بتوحدهم في قتال القذافي ونجاح الثورة في إسقاطه باللُحْمَة الوطنية بين المكونين، ولكن المشكلة في تلك الحكومات التي دائماً تصم آذانها عن سماع أن الأمازيغية هي جزء ثقافي متجذر في الهوية الليبية وتاريخها، ابتداءً من اسم البلاد (نسبة إلى قبائل الليبيو الأمازيغية) مروراً بتاريخها وتراثها الإسلامي القديم ، كلها تُعبر عن الأمازيغية، ويشكوا الأمازيغ في أيام ما بعد الثورة من تهميش النخبة السياسية لحقوقهم مما قد يُغير نظرة الأمازيغ إلى إخوانهم العرب المسلمين، فالكل يعلم أن القذافي كان صاحب حكم فردي قومي عربي متزمت، أما حُكام ليبيا الحاليين فقد جلبوا عهد الديموقراطية لأنفسهم، ولم تعترف الأطراف التي سبقت فترة الأزمة ولا الأطراف الحالية للأزمة بحقوق الأمازيغ الثقافية في السياسة الجديدة للبلاد.

ورأيي حول انفصال الأمازيغ فإني أجد أنه لا حاجة للأمازيغ بالانفصال، وأن معظم أمازيغ ليبيا لا يرغبون بها إذا توفرت حقوقهم التي تضمن لهم طريقة التعايش الذي يطمحون إليها مع إخوانهم العرب المسلمين، ولكن عندما ينظرون إلى الأطراف السياسية المتخاصمة، ويرون نسيان النخبة السياسية لجهود الأمازيغ في الثورة، وكذلك عدم وجود دولة توفر لهم الحماية وترعى حقوقهم – في ظل طغيان التصارع السياسي على المشهد في ليبيا – فإنهم يرون في الانفصال الملجأ الوحيد الذي فُرض عليهم في ظرفهم وظرف ليبيا الحالي الصعب.

[455]- مرجع سابق: أراء حول الأمازيغية في ليبيا، الجزيرة.

فهرس المراجع

1-ابن أعثم الكوفي، أبومحمد أحمد: كتاب الفتوح، ت:926 هـ927م ن: دار الأضواء. بيروت.جـ2.

2-ابن الأثير، عزالدين علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت630هـ1232م، ط1-جـ4، تح محمد ابراهيم البنا وآخرون، ن: دار ابن حزم. بيروت. 1433هـ/2012م.

3-ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، ط. دار الكتب العلمية، ط6، سنة 1986م.1407هـ، بيروت، (جـ 3– 6) ت630 هـ. 1232م.

4-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر في المبتدأ والخبر، تح: خليل شحاده، سهيل زكار، ن: دار الفكر. بيروت. 1421هـ.2000م (جـ 1 – 7) ت سنة1406م.808هـ.

5-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ط1/ ن: دار يعرب. دمشق. سوريا، 1425هـ/2004م، جـ1،تح عبدالله محمد الدرويش ت،808هـ.1406م.

6-ابن الوردي، سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة 2008م.1430هـ، ت749هـ،1348م.

7-ابن الصغير: اخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر/ ابراهيم بخاز، ن: دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1985م.1406هـ.

8-ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر والمغرب، ن: مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. مصر. 1415هـ.1994م، جـ2.ت 257هـ.967م.

9-ابن عذارى: ابوعبد الله محمد بن محمد: البيان المغرب، ن: دار الثقافة. بيروت. لبنان، ط2 1980م.1401هـ، (جـ1 – 4) ت695هـ.1295م.

10-ابن قوطية، محمد بن عمر: تاريخ افتتاح الاندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط2 :1989م.1410هـ القاهرة، ت سنة 367هـ.977م.

11-ابن كثير، إسماعيل بن عمرالدمشقي: البداية والنهاية، ت774هـ 1178م: تح عبد الله التركي، ن: دار عالم الكتب. الرياض. 1423هـ.2002م ج.12

12-ابن وردان، عيسى المدني ابن الحارث: تاريخ مملكة الأغالبة، ت60هـ679م، تح: محمد زينهم محمد عزب، ن: مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر، ط1: 1408هـ/1988م.

13-أبوالعرب، محمد بن أحمد بن تميم: طبقات علماء إفريقية، ت333هـ 944م، دار الكتاب اللبناني: بيروت - لبنان، ط 2010م .1432هـ.

14-"أراء حول الأمازيغية في ليبيا"، الجزيرة، قسم البحوث والدراسات، مع مجموعة من المثقفين الليبيين سنة 1426هـ2005م، مع مدير مؤسسة تاوالت الثقافية.محمد ربيع عاشورالكباوي.

15-آمادي، موحمد: (مقال) الموقف الرسمي الليبي من الامازيغية وجهة نظر أمازيغية، الجزيرة، 1426/10/25هـ.2005/11/27م.

16-"أمازيغ ليبيا بين التذويب القسري وتزييف التاريخ" (مقالة)، الجريدة الأمازيغية،1432هـ 2010/04/10م، خصائص ثقافية ام إنسجام حضاري؟

17-أوعسري، علي: "فعاليات الشعب المغربي في خيمة القذافي"، موقع مَغرِس: مُحرك بحث إخباري، 2010/6/3م. 1432هـ.

18-الباجي، أبو الوليدمحمد المسعودي: الخلاصة النقية في امراءإفريقيا ومعه عقد الفرائد في تدليل الخلاصة وفوائد الرئد، ت 1279هـ.1862م. ط1/ ن: دار بيكار. تونس 1323هـ.1905م.

19-الباروني، سليمان بن عبد الله: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط1، ت: محمد علي الصليبي، ن: دار الحكمة. لندن: 2005م.1426هـ.

20-الباشا، حسن محمود: دراسات في الحضارة الإسلامية، ط1/ ن: دار النهضة العربية. القاهرة. مصر. 1975م.1395هـ.

21-البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي، ن: الجامعة الليبية، دار صادر. بيروت. لبنان. 1972م.1392هـ.

22-البشاري، محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2/ مكتبة مدبولي. القاهرة سنة 1411هـ/1991م.

23-البغدادي، أبومنصورعبد القاهر: الفرق بين الفرق، ت سنة 429هـ 1037م. تح: محمد عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية. بيروت، 1416هـ/1995م.

24-البكري، أبوعبيدعبدالله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ت487هـ 1094م. سلسلة الممالك والمسالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،1857م،847هـ.

25-البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان: ت279هـ 892م، تح عبد الله أنيس الطباع، ن: مؤسسة معارف. بيروت، 1407هـ/1987م.

26-"التقرير العام حول الوضعية الحقوقية للأمازيغ في ليبيا"، موقع تاوالت الأمازيغي.

27-الثعالبي، عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقية، ط2 -1418هـ-1990م-لبنان.

28-الجاش، غفار ولد سيدي: همشهم القذافي ولم تنصفهم الثورة.. من هم أمازيغ ليبيا، شبكة الشرق الأوسط، 10 نوفمبر 2015. 1437هـ.

29-الجوهري، يسرى: الجغرافيا العامة (جغرافيا العالم العربي)

30-الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد1958م.1378هـ.

31-الدباغ، عبد الرحمن وابن ناجي، أبو الفضل: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط1/ ن: مكتبة الخانجي. القاهرة 1968م.1388هـ، جـ2.

32-الزاوي، الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ن: دار المدار الإسلامية. بيروت. لبنان. 2003م.1424هـ.

33-الزاوي، الطاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، ط. مكتبة النور. طرابلس الغرب، ط1 1388هـ/1968م.

34-الزاوي، الطاهر احمد: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ن: دار الفتح. بيروت. لبنان، 1970م.1390هـ.

35-الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط15، ن: دار العلم للملايين. بيروت: 2002م.1423هـ، جـ4.

36-السلاوي، الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ن: دار الكتاب. الدار البيضاء. المغرب 1997م1418هـ، (جـ1 – 5).

37-الشماخي، ابو العباس احمد: السير، ت: محمد حسن، ط3، ن: دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان، 2009م.1431هـ.

38-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل من الفرق والاديان، ط2، ت: احمد فهمي محمد، ن: دار الكتب العلمية، ت.ن: 1413هـ/1992م.

39-الصلابي، علي: صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي، ط1، ن: دار البيارق. عمان. الأردن. 1418هـ/1998م.

40-الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط2، 1387هـ.1967م دار التراث، بيروت، اصدار 2010م.1432هـ، (جـ3 – 4).

41-الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، ط1. ت: محمود ومحمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، ن: دار المعارف، مصر. سنة 1957م.1377هـ.

42-العبدري، محمد بن محمد: الرحلة العبدرية "الرحلة المغربية"، ت: محمد ابراهيم كردي، ط2، دمشق 2005م.1426هـ.

43-العقاد، صالح: ليبيا المعاصرة / معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1970م.1390هـ.

44-العواجي، غالب: (رسالة) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، جامعة الملك عبد العزيز 1398هـ/1399هـ.

45-القلقشندي، أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، ن: دار الكتاب اللبنانيين. بيروت، 1400هـ/1980م.

46-القيرواني، الرقيق: تاريخ افريقيا والمغرب، ط2، ت: المنجي الكعبي، ن: الدار العربية للكتاب. تونس. 2005م.1426هـ.

47-اللحيان، حسين: المعجم التاريخي للأمازيغ/ مجلد (1)، ط1، ن: مؤسسة تاوالت الثقافية. 2013م1435هـ.

48-الماوردي: الأحكام السلطانية، ت: أحمد مبارك البغدادي، ط1/ ن: دار ابن قتيبة. الكويت. 1407هـ/1989م.

49-المالكي، عبد الله: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ن: دار الغربي الإسلامي. بيروت. 1414هـ/1994م.

50-المكناسي، احمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام، ن: دار المنصور. الرباط. المغرب، 1973م.1393هـ.

51-الموسوعة الأمازيغية. تعليم الأمازيغية -في البلدان الناطقة بالأمازيغية (بعد الاستقلال)

52-الندوي، ابو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام –دار القلم. دمشق، ط5، جـ1.

53-بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس/ منير البعلبكي، ن: دار العلم للملايين. بيروت، ط5، 1973م.1393هـ.

54-بيضون، ابراهيم: الدولة الأموية والمعارضة، ط1 سنة. 1980م.1401هـ، دار الحداثة. بيروت. لبنان.

55-جوليان، شارل اندريه: تاريخ إفريقيا الشمالية، المجلد الأول، تعريب: محمد مزالي / البشير بن سلامة، ن: الدار التونسية. فيفري. تونس 1983م.1404هـ.

56-حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ط14/ ن: دار الجيل. بيروت، دار النهضة. القاهرة، 1416هـ/1996م، جـ1.

57-حسن، حسن ابراهيم: النظم الإسلامية، ط2/ ن: دار النهضة العربية. القاهرة. 1970م.1390هـ.

58-خطاب، محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، ط7، ن: دار الفكر. بيروت، 1404هـ/1984م.

59-دائر المعارف الإسلامية (مجموعة مؤلفين غربيين)، ت: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، ن: مركز الشارقة للإبداع الفكري. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة 1418هـ/1998م، جـ3.

60-دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ط2/ ن: مؤسسة تاوالت 2010م.1432هـ، (جـ1 – 3).

61-راشدي، راسم: طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر، ط1/ 1953 م.1372هـ، طرابلس، ليبيا.

62-رايت، جون: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ت: عبد الحفيظ الميار/ أحمد اليازوري.

63-زيادة، نقولا: ليبيا في العصور الحديثة، ن: معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة. مصر. 1966م.1386هـ.

64-زيادة، نقولا: محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال، ن: قسم الدراسات التاريخية والجغرافيا، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، 1958م.1406هـ.

65-زيتون، محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، ن: دار المنار. القاهرة 1988م.1409هـ.

66-سالم، السيد: تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، ن: جامعة الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1999م.1420هـ.

67-سالم، السيد/ الناضوري، رشيد: تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ن: الدار القومية. الإسكندرية :1966م.1386هـ، جـ2.

68-ساللیستیوس (سالوست): الحرب اليوغرطية، ترجمة: محمد المبروك الدويب، ن: جامعة بنغازي. ليبيا. 2007م.1428هـ.

69-شاكر، محمود: موسوعة الفتوحات الإسلامية، ط1/ ن: دار أسامة. عمان. الأردن 2002م.1423هـ.

70-طرخان، ابراهيم – بحث نهاية: الإمبراطورية الغربية، مجلة الآداب. جامعة القاهرة. العدد التذكاري 1962م.1382هـ.

71-عاشور، سعيد: أوروبا العصور الوسطى، (جـ1)، ن: دار النهضة العربية. بيروت. لبنان 1976م. 1396هـ.

72-عباس، إحسان: تاريخ ليبيا، ط1 ن: دار ليبيا. بنغازي. 1387هـ/1967م.

73-عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي. ط2/ ن: منشأة معارف. الإسكندرية. مصر 1993م .1414هـ(جـ1 – 2).

74-عبد الرزاق، محمد اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى القرن الرابع الهجري، ط2/ ن: دار الثقافة. الدار البيضاء، 1406هـ/1985م.

75-عبد العال، عبد المنعم: لهجة شمال المغرب، ط. وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة 1968م.1388هـ.

76-عبد اللطيف، عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي (41-132هـ/ 661-750م) دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، ط1 1429هـ/2008م

77-عبد الوهاب، حسن حسني: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها بن الرشيق، ط3، ن: بيت الحكمة. القيروان، 2009م.1431هـ.

78-عمران، سعيد محمود – مملكة الوندال في شمال أفريقيا، ط1/ ن: دار المعارف. القاهرة. 1998م.1419هـ.

79-علي، سيد امير: مختصر تاريخ العرب، ط2، ترجمة: عفيف البعلبكي، ن: دار العلم للملايين. بيروت: 1967م.1387هـ.

80-غربال، محمد شفيق ومجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت: 2010م.1432هـ، جـ1.

81-غوردو، عبد العزيز: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط2، ن: دار ناشري. الكويت. 2011م.1433هـ.

82-كاباو، مدرار – مقال – الكتابة الليبية القديمة – موقع تاوالت الأمازيغي.

83-كامبس، كابريل: في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة: العربي عقون.

84-ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية، ط8/ ن: مكتبة الأنجلو المصرية. 1998م.1419هـ، جـ2.

85-مجزرة سجن بو سليم، (مقالة) الجزيرة نت-أرشيف، 2011/3/10م.1433هـ.

86-مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، ت: ابراهيم الأبياري، مدينة مجريط (مدريد). إسبانيا. مطبعة رِبدَيَنرَ 1867م.1284هـ، ن: دار الكتاب المصري. القاهرة ودار الكتاب اللبناني. بيروت.

87-مصطفى، محمد: (مقال) امازيغ ليبيا، من ظلم القذافي الى نيران الحرب، شبكة التلفزيون العربي، 2015/12/17م.1437هـ.

88-مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، ط1، ن: مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. 1970م.1390هـ.

89-مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط10/ ن: مكتبة الأسرة. القاهرة. 2004م.1423هـ.

90-ناجي، محمود: تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة من العثمانية: عبد السلام الأدهم ومحمد الأسطى، ن: الجامعة الليبية. 1970م.1390هـ.

91-ناصر، محمد صالح: منهج الدعوة عند الاباضية، ط2، ن: مكتبة الاستقامة. مسقط. سلطنة عمان، 1418هـ/1997م.

92-نصر الله، سعدون عباس: دولة الأدارسة في المغرب، ن: دار النهضة العربية. بيروت، ط1: 1408هـ/1987م.

93-هيكل، محمد حسنين: كلام في السياسة. قضايا ورجال: وجهة نظر، ط7، ن: الشركة المصرية للنشر. القاهرة. مصر، 2002م.1423هـ.

الخلاصة

تتحدث هذه الدراسة عن اوضاع الأمازيغ او ما عُرِف تاريخيا " بالبربر" في ليبيا، باعتبارها تاريخيا بوابة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قبيل بدء الفتح الإسلامي لها، والمسماة اليوم بلاد المغرب العربي ويكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة عبر مراحل التاريخ الإسلامي المتلاحقة لما للأمازيغ من ادوار فاعلة ومؤثرة في كل مرحلة من تلك المراحل، وقد ناقشت الدراسة تلك الأدوار بشكل متتابع ،وتناولت بالتدقيق والتحليل مواقفهم من الاطراف المتعاقبة على بلاد المغرب العربي ككل وليبيا على وجه الخصوص، باعتبار ليبيا هي المستهدفة في هذه الدراسة من النواحي السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية ، وقد ركزت في تمهيدها على حياة (الأمازيغ) من حيث اصولهم وقبائلهم والاماكن التي يقطنونها ويشكلون فيها تجمعات سكانية مؤثرة في بلاد المغرب عموما.

وركزت الدراسة في فصولها على أوضاع الأمازيغ ومشاركاتهم في حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بأقسامها المعروفة آنذاك المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وتشكل ليبيا الجزء الاساس من هذه البلاد وهي المغرب الأدنى .وناقشت الدراسة موقف الأمازيغ في فترة صدر الإسلام في العهدين الراشدي والاموي من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، مقارنة بمن تعاقبوا على هذه البلاد قبل الإسلام ،وابرزت التغيرات الثقافية والفكرية والاجتماعية التي طرأت على الانسان والمجتمع الامازيغي في ليبيا تحديدا وفي بلاد المغرب عموما وتأثيراتها عليه وتحوله من مجرد متلقي الى انسان مشارك في حركة الفتح الإسلامي وتوسعها وبلوغها حدها النهائي في نهاية العهد الاموي، إذ كان من أهم مظاهر تلك التغيرات ،انتقال الامازيغ الى مجال التأثير الإيجابي الفاعل في الدعوة الى الاسلام وترسيخه في نفوس ابناء هذه البلاد من ناحية وكذلك لأخذ زمام المبادرة لتولي موقع الصدارة في قيادة الفتح الإسلامي وتوسيع نطاقه كما هو حال طارق ابن زياد في قيادة جيش الفتح الذي عبر المضيق مع الاندلس لفتحها ونشر الإسلام فيها.

وتطرقت الدراسة للتحولات التي طرأت على التركيبة السكانية عموما لبلاد المغرب وليبيا في مطلع القرنين الهجريين الثاني والثالث، وأبانت عن أدوار الأمازيغ وتفاعلهم مع تلك الاحداث، لاسيما مواقفهم من الثورات والفتن التي عصفت بالأمة والمجتمع الإسلاميين،

وسعت الدراسة لتفسير وتعليل التداخل والتمازج بين اهداف تلك الحركات السياسية والدينية التي اشتهرت آنذاك، وبين الحركات السياسية الأمازيغية وقادتها الذين افرزهم المجتمع الامازيغي في ليبيا وسائر المناطق المغاربية، وتتبع الاهداف والغايات التي دفعت تلك الاطراف للالتقاء والعمل المشترك على المستويين السياسي والديني ضد مؤسسة الخلافة آنذاك .وأجرت الدراسة مقارنة بين واقع الامازيغ ومشاركاتهم في مجتمعهم في القرون الهجرية الثلاثة الأولى وبين واقعهم ومالهم في فترة ما بعد الاستقلال الممتدة حتى انتفاضة الشعب الليبي، في فترة ما عرف بالربيع العربي، وما اعقب ذلك من تقلبات سياسية واجتماعية متسارعة ومتقلبة تترك آثارها على المجتمع الليبي وتركيبته السكانية، الى فترات زمنية قادمة، يحدد مصيرها تطورات الاحداث في الواقع الراهن وما ستؤول اليه وتسفر عنه من نتائج.

معلومات سجل الأرشيف

اسم الرسالة : علاقة الامازيغ في ليبيا بالعرب في القرون الهجرية الثلاثة الأولى " دراسة تحليلية مقارنة بالواقع المعاصر "

كاتب الرسالة : نجيب عاشور القندوز

مشرف الرسالة : الدكتور حر محمود يوجر

حالة الرسالة : ماجستير

تاريخ الرسالة : 2017 / 05 / 06

مجال الرسالة : الاقتصاد السياسي الدولي

مكان الرسالة : جامعة كرابوك/ معهد العلوم الاجتماعية/ كرابوك

مفتاح الرسالة : الأمازيغ ، البربر، العرب المسلمين، الإسلام

Özet

Bu araştırmada, günümüzde Kuzey Afrika (Mağribü'l-Arab) ülkelerinde, özellikle de İslam fetihleri döneminde fethin kapısı olarak bilinen Libya'da bölgenin esas halkı olan Berberîler'in (Amazigh, Amazig) durumu incelenecektir. Bu konu İslam tarihinin gelecek aşamalarında çok büyük bir öneme sahip olup, Berberiler bu evrelerin her birinde önemli ve etkin bir rol oynamıştır.

Çalışmada Berberilerin birbirini takip eden dönemlerdeki rolleri tartışılmış, genel olarak tüm Mağrip ülkeleri ve özellikle Libya'ya karşı olan tutumlarının araştırılması ve analiz edilmesi amaçlamıştır .Bunun nedeni araştırmanın temelinin siyasî, dinî, sosyal ve kültürel açıdan Libya'nın hedef alınmasıdır. Çalışmanın başında Berberilerin kökenleri, kabileleri, yaşadıkları bölgeler ve genel olarak Mağrip ülkelerindeki yoğun ikamet ettikleri yerler ve yaşadıkları toplumlar, hayat ve yaşamlarına odaklanılmıştır.

Araştırmanın diğer alt bölümlerinde Berberilerin Mağrip ülkelerinin o dönemlerde bilinen bölgeleri olan Alt, Orta ve Üst Mağrip ülkelerinin İslami fetih hareketlerine katkılarının anlatılmasına odaklanmıştır. Libya ise bu ülkelerin temel parçasını oluşturmakta olup Alt Mağrip ülkesidir.

Diğer yandan araştırmada, Berberilerin İslam'ın yayılış dönemi olan Hulefâ-i Râşidin ve Emeviler zamanında fetihler ve Mağrip Ülkelerine karşı tutumları ile İslam öncesi bu ülkelere karşı olan tutumları karşılaştırılıp tartışılmaktadır. Özellikle Libya ve genellikle Mağrip ülkelerinde diğer toplumlar gibi Berberiler de kültürel,

fikri ve sosyal bakımdan değişimler göstermiştir. Bu değişimler esnasında insanlar yeni dini alıcı durumdan İslami fetih hareketlerinin gelişip genişlemesine katkı sağlayan hatta Emevilerin son dönemlerinde fetihlerin en üst seviyeye çıkmasına katkı sağlayan duruma gelmişlerdir.

Değişimlerin en önemli göstergesi, Berberilerin bir yandan bu ülke insanlarını İslam'a davet ve içlerine dini yerleştirme bağlamında pozitif etkisi olması, diğer yandan İslam fetihleri ve gelişmesini komuta etmek için gerekli çabaları göstermesidir. Nitekim kendisi de bir Berberi olan Tarık b. Ziyad, İslam ordusunun komutasını üstlenerek boğazı geçerek İslam'ın yayılması için Endülüs'ü fetih etmiştir .

Diğer yandan bu araştırma, siyasi alanda oluşan değişimlerin, İkinci hicri yüzyıldan itibaren üçüncü hicri yüzyıl sonuna kadar olan genelde Mağrip ülkeleri, özelde Libya'daki toplum demografisine olan etkisine değinmiştir. Yine Berberilerin toplumsal olaylarla ilgili kaynaştırıcı ve bütünleştirici rolleri ve özellikle o dönem toplumunda esen başkaldırı ve isyanlara karşı tutumlarını açıklamaktadır.

Çalışmamız, o dönemde beliren siyasal, soysal ve dinî hareketlerin hedeflerinin Berberiler ile karışıp birleşmesinin nedenlerini, Libya ve diğer Mağrip bölge toplumları içinden çıkan yöneticilerin rollerini ortaya koymaktadır. Aynı zamanda araştırmacı, hilafet aleyhine siyasal ve dinsel düzeylerde ortak çalışan ve birleşen tarafların amaç ve hedeflerinin izini sürmüştür.

Çalışma hicri ilk üç asırda Berberilerin Libya gerçekleri ve toplumundaki katılımları ile bağımsızlık sonrası Libya devrimine uzanan ve Arap Baharı olarak adlandırılan süreç sonrasında ortaya çıkan siyasal ve sosyal değişimler üzerine demografik yapıda iz bırakacak gelişmelere göre yönü ve sonucu belirlenecek muhtemel durumu karşılaştırmaktadır.

Arşiv Kayıt Bilgileri :

Tezin adı : Libya'da hicri ucuncuyil boyunca Boyunca Berberiler ve Arap Müslümanlar Arasındaki Ilişki (Cağdaş Durum ve Analiz Calışması).
Tezin Yazarı : Nageb Ashour A ELGANDOUZ
Tezin Danışmanı: Prof. Dr. Hür Mahmut YÜCER
Tezin Türü : Yüksek Lisans
Tez Tarihi : 05/06/2017
Tez alanı : Uluslararasi Politik Ekonomi
Tez yeri : KbuSbe/Karabuk
Tez Anahtarı : Berberiler,Arap Muslumanlar,Islam

Abstract

In this research, we will be talking about a community that is called Maghreb-Al Arabia, known as Berbers historically or by the main people of North Africa and lived in Libya (Amazigh) which is known as the Islamic conquest gate before Islamic conquests started as history. This subject has a great importance for the further Islamic history researches as Berbers (Amazigh) played an important and effective role in each of these stages.

In this research, their roles stated consecutively were discussed and it was tried to find and analyze their attitudes towards all the Maghreb countries especially Libya.

The reason behind that is handling Libya in terms of political, religious, social and cultural aspects. This research focused on (Amazigh) Berbers' origin, tribes, the places they lived and their lives with respect to places where they were the effective community in Maghreb countries in general.

Chapters of this research focused on participation of (Amazigh) Berbers and countries known as low, middle and upper Maghreb regions of Maghreb countries Islamic conquest movements. Libya is the lower Maghreb country which constituted the main part of these countries.

The research compares and discusses the Islamic conquests of the Amazighs during the Reshidi and Umayyad periods, their attitude towards the Maghreb Countries during Sadrulislam and their attitudes towards these countries before the Islam. In particular, the people and Amazigh community have displayed the

changes in terms of cultural, intellectual and social aspects in Libya and generally in the Maghreb countries, and their impacts have brought the people from receiver state to the participatory state in the development of the Islamic conquest movements and in reaching the final stage towards the end of the Umayy periods .

The most significant indications of the changes are the positive influence of the Amazighs on inviting the people of this country to the Islam and expanding this religion inside them on one hand, and their efforts required to command the Islamic conquests and development on the other hand. As a matter of fact, Tariq Ibn Ziyad took the command of the Islamic conquest army, passed the strait and conquered the Andalusia to expand the Islam.

The study also mentioned the influence of the changes in the political field on the community demography generally in the Maghreb countries and especially in Libya, from the second Hijri century until the end of the third Hijri century. It also explains the Amazighs' coalescence with the events, their roles, and especially their attitudes towards the revolution and rebellions taken place within the community and Islamic community at that time.

Our study has revealed the reasons for the nesting and unification of the political and religious movement targets emerged at that time with the Amazighs and the roles of leaders emerged from Libya and other Maghreb communities.

The researcher traced the aims and objectives of the parties, which collaborate and unify against the Caliphate at the political and religious levels.

With the Amazighs' realities in Libya and their contribution to the Libyan communities in the first three Hijri centuries, the study will leave traces on the Libyan community and the people's demography in the future times from the post-independence Libyan revolution followed by the fast political and social changes, called Arab Spring, and determines the direction and the conclusion of the Libyan community and demography according to today's developments and compares the situation and the realities therein.

Archive Record information:

Name of The Thesis : Amazigh relationship in Libya with muslim Arabs in the first three centaries Hijri: Comparatative study.

Writer of The Thesis : Nageb Ashour A Elgandouz

Advisor of The Thesis : Prof. Dr. Hur Mahmut Yucer

Status of The Thesis : Master

Date of The Thesis : 06\05\2017

Field of The Thesis : International Political Ecnoic

Place of The Thesis : KbuSbe/Karabuk University

Key of The Thesis : Amazigh /Barber / Arab Muslims / Islam .

السيرة الذاتية

نجيب عاشور القندوز ولد في مدينة زوارة - ليبيا في سنة 1961 ، درس و تحصل على التعليم الأساسي من طرابلس (ليبيا) وأنهى التعليم الثانوي في مدرسة زوارة الثانوية بمدينة زوارة، وبعدها بدأ دراسة التعليم العالي وتحصل على بكالوريوس علوم بحرية في سنة 1984 ، من سنة 2013 إلى 2017 تحصل على الماجيتسر في علم الاقتصاد السياسي الدولي من جامعة كرابوك في قسم الاقتصاد السياسي الدولي .